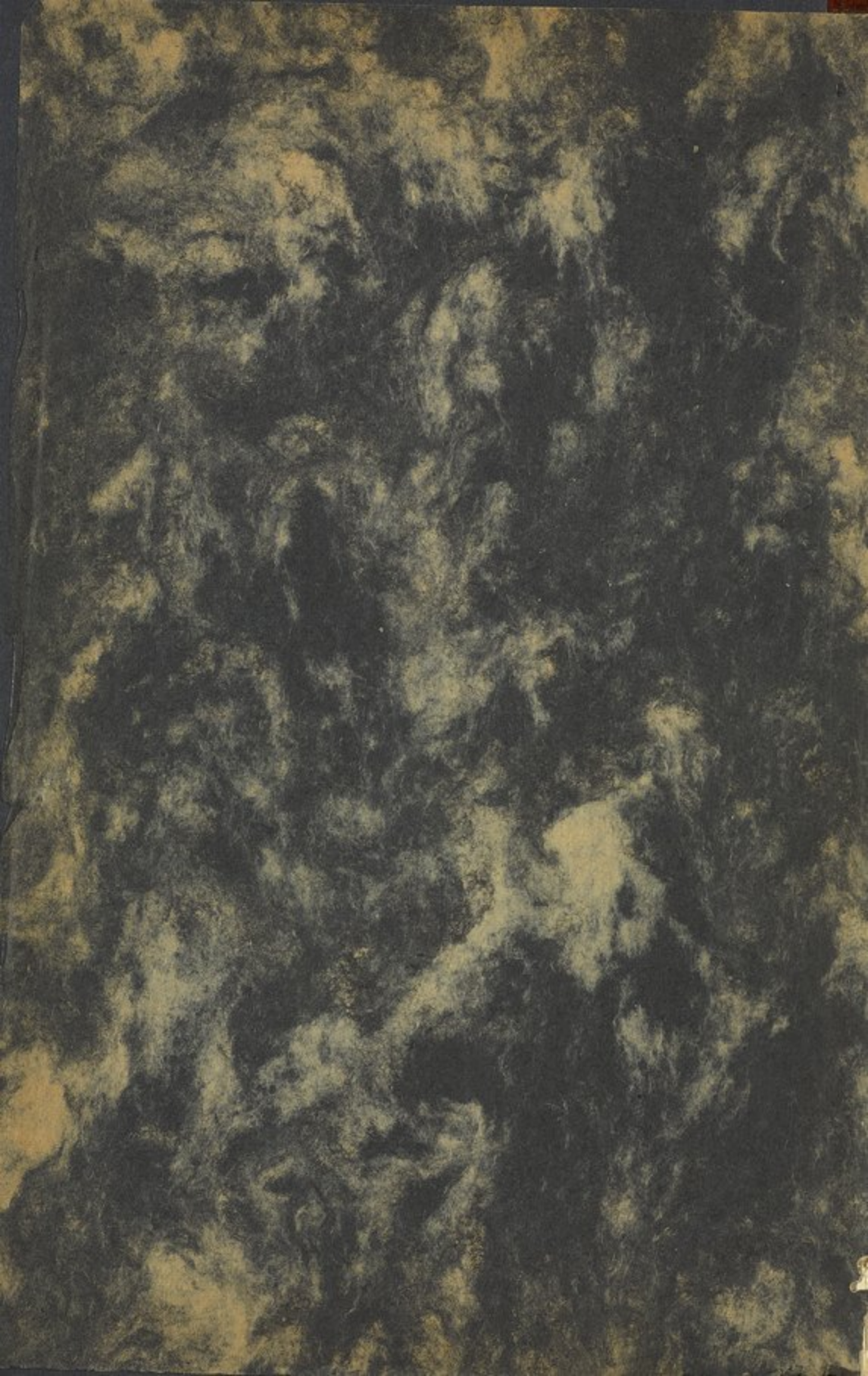




Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES





نَفْحُ الطَّيِّبِ

مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ

وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

تأليف

أديب المغرب وحافظه الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

المتوفى في عام ١٠٤١ من الهجرة

حققه ، وضبط غرائبه ، وعلق حواشيه

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !

الجزء العشرون

893.7M32

03

٧١١٥

الطبعة الأولى

في عام ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م

٧١١٥

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى ، بشارع محمد علي ، بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رُسُلِ الله ، وعلى آله وأصحابهم .

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رُسُلِ الله ، وعلى آله وأصحابهم .
والصلاة والسلام على رُسُلِ الله ، وعلى آله وأصحابهم .
والصلاة والسلام على رُسُلِ الله ، وعلى آله وأصحابهم .

الباب الثاني

في ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلين به على المنهاج ، المستفيدين أنواع العلوم منه والمقتبسين أنوار الفهوم من سراج الوهاج .
اعلم أن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرون ، إلا أنه لم يرزق السعادة في كثير منهم ، بل بارزوه بالعداوة ، واجتهدوا في إيصال المكروه إليه .

من أشهرهم الوزير الكاتب أبو عبد الله ابن زمرك ، وارث مرتبته من بعده ، ومقتعد أريكة سعده ، وقد ألمع به في « الإحاطة » وكان إذ ذاك من جملة أتباعه ، إذ قال ما محصله : محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي يكنى أيا عبد الله ، ويعرف بابن زمرك .

أبو عبد الله
ابن زمرك

أصله من شرقي الأندلس ، وسكن سلفه روض البيازين من غرناطة ، وبه ولد ونشأ ، وهو من مفاخره .

حاله - هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس ، وأفراد مجتباتها ، مختصر^(١) مقبول ، هش ، خلوب ، عذب الفكاهة ، حلو المجالسة ، حسن التوقيع ، خفيف الروح ، عظيم الانطباع ، شره المذاكرة ، فطن بالمعارض ، حاضر الجواب ، شعلة من شعل الذكاء ، تكاد تحترق جوانبه ، كثير الرقة ، فكاهة ، غزل مع حياء وحشمة ، جواد بما في يده ، مشارك لإخوانه ، نشأ عفا طاهراً ، كلفا بالقراءة ، عظيم الدؤوب ، ثاقب الذهن ، أصيل الحفظ ، ظاهر النبل ، بعيد مدى الإدراك ، جيد الفهم ، فاشتهر فضله ، وذاع أرجه ، وفشا خبره ، واضطلع بكثير من الأغراض ، وشارك

(١) كذا في ب و ط ، وفي الإحاطة « مختص » ولو قرأت « مختصر » لكان لها وجه ، ومعناه أن له مجلساً يحضره الناس ، وتكررت هذه اللفظة في ترجمته الآتية (ص ٢٤) عن ابن الأحمر ، بمعنى صغير الحجم .

في كثير من الفنون ، وأصبح متلف كره البحث^(١) ، وصار خ الحلقة ، ومظنة الكمال ،
ثم ترقى في درجة المعرفة والاضطلاع ، وخاض لجة الحفظ ، وركض قلم التقيد
والتسويد والتعليق ، ونصب نفسه للناس متكلماً فوق الكرسي المنصوب ، وفوق
المخمل المجموع ، مستظهِراً بالفنون^(٢) التي بُعِدَ فيها شأوه من العربية والبيان ،
وما يقذف به في لج النقل من الأخبار والتفسير ، متشوقاً مع ذلك إلى السلوك ،
مصاحباً للصوفية ، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة ، ثم عانى الأدب ، فكان أملك
به ، وأعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد ، فترقى إلى الكتابة عن ولد السلطان
أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان
ابن يعقوب ، ثم عن السلطان ، وعرف في باب الإجابة ، ولما جرت الحادثة على
السلطان صاحب الأمر بالأندلس ، واستقر بالمغرب ، أنس له ، وانقطع إليه ،
إليه ، وكر في صحبة ركا به إلى استرجاع حقه ، فلفظ منه محله ، وخصه بكتابة
سره ، وثابت الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائلة ، فأقره على رسمه معروف
الانقطاع والصاغية ، كثير الدالّة ، مضطرباً بالخطبة خطأ وإنشاء ولسنا وقداء ،
فحسن منابه ، واشتهر فضله ، وظهرت مشاركته ، وحسنت وساطته ، ووسع
الناس تخلفه ، وأرضى للسلطان حمله ، وامتد في ميدان النظم والنثر بابه ، فصدر
عنه من المنظوم في أمداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الإجابة ، وهو بحاله
الموصوفة إلى هذا العهد ، أعانه الله تعالى وسدده !

شيوخه - قرأ العربية على الأستاذ رحلة إلى المغرب في فنها أبي عبد الله
ابن الفخار ، ثم على القاضي الشريف إمام الفنون اللسانية أبي القاسم محمد بن أحمد
الحسني ، والفقهاء العربية على الأستاذ المفتي أبي سعيد بن لب ، واختص بالفتية

(١) كناية عن غلبته وسبقه

(٢) استظهر فلان بكذا : أي تقوى به

الخطيب الصدر المحدث أبي عبد الله بن مرزوق . فأخذ عنه كثيراً من الرواية ، ولقى القاضي الحافظ أباعبد الله المقرئ عندما قدم من الأندلس ، وذاكره ، وقرأ الأصول الفقهية على أبي علي منصور الزواوي ، ويروى عن جماعة منهم القاضي أبو البركات ابن الحاج ، والمحدث أبو الحسين بن التلمساني ، والخطيب أبو عبد الله بن اللوشي ، والمقرئ أبو عبد الله بن بيش ، وقرأ بعض الفنون العقلية بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله العلوي التلمساني ، واختص به اختصاصاً لم يخل فيه من استفادة مران وحنكة في الصنعة .

شعره - وشعره مترام إلى هدف الإجادة ، خفاجي النزعة^(١) ، كلف بالمعاني البديعة والألفاظ الصقيلة ، غزير المادة ، فمن ذلك ما خاطبني به ، وهو من أول ما نظمته قصيدة مطلعها :

* أما وانصداع النور من مطلع الفجر *

وهي طويلة .

ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قياس قيس ، واشتهرت بالإحسان اشتها الزهد بأويس ، ولم يحل مجاريه ومباريه إلا بويح ويؤيس ، قوله في إعدار الأمير ولد سلطانه ، المنوه بمكانه ، وهي من الكلام الذي عنيت الإجادة بتذهيبه وتهذيبه ، وناسب الحسن بين مديحه ونسيبه :

مَعَاذَ الْمَوَى أَنْ أَصْحَبَ الْقَلْبَ سَالِيَا	وَأَنْ يَشْغَلَ اللَّوْثَامَ بِالْعِذْلِ مَالِيَا
دَعَانِي أَعْطِ الْحُبَّ فَضْلَ مَقَادِنِي	وَيَقْضِ عَلَيَّ الْوَجْدَ مَا كَانَ قَاضِيَا
وَدُونَ الَّذِي رَامَ الْعَوَاضِلُ صَبُوءَا	رَمَتْ بِي فِي شُعْبِ الْغَرَامِ الْمَرَامِيَا
وَقَلْبَ إِذَا مَا الْبَرْقُ أَوْمَضَ مَوْهِنَا	قَدَحَتْ بِهِ زَنْدًا مِنَ الشُّوقِ وَارِيَا ^(٢)

(١) نسبة إلى « ابن خفاجة » شاعر الطبيعة الأندلسي

(٢) الموهن : القطعة من الليل

خيلني إلى يوم طارقة النوى
 وبالخيف يوم نفر يا أم مالك
 وذى أشر عذب الثنايا مخصر
 أحوم عليه مادجا الليل ساهرا
 يضيء ظلام الليل ما بين أضلعي
 أجيرتنا بالرمل والرمل منزل
 ولم أر ربعا منه أقضى لبانة
 سقت طله الفر العوادي ونظمت
 أبشكم أنى على النأى حافظ
 أناشدكم والحر أوفى بعهده
 هل الود إلا ما تحاماه كاشح
 تأوبنى والليل يذكي عيونه
 وقد مثلت زهر النجوم بأفقه
 خيال على بعد المزار ألم بي
 عجبت له كيف أهتدى نحو مضجعي
 رفعت له نار الصبابة فاهتدى
 ومما أجدّ الوجد سرب على النقا
 نزعن عن الأحاظ كل مسدد
 ولما تراءى السرب قلت لصاحبي
 حذارك من سقم الجفون فإنه

شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
 تخلفت قلبي في حبالك عانيا^(١)
 يسقى به ماء النعيم الأفاحيا
 وأصبح دون الورد ظمان صاديا^(٢)
 إذا البارق النجدى وهنا بداليا
 مضى العيش فيه بالشبيبة حاليا
 وأشجى حمامات وأحلى مجانيا
 من الطر في جيد الغصون لآليا
 ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
 ولن يعدم الإحسان والخير جازيا
 وأخفق في مسعاه من جاء واشيا
 ويسحب من ذيل الدجنة ضافيا^(٣)
 حبابا على نهر المجرة طافيا
 فأذكرني من لم أكن عنه ساليا
 ولم يبق منى السقم والشوق باقيا
 وخاض لها عرض الدجنة ساريا
 سوانح يصقلن الطلا والتراقيا
 فغادرن أفلاذ القلوب دواميا
 وأيقنت أن الحب ماعشت دائيا
 سيعدى بما يعي الطبيب مداويا

(١) تخلفت ، هنا : أي تركته خلفي

(٢) الصادى : العطشان

(٣) الدجنة - بضم الدال والجيم وتشديد النون مفتوحة - شدة الظلام

وإن أمير المسـلمين محمداً
 تضىء النجومَ الزاهراتِ خلاله
 معالٍ إذا ما النجم صوب طالباً
 يسابق غُلُوِيَّ الرياح إلى الندى
 ويغضى عن العوراء إغضاء قادر
 هام يروع الأسد في حومة الوغى
 مناقب تسمو للفقار كأنما
 إذا استبق الأملاك يوماً لغاية
 بهرت فأخفيت الملوك وذكرها
 جالوت ظلام الظلم من كل معتد
 هديت سبيل الله من ضل رشده
 أفدت وحيَّ الملك مما أفدته
 وقد عرفت منها مَرَيْنٌ سوابقا
 وكان أبو زيان جيداً معطلا
 لك الخير لم تقصد بما قد أفدته
 فما تكبر الأملاك غيرك آمرا
 ولا تشتكى الأيام من داء فتنة
 وأندلسا أوليت ما أنت أهله
 تلافيت هذا الثغر وهو على شفى
 ومن بعد ما ساءت ظنون بأهلها

ليعدى نداء الساريات الهواميا^(١)
 وينفث في روع الزمان المعاليا
 مبالغها في العز حَلَقَ وانيسا
 ويفضح جدوى راحتيه الغواديا
 ويرجح في الحلم الجبال الرواسيا
 كما راعت الأسد الظباء الجوازيا^(٢)
 تجارى إلى المجد النجوم الجواريا
 أبيت وذاك المجد إلا التناهيا
 ولا عجب فالشمس تخفى الدراريا
 ولا غرو أن تجلو البدور الدياجيا
 فلا زلت مهدياً إليه وهاديا
 وطوّقت أشراف الملوك الأياديا^(٣)
 تقر لها بالفضل أخرى اللياليا
 فزينته حتى اغتدى بك حاليا
 جزاء ولكن همه هى ماهيا
 ولا ترهب الأشراف غيرك ناهيا
 فقد عرفت منك الطيب المداويا
 وأوردتها وردا من الأمن صافيا
 وأصبحت من داء الحوادث شافيا
 وحاموا على ورد الأمانى صواديا

(١) السوارى : جمع سارية ، وأراد السحائب ، والهوامى : أى الممطرة

(٢) الجوازى : جمع جازية ، وأصلها الهمزة ، وهو الوحش بأسره ، ووقع في

ب « الخواريا » تحريف (٣) وحي الملك : سريعه

فأيا ملون العيش إلا تمللا
عطفك على الأيام عطفة راحم
فأنس من تلقائك الملكُ رشده
وقفت على الإسلام نفسا كريمة
فرأى كما انشق الصباح ، وعزيمة
وكانت رماح الخط خصا ذوابلا
وأوردت صفح السيف أبيض ناصعا
لك العزم تستجلى الخطوب بهديه
إذا أنت لم تفخر بما أنت أهله
ويهنئك دون العيد عيد شرعته
أقت به من فطرة الدين سنة
صنيع تولى الله تشييد فخره
تود النجومُ الزهر لومثلت به
وما زال وجه اليوم بالشمس مشرقا
على مثله فليعقد الفخر تاجه
به تغمر الأنواء كل مفعوه
ويوسف فيه بالجمال مقنع
وأقبل ما شاب الحياء مهابة
وأقدم لاهيابة الحفل واجما
شماثل فيه من أبيه وجده

ولا يعرفون الأمن إلا أمانيا
وألبستها ثوب امتنانك ضافيا^(١)
ونال بك الإسلام ما كان راجيا
تصد عدوا عن حماه وعاديا
كما صقل القين الحسامَ اليانبا^(٢)
فأنهلت منها في الدماء صواديا
فأصدرته في الروع أحمر قانيا
ويُلقي إذا تنبو الصوارم ماضيا
فما الصبح وضاح المشارق عاليا
نبث به في الخافقين التهانيا
وجددت من رسم الهداية عافيا
وكان لما أوليت فيه مجازيا
وقضت من الزلّنى إليك الأمانيا
سرورا به والليل بالشهب حاليا
ويسمو به فوق النجوم مرّاقيا
ويحدو به من كان بالقفر ساريا
كأن له من كل قلب مُناجيا
يقلب وجه البدر أزهر باهيا
ولا قاصرا فيه الخطأ متوانيا
ترى العز فيها مستكنا وباديا

(١) ضفا يصفو : سبغ

(٢) القين - بالفتح - الحداد ، وصانع السيوف

فباعنا أشجى القلوب لو أننا
 جريت فأجريت الدموع تعطفنا
 وكم من ولى دون بابك مخلص
 وصيّد من الحيين أبناء قيّة
 بهاليل غر إن أعدوا لغارة
 فوالله لولا أن توخيت سنة
 لكان بها للأعوجيّات جولة
 وترك أوصال الوشيح مقصّدا
 ولما قضى من سنة الله ما قضى
 أفضنا نهى منك أكرم منعم
 فيهنى صفاح الهند والبأس والندى
 ويهنى البنود الخافقات فإنها
 كآنى به قد توجّج الملك يافعا
 وقضى حقوق الفخر فى ميعّة الصبّا
 وماهو إلى السعد إن رمت مطلعا
 فلازلت يا فخر الخلافة كافلا
 ودُمّت قرير العين منه بغبطة
 نظمت له حر الكلام تآمما
 لآل بها تبأى الملوك نفاسة
 أرى المال يرميه الجديدان بالبلى
 فدينك بالأعلاق ما كنت غالبا
 وأطلعت فيها للسرور فواشيا
 يُفدّيه بالنفس النفيسة واقيا
 تكف الأعداى أو تبيد الأعاديا^(١)
 أعادوا صباح الحى أظلم داجيا
 رضيت بها أن كان ربك راضيا
 تشيب من الغلب الشباب النواصيا
 ويبض الظبا حمر المتون دواميا
 وقد حسدت منه النجوم المساعيا
 أبى لعميم الجود إلا تواليا
 وثمر العوالى والعناق المذاكيا
 سيعقدها فى ذمة النصر غازيا
 وجمّع أشتات المكارم ناشيا
 وأحسن من دين الكمال التقاضيا^(٢)
 وسددت سهما كان ربك راميا
 ولا زلت ياخير الأئمة كافيا
 وكان له رب البرية واقيا
 جعلت مكان الدر فيها القوافيا
 وجلّت لعمرى أن تكون لآليا
 وما إن أرى إلا المحامد باقيا

(١) أبناء قيلة - بفتح القاف وسكون الياء - الأنصار

(٢) فى ب « منعة الصبا » تحريف

وورد على السلطان أبى سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وَفَدَّ الأحايش
بهدية من ملك السودان ، ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى « بالزرافة » فأمر من
يُعاني الشعر من الكتاب بالنظم في ذلك الغرض ، فقال وهي من بدائعهم :

لولا تألق بارق التذكار	ما صاب واكفُ دمعى المردار
لكنه مهما تعرض خافقا	قدحت يد الأشواق زند أوارى ^(١)
وعلى المشوق إذا تذكر معهدا	أن يُغري الأجفان باستيعبار
أذكرى غرناطة حلت بها	أيدي السحاب أزرة النوار
كيف التخلص للحديث وبيننا	عرض الفلاة وطافح الزخار ^(٢)
هذا على أن التغرب مركبى	وتولج الفيح الفساح شعارى ^(٣)
فلكم أفت غداة زُمْتُ عيسهم	أبغى القرار ولات حين قرار
وظفقت أستقرى المنازل بعدهم	يمحو البكاء مواقع الآثار
إنّا بنى الآمال تخدمنا المنى	فنخادع الآمال بالتسيار
نتجشم الأهوال فى طلب العلا	وزرع سرب النوم بالأنكار
لا يحرز المجد الخطير سوى امرئ	يعطى العزائم صهوة الأخطار
إما يُفأخرُ بالعتاد فقخره	بالمشرفة والقنا الخطار
مستبصر مرمى العواقب واصل	فى حمله الإيراد بالإصدار
فأشد ما قاد الجهول إلى الردى	عمه البصائر لاعمى الأبصار
ولربّ مربد الجوانح مزيد	سبح الهلال بلجّه الزخار
فتقت كأمّ جنحه عن أنجم	سفرت زواهرهن عن أزهار
مثلت على شاطئ الجرة ترجسا	تصطف منه على خليج جارى

(١) الأوار - بضم الهمزة ، بزنة غراب - حرقه الباطن

(٢) فى ب « وطافح زخار » وعليه يكون فى البيت الإقواء

(٣) الفيح : جمع فيحاء ، وهى الواسعة ، وأراد الصحراء

وكانما بدر التمام بجنحه
وكانما خمس الثريا راحة
أسرجت من عزمي مصايحها
وارتاع من بازى الصباح غرابه
ومنها :

وغريبة قطعت إليك على الونى
تنسيه طيئته التى قد أمها
يقتادها من كل مشتمل الدجى
تشدو بحمد المستعين خذاتها
إن مسهم لفتح الهجير أبلاهم
خاضوا بها لجج الفلا فتخلصت
سلت بسعدك من غوائل مثلها
وأنتك يا ملك الزمان غريبة
موشية الأعطاف رائقة الحلى
راق العيون أديمها فكانه
ما بين مبيض وأصفر فاقع
يحكى خدائق رجب فى شاهق
تحدو قوائم كالجدوع وفوقها
وسمت بجيد مثل جذع مائل
تستشرف الجدرات منه ترابا
(١) بيدًا تبید بها هموم السارى
(٢) والركب فيها میت الأخبار
وكانما عيناه جذوة نار
يتعللون به على الأكوار
منه نسيم ثنائك الماطر
منها خلوص البدر بعد سراز
وكفى بسعدك حاميا لذمار
قيد النواظر نزهة الأصار
رقت بدائعها يدؤ الأفدار
روض تفتح عن شقيق بهار
سال اللجين به خلال نضار
تنساب فيه أراقم الأنهار
جبل أشم بنوره متوار
سهل التعطف لين خوار
فكانما هو قائم بمنار

(١) اليد : جمع يداء ، وهى الصحراء ، وتبید : تهلک .

(٢) الطية — بكسر الطاء — النية والوجهة .

نَاهَتْ بِكُلِّكَلْهَا وَأَتْلَعْ جِيدَهَا وَمَشَى بِهَا الْإِعْجَابَ مَشَى وَقَارٌ^(١)
 خَرَجُوا لَهَا الْجَمُّ الْفَقِيرُ ، وَكُلُّهُمْ مُتَعَجَّبٌ مِنْ لُطْفِ صَنْعِ الْبَارِي
 كُلُّ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ قَوْمُوا انْظُرُوا كَيْفَ الْجِبَالُ تَقَادُ بِالْأَسْيَارِ
 أَلَقْتُ بِيَابِكَ رَحْلَهَا وَأَطْلَمَا أَلْقَى الْغَرِيبُ بِهِ عَصَا التَّسْيَارِ
 عَلِمْتُ مَلُوكَ الْأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ فِي مَضَارِ
 يَتَبَوَّؤْنَ بِهِ وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى مِنْ جَاهُكَ الْأَعْلَى أَغْزَ جَوَارِ
 فَارْفَعْ لَوَاءَ الْفَخْرِ غَيْرَ مَدَافِعِ وَاسْحَبْ ذِيُولَ الْعَسْكَرِ الْجَرَارِ
 وَاهْنَا بِأَعْيَادِ الْفَتْوحِ مَحْوَلَا مَا شِئْتُ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارِ
 وَإِلَيْكُمَا مِنْ رَوْضِ فِكْرِي نَفْحَةٌ شَفِ الثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الْأَزْهَارِ
 فِي فَصْلِ مَنْطِقِهَا وَرَائِقِ رَسْمِهَا مُسْتَمْتِعِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ
 وَتَعْمِلُ مِنْ أَصْغَى لَهَا فَكَأَنِّي عَاطِيَتُهُ مِنْهَا كُؤُسَ عُقَارِ
 وَأُنْشِدُ السُّلْطَانَ فِي لَيْلَةِ مِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَبَ مَا فَرَّغَ مِنْ
 اللَّبْنِيَةِ الشَّهِيرَةِ بِيَابِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

تَأَمَّلْ أَطْلَالَ الْهُوَى فَتَأَلَّمَا وَسَيَا الْجَوَى وَالسَّقَمَ مِنْهَا تَعَلَّمَا
 أَخُو زُفْرَةٍ هَاجَتْ لَهُ مِنْهُ ذِكْرَةٌ فَأُنْجِدَ فِي شَعْبِ الْغَرَامِ وَأَنْتَهُمَا
 وَسَرَدَ لِسَانُ الدِّينِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِطَوْلِهَا ، وَهِيَ تَقَارِبُ التَّسْعِينَ بَيْتًا ، ثُمَّ قَالَ
 مَا نَصَهُ : وَأُنْشِدُ السُّلْطَانَ فِي وَجْهَةٍ لِلصَّيْدِ أَعْمَلَهَا ، وَأُطْلِقُ أَعْنَةَ الْجِيَادِ فِي مِيَادِنِ
 ذَلِكَ الطَّرَادِ وَأُرْسِلُهَا ، قَوْلُهُ :

حَيَّاكَ يَا دَارَ الْهُوَى مِنْ دَارِ نَوَى السَّمَاءِ بِدِيْمَةٍ مِدْرَارِ
 وَأَعَادَ وَجْهَ رَبَّاكَ طَلْقًا مَشْرِقًا مُتَضَاحِكًا بِمَبَاسِمِ النَّوَارِ

(١) فِي ب « نَاهَتْ بِكُلِّكَلْهَا » تَحْرِيفٌ ، وَأَصْلُ هَذَا قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :
 قَفَلْتُ لَهُ لَمَّا تَعَطَّى بَصْلَهُ وَأُرْدَفَ أَعْجَازًا وَتَاهَا بِكُلِّكَلِ

أمد كرى دار الصبابة والهوى
عاطيتنى عنها الحديث كأنما
إيه وإن أذكيت نار صباي
يا زاجر الأظعان وهى مشوقة
حنت إلى نجد وليست دارها
شافت به برق الحمى واعتادها
هل تبلغ الحاجات إن حملتها
عرض بذكري فى الخيام وقل إذا
عار بقومك يا ابنة الحيين أن
أمنعت ميسور الكلام أبا الهوى
وأبان جارى الدمع عذر هيامه
هذا وقومك ما علمت خلاهم
الله فى نفس شعاع كلما
بالله يا لمياء ما منع الصبا
يا بنت من تشدو الحداة بذكره
ما ضر نسمة حاجر لو أنها
هل بانه من بعدنا متأود
وهل الظباء الأنسات كمهدنا
يفتكن من قاماتها ولحاظها
أشعرت قلبى جبهن صبابة

حيث الشباب يروى غصن نضار
عاطيتنى عنها كؤس عقار^(١)
وقدحت زند الشوق بالتذكار^(٢)
أشبهتها فى زفرة وأوار
وصبت إلى هندية والغار
طيف الكرى بمزارها المزوار
إن الوفاء سجيصة الأحرار
جئت العقيق مبالغ الأوطار
تلوى الديون وأنت ذات يسار
وبخلت حتى باخيل السارى؟
لكن أضعت له حقوق الجار
أوفى الكرام بذمة وجوار
هب النسيم تطير كل مطار
أن لا تهب بعرفك المعطار
متعللين به على الأكوار^(٣)
أهدت لنا خبراً من الأخبار؟
متجاوب مترنم الأطيوار؟^(٤)
يصرعن أسد الغاب وهى ضوار؟
بالمشرفة والقفا الخطار
فرميننى من لوعتى بحمار

(١) العقار - بالضم ، بزة غراب - الحر .

(٢) « إيه » اسم فعل معناه زدنى من حديثك .

(٣) تشدو : تغنى ، والحداة : جمع حاد ، وهو سائق الإبل .

(٤) البان : ضرب من الشجر ، ومتأود : متن .

وعلى الكتيب سوانح حمر الحلى يبيض الوجوه يُصَدِّنَ بالأفكار^(١)
أذني الحجيج جواهر ثلاثة بمنى لَوَأَنَ منى بدار قرار
لكن يوم نفر جُدْنَ لنا بما عودتنا من جفوة ونفار
يا ابن الألى قد أحرزوا خصل العلا وسموا بطيب أرومة وبجار
وتنوب عن صوب الغمام أ كفهم وتنوب أوجههم عن الأقمار
من آل سعد رافعى علم الهدى والمصطفين لنصرة المختار
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم ومشرف الأعصار والأمصار
وجه كما حَسَرَ الصباح نقابه ويد تمد أمانلا ببحار
جددت دون الدين عزمة أروع جددت منها سنة الأنصار
حُطَّت البلاد ومن حوته ثغورها وكفى بسعدك حاميا لذمار
لله رحلتك التي نلنا بها أجزر الجهاد وزهة الأبصار
أوردتنا فيها لجودك مورداً مستعذب الإيراد والإصدار
وأفضت فينا من نذاك مواهبها حسنت مواقعها على التكرار
أضحكت ثغر الثغر لما جثته وخصصته بخصائص الإيثار
حتى الفلاة تقيم يوم وردتها سنن القرى بثلاثة الأنوار
وسرت عقاب الجوتهديك الذى تصطاد من وحش ومن أطيّار
والأرض تعلم أنك الغوث الذى تُضفى عليها وافي الأستار
ولرب ممتد الأباطح موحش على الربا متباعد الأقطار
همل المسارح لا يراع قنيصه إلا لنبأة فارس مغوار
سرحت عنان الريح فيه وربما

(١) الكتيب : ما اجتمع وتراكم من الرمل ، و « يصدن » - بالبناء للمجهول - وأراد أنه لاسيل إليهن ، وإنما يخطرهن العاشق بخياله وفكره .

باكرته والأفق قد خلع الدجى
 وجرى به نهر النهار كمثل ما
 عرضت به المستنفرات كأنها
 أتبتها غمر الجياد كواكبا
 والهاديات يؤمها عبل الشوى
 أزجيتها شقراء راتقة الحلى
 أثبت فيه الرمح نم تركته
 حامت عليه الذابلات كأنها
 طفت أرانبه غداة أثرتها
 هل ينفع الباع الطويل وقد غدت
 من كل منحفر بلحة بارق
 وجوارح سبقت إليه طلابها
 سود وبيض في الطراد تتابعت
 ترى بها وهى الحنايا ضمرا
 ظنت بأن ينجوها ، كلا ! ولو
 وبكل فتحاء الجناح إذا ارتمت
 زجل الجناح مصفق كمن الردى
 أجلى الطريد من الوحوش وإن رى
 وأرئنا الكسب الذى أعداده
 بيض وصفر خلت مطرح سرحها
 مسح ليلبس حلة الإسفار
 سكب القديم سلافة من قار
 خيل عراب جئن فى مضار
 تنقض رجا فى سماء غبار
 متدفق كتدفق التيار
 فرميته منها بشعلة نار
 خضب الجوانح بالدم الموار
 طير أوت منه إلى أوكار^(١)
 تبغى الفرار ولات حين فرار
 يوم الطراد قصيرة الأعمار
 فأت خطاه مدارك الأبصار
 فكأنما طالبه بالثار
 كالليل طارده بياض نهار
 مثل السهام نزعن عن أوتار
 ولو أغريته بأرانب الأقار
 فكأنها نجم السماء السارى
 فى مخلب منه وفى منقار^(٢)
 طيرا أذاك به على مقدار
 ملأت جمالا أعين النظر
 روضا تفتح عن شقيق بهار

(١) الذابلات : أراد بها الزماح ، والأوكار : جمع وكر - بالفتح - وهو عش الطائر

(٢) زجل الجناح : أراد أن لجناحه خفيها وصوتا .

من كل مَوْشَى الأديم مَقُوف
رقت بدائعُه يد الأقدار
خلط البياض بصفرة في لونه
فترى اللجين يشوب ذوب نصار
أو أشعل راق العيون كأنه
عَلَسَ تخالط سُدْفَه بنهار
سرحت بمخضر الجوانب يانع
تفساب فيه أراقم الأنهار
قد أَرْضَعْتَه الساريات لبانها
وحلن فيه أزرة النوار
أخذت سعودك حذرًا فلحكمة
أغرّت جفون المزن باستعبار
لما أرتك الشمس صفرة حاسد
لجينة كالتألق الأنوار
نفثت عليك السحب نفثة معوذا
من عينها المتوقع الإضرار
فارفع لواء الفخر غير مدافع
واسحب ذيول العسكر الجرار
واهناً بمقدمك السعيد مُحَوَّلاً
ما شئت من عز ومن أنصار
قد جئت دارك محسناً ومؤملاً
تمت بالحسنى وعقبى الدار
وإليكها من روض فكرى نفعه
شفّ الثناء بها على الأزهار
ومن شعره في غير المطولات قوله :

لقد زادني وجدا وأغرى بى الجوى
ذُبَالٌ بأذيال الظلام قد النفا^(١)
تشير وراء الليل منه بنانة
مُخَضَّبَةٌ والليل قد حجب الكفا
تلوح سنانا حين لا تنفج الصبا
وتُبْدِي سواراً حين تَغْنِي له العظفا
قطعت به ليلاً يطارحنى الجوى
وأونة يبدو وأونة يخفى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه
وإن قلت لا يخفى الضياء به كفا
إلى أن أفاق الصبح من غمر الدجى
وأهدى نسيم الروض من طيبه عَرَفَا
لك الله يا مصباح أشبهت مهجتي
وقد شفها من لوعة الحب ما شفا

(١) الوجد — بالفتح — شدة العشق ، وأغراه به : حرضهم عليه ،
والذبال — بالضم ، بزة الغراب — أراد به المصباح .

ومما ثبت له صدر رسالة :

أزور بقلبي معهد الأنس والهوى وأنهب من أيدي النسيم رسائل
ومهما سألت البرق يهفو من الحمى يبادره دمعي مجيبا وسائل
فيأليت شعري والأمانى تَعَلُّلُ أيرعى لى الحى الكرام الوسائل
وهل جيتى الأولى كما قد عهدتهم يؤالون بالإحسان مَنْ جاء سائلا
ومن أبياته الغراميات :

قيادى قد تملكه الغرام ووجدى لا يطاق ولا يرام
ودمعي دونه صَوَّبَ الفوادي وشجوى فوق ما يشكو الحام
إذا ما الوجد لم يبرح فوادي على الدنيا وساكنها السلام

وفى غرض يظهر من الأبيات :

ومشتمل بالحسن أخوى مُهْمَقَهف قضى رجع طرفى من محاسنه الوطر^(١)
فأبصرت أشباه الرياض محاسنا وفى خده جرح بدا منه لى أثر
فقلت لجلاسى خذوا الحذر إنما به وَصَّبَ من أسهم القَنْجِ والخور
ويا وجنة قد جاورت سيف لحظه ومن شأنها تَدَمَّى من الملح بالبصر
تخيّل للعينين جرحا وإنما بدا كَلَفٌ منه على صفحة القمر

ومما يرجع إلى باب الفخر ، ولعمري لقد صدق :

الأئمة فى الجود والجود شيمة جُبِلْتُ على إثارها يوم مولدى
ذرينى فلو أننى أَخْلَدُ بالغنى لسكنت ضنينا بالذى ملكت يدى

وقال :

لقد علم الله أنى امرئ أجزر ذيل العفاف القشيب

(١) الأخوى : الوصف من الخوى - بالفتح مقصورا - وهو من كانت به الحوة - بضم الحاء وتشديد الواو - وهى سمرة إلى الخضرة ، وقيل : حمرة إلى السواد ، وهى أيضا سمرة الشفة ، والأثنى حواء ، والجمع حو

فكم غمَّضَ الدهرُ أحفانه وفازت قِدَاحِي بوصل الحبيب
 وقيل رقيقك في غفلة فقلت أخاف الإلهَ الرقيب
 وفي مدح كتاب « الشفاء » طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عند ما شرع
 في شرحه :

ومسرى ركاب للصبا قد وُنتَ به	نجايب سحب للتراب نزوعها
تسلُّ سيوف البرق أيدي حُدَاتِها	فتنهلُّ خَوْفاً من سطاها دموعها
تعرضن غربا يبتغين معرِسا	فقلت لها مراكش ور بوعها
لتسقى أجداثا بها وضراً	عِياضٌ إلى يوم المعاد ضجيجُها ^(١)
وأجدر من تبكى عليه راعة	بصفحة طرس والمداد نجيعها ^(٢)
فكم من يد في الدين قد سلفت له	يرضى رسول الله عنه صنيعها
ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه	فقد بان فيه للعقول جميعها
بمراة حسن قد جَلَّتْها يد النهى	فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد يجنُّها	وأسرار غُيِّبِ والبراع تزيّعها
لقد خُزَّتْ فضلاً يا أبا الفضل شاملاً	فيجزيك عن نصيح البرايا شفيّعها
ولله ممن قد تصدى لشرحه	قلبا من غر المعاني مُطِيعها
فكم مجمل فصلت منه وحكمة	إذا كنتم الإدماج منه تشيّعها
محاسنُ والإحسان يبدو خلاها	كما افترَّ عن زهر البطاح ربيعها
إذا ما أجلَّتْ العين فيها تخالها	نجوماً بأفاق الطروس طلوعها
معانيه كالماء الزلال الذي صرى	وألقاظه در يروى نصيّعها
رياض سقاها الفكر صوبَ ذكائه	فأخصب للوراد منها سرّيعها

(١) أراد القاضي عياض بن موسى اليحصي مؤلف كتاب « الشفاء » ، بالتعريف بحقوق المصطفى «

(٢) النجيع ، في الأصل : الدم

تفجر عن عين اليقين زلالها فلذَّ لأرباب الخلوص شروعا
ألا يا ابن جار الله يا ابن وليه لأنت إذا عدَّ الكرام رفيعها
إذا ما أصول المرء طابت أرومة فلا عجب أن أشبهتها فروعها^(١)
بقيت لأعلام الزمان تنيلها هدى ، ولأحداث الخطوب تروعها

مولده رابع عشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعائة ، انتهى كلام لسان الدين في الإحاطة في ترجمة تلميذه أبي عبد الله بن زمرك .

قلت : ورأيت بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين - رحمهما الله تعالى - على هامش هذه الترجمة من « الإحاطة » كلاما في حق ابن زمرك رأيت أن أذكره بجملة الآن ، وإن تقدم بعضه في هذا الكتاب .

فمن ذلك أنه كتب على حاشية أول الترجمة ما صورته : اتبه الله تعالى خزيا ! وعامله بما يستحقه ! فهذا ترجمة والدي مولاه الذي رفع من قدره فيه ، ولم يقتله أحد غيره ، كفانا الله تعالى شر من أحسنا إليه ! انتهى .

وكتب على قوله « نشأ عفا طاهراً إلى آخره » ما نصه : هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب ، ابن حداد بالبيازين ، قتل أباه بيده ، أوجعه ضرباً فمات من ذلك ، وهو أخس عباد الله تربية ، وأحقهم صورة ، وأخلمهم شكلاً ، استعمله أبي في الكتابة السلطانية ، فجنينا أيام تحولنا عن الأندلس منه كل شر ، وهو كان السبب في قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي رباه وأدبه واستخدمه ، حسباً هو معروف ، وكفانا الله تعالى شر من أحسنا إليه وأساء إلينا ! انتهى

وكتب على قول والده « فترقى إلى الكتابة إلى آخره » ما صورته : على يد سيدي أبي عبد الله بن مرزوق . ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اه .

(١) الأرومة - بضم الهمزة وفتحها - أصل الشجرة ، ويستعار للحسب

وكتب على قوله « معاذ الهوى أن أصحاب القلب ساليا - إلى آخره » مانصه : هذه القصيدة نظم له مولاي الوالد تغمده الله تعالى برحمته منها النسيب كله ، وهكذا جرت عادته معه في الأمداح السلطانية حضرة الملك ، والله المطلع على ذلك ، قاله ابن المصنف على ابن الخطيب ، انتهى .

وكتب على قوله « لولا تأق بارقي التذكار - إلى آخره » ماصورته : هذا الرجس الشيطان كثيراً ما ينظم في هذا الوزن ، ويتبع حمارة هذه الرأ ، حتى لا يتركها جملة ، إذ الرجل ابن حمار مكارى حداد ، فالنفس تميل بالطبع ، انتهى .

وكتب على قوله « حياك يادار الهوى من دار - إلى آخره » ماصورته : انظر إلى كثرة تحريكه لحمارة هذه الرأ ، علقته له بها ماخوليا ، انتهى .

وكتب على قوله « وجوارح سبقت إليه طلابها - إلى آخره » ماصورته : سرق طردية إبراهيم بن خفاجة ^(١) ، فانظرها تجده سرق المعاني والألفاظ ، مع أن والدي نظم له أكثرها على حسب عادته معه ، قاله على بن الخطيب ، انتهى

وكتب على قوله « يامصباح » مانصه : كان يحب صبيا اسمه مصباح ، وهو الآن مجنون العقل بتونس يحترف بالحياكة ، انتهى .

وكتب على قوله « الأئمة في الجود إلى آخره » ماصورته : كذبت يانجس ، من أين الفخر لك ولبيتك ، لست والله من الجود في شيء ، نعم سخنته عين الجود وكتب على قوله « لقد علم الله أني امرؤ - إلى آخره » مامعناه : لا والله ، فأنت مشهور بكذا ، ياقرء ، فمن أين النفاق وأنت بالأندلس كذا وكذا ؟ إلى أن قال : وأنحسهم بيتا ، قاله مولاك الذي ربيت في نعمته ونعمة الله على بن الخطيب بالقاهرة ، انتهى .

(١) يشير إلى هذا قول لسان الدين عنه في أول ترجمته « خفاجي الزرعة » وقد

نهبنا هناك على هذه النسبة

وقد نسبته إلى ما لا يليق ، فالله أعلم بحقيقة الأمر .

وكتب غيره على قول ابن زمرك « أزور بقلبي - الآيات المتقدمة » عند قوله « سائلا » في موضعين : هما من السؤال ، فحصل على الإيطاء المذموم ، انتهى .

قلت : أما ما ذكره ابن لسان الدين من أن أباه كان ينظم لابن زمرك فذلك والله أعلم كان في ابتداء أمره ، وإلا فقد جاء ابن زمرك في آخر أيام لسان الدين وبعد موته بالبدائع التي لا تنكر ، كما سنذكره ، وأما كونه سعى في قتل لسان الدين مع إحسانه إليه فقد جوزى من جنس عمله ، وقتل برأى من أهله ومسمع ، وأزهقت معه روح ابنه ، حسبا نذكره ، وهذا قصاص الدنيا ، وعفو الله تعالى في الآخرة منتظر للجميع .

ولنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الأحمر في مجلد ضخمة
 رأيته بالمغرب جميع فيه شعر ابن زمرك وموشحاته ، وعرف به في أوله ، إذ قال
 عن ابن الأحمر ما نصه : أما بعد ما يجب من حمد الله تعالى في كل حال ، وشكره على ما أولى
 ويسر من صلاح الأحوال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء
 وسيد الأرسال ، والرضا عن له من صحب وأنصار وآل ، فإن من المعلوم أن
 الأدب له بالنفس علاقة تؤديه إلى الاستحسان ، وتؤثر من اشتهر به من الملاحظة
 بلحظ الحظ مع تعاقب الأحيان ، ولا خفاء أن أيام مولانا الجدل المقدس الغنى بالله
 - تولاه الله تعالى برضوانه - كانت غرراً في وجوه الأيام ، ومواسم تجمع الطم والرم^(١)
 من الرؤساء الأعلام ، الآخذين بأعنة الكلام ، السابقين في حلبة النثار والنظام ،
 وأن الفقيه الرئيس المدرك الناظم النثار أبا عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك
 - عفا الله تعالى عنه - وحسبك بمن ارتضاء مولانا الجدل رحمه الله تعالى لكتابتته ،

(١) يقولون « جاء فلان بالطم والرم » بكسر أولهما ، أما الطم فيريدون به البحر ، وأما الروم فيريدون به الثرى والتراب ، وكأنهم قالوا : جاء بالثرى وبالماء

وصرفه في الوجوه المتعددة من رسالته وحجابه ، وكان بذلك خليقا ، لما جمع من أدوات الكمال علما وتحقيقا ، وإدراكا ونبلا وفقها وأصولا وفروعا وأدبا وتحصيلا ، وبيانا وتفسيرا ونظما وترسيلا ، لما كان قد أخفت الأيام سنَى صبحه ، وخابت وسائل نصحه ، وعادت بعدوانها بعد فوز قدحه ، وعثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أى ذخر فقدوا ، ولا أى مطلق عن تصرفاته الجميلة قيدوا ، مستبصرين بالجهل في دِيَاجِي غيهم ، معجبين بما ارتكبوه من جساد بغيهم ، جميعهم يلحظه بمقل دامية ، وألفاظ حامية ، يصاحبونه بأوجه خلت عن الوجاهة سيماها الحسد ، وضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد

فخر على الآلاء لم يوسد كأن جبينه سيف صقيل
فيا لله من أشلاء هنالك ضائعة ، وأعلاق غير مصونة ، ووسائل مخفورة ، وأدِمة قطعت أرحامها ، ولم يرع ذمامها ، وعانت الأيدي الفاتكة حينئذ على بنيها ، وارتكبوها شنعاء في أهله وذويه :

هل كان إلّا حَيًّا تحيا العبادُ به	هل كان إلّا قَدَى في عين ذى عور ^(١)
إن قال قولاً ترى الأبصار خاشعة	لما يخبر من وحى ومن أثر
يا لهف قلبى لو قد كنت حاضره	غداة جرّعه أدهى من الصبر
لما تركت له شـلوا بمضِيعَة	ولا تولى صريع الناب والظفر
(وكان ما كان مما لست أذكره	فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر)

وإن سأل سائل عن الخبر الذى ألعنا بذكره ، وضما هذا البيت رزأ من فظيع أمره ، فذلك عند ما نسب صاحب الأمر إليه ما راب ، وتلّه^(٢) وابنيه للجبين مُعقرين بالتراب ، وصدمه في جنح الليل والمصحف بين يديه يتوسل بآياته ،

(١) الحيا — بالفتح مقصورا — المطر ، والقذى : ما يقع في العين من غمص ونحوه

(٢) تله للجبين : أوقعه على وجهه .

ويتشفع بعظيم بركانه ، فأخذته السيوف ، وتعاورته الختوف^(١) ، وأذهبه سلبيا قتيلا ، مصيراً مصراع منزله كشيئا مهيبا ، وكنا على بعد من هذه الآزفة التي أورثت القلوب شجناً طويلا ، وذكرنا بعناية مولانا الجد الغنى بالله لجانبه أعظم ذكرا ، فأغرينا برثائه خلداً وفكرا ، وارتجلنا عند ذكره الآن هذه الأبيات إشارة مقنعة وكناية في السلوان مُطْمَعة ، وأرضينا بالشفقة أوداءه ، وأرغمنا بتأبينه أعداءه ، ولما تبلى الصبح لدى عينين ، وتلقينا راية الفرج بالراحتين ، عطفنا على أبنائه عواطف الشفقة ، وأطلقناهم ماعائت الأيدى عليه صلةً لرحم طالما أضاعها من جهل الأذمة ، وأخفر عهود تخدمه لمن سلف من الأئمة ، وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه آمالنا ، وجعلنا ضم ما نثرته الحوادث من منظوماته من أكيد أعمالنا ، وكان تعلق بمحفوظنا جملة وافرة من كلامه ، مشتملة على ما راق وحسن من ثاره ونظامه ، فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه اجتهدنا من رقاعه^(٢) الحائلة المنتهية بأيدي النوائب ، الدائرة المستتلة بتعدى النواصب ، فخلص من الجملة قلائد عقيان ، وعقود در ومرجان ، ترناح النفوس النفيسة لإنشادها ، وتحضر الأبصار والأسماع عند إيرادها ، إلى ما يتخللها من تخليد مآثر سلفنا ، والإشارة بعظيم ملكنا ، فشرعنا في تقييد أو ابداءها الشاردة ، وإحياء رسومها البائدة ، كلنا بالأدب لوضوح فضله ، وتأدية لما يجب من رعاية أهله ، ولتبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبه عليه ، ونظهر ما كنا نضمه من الميل إليه ، في كل ماله أو عليه ، فنقول :

هو الفقيه الكاتب ، الفذ الأوحد ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف الصريحي ، ويعرف بابن زَمَرْك .

أصله من شرق الأندلس ، وسكن سلفه بالبيازين من غرناطة ، وبها ولد ،

(١) تعاورته : تداولته ، والختوف : جمع حنف ، وهو الموت والهلاك .

(٢) الرقاع : الصحف التي كتب فيها ، والحائلة : المتغيرة .

فنشأ ضئيلاً كالشهاب يتوقّد ، مختصر الجرم^(١) والأعين بإطالة فواضله تشهد ،
ومكتب الفئة القرآنية يؤثره بالجناب الممهد ، فاشتغل أوّل نشأته بطلب العلم والدؤب
على القراءة ، وأخذ نفسه بملازمة حلقات التدريس ، ولم يبلغ حد وجوب
المفترضات إلا هو متحمل الرواية ، وملتزم لقرائد^(٢) الدراية ، ومُصّاحج كل يوم
أعلام العلوم ، ومستمد بمصاييح الحدود العلمية والرسوم ، فافتتح أبواب الكتّيب
النحوية بالإمام أبي عبد الله بن الفخار الآية الكبرى في فنّ العربية ، وتردد
الأعوام العديدة إلى قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف فأحسن الإصغاء ، وبذل النحاة
البلغاء^(٣) ، بما أوجب رثاءه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة التي أوتّلها :

* أغرى سرّاة الحى بالإطراق *

واهتدى في طريق الخطبة ومناهج الصوفية بالخطيب المعظم أبي عبد الله بن
مرزوق الوافد على مولانا الجد أبي الحجاج رضی الله تعالى عنه في عام ثلاثة وخمسين
وسبعائة ، وإليه جنح^(٤) ، وإياه قصد عند تقربه إلى المغرب في دولة السلطان أبي
سالم ، فتوجه بالعمامة التي ارتجل بين يديه فيها :

توجّنتي بعمامة توجّجت تاج الكرامة

فروض حمدك يرّهى منى بسجع الجماله

وأخذ علم الأصلين عن الحافظ الناقد أبي علي منصور الزواوي ، وبرع في الأدب ،
أثناء الانقطاع وأوّل الطلب لأبي عبد الله بن الخطيب ، ولكن لم يحمدا بينهما
المال ، واقتدى في العلوم العقلية بالشريف أبي عبد الله التلمساني قدوة الزمان ،
وحصلت له الإجازة والتحديث بقاضي الجماعة وشيخ الجلة أبي البركات بن الحاج ،
وبالخطيب البليغ أبي عبد الله اللوشي ، وبالخطيب الورع أبي عبد الله بن بيشن

(١) انظر ص ٤ من هذا الجزء ، (٢) في ب « لفوائد الدراية »

(٣) بذ النحاة : فاقهم . (٤) جنح : مال

العبدري ، رضى الله تعالى عنه وعن جميعهم ، وبواجب محافظتنا على عهدهم ،
إذ نحن وردنا بالإجازة التامة عَذَبَ ورودهم ، وصل سبينا بهم الكثير من شيوخنا
مثل الإمام المعظم أبى محمد عبد الله بن جزى ، ومعلمنا الثقة المجتهد أبى عبد الله
الشريشى ، والقاضى الإمام أبى عبد الله محمد بن على بن علاق ، وغيرهم ، رحمة
الله تعالى عليهم ! لذلك صار صدرا فى نوادى طلبة الأندلس وأفراد نجباتها ، فما
شاه المحاضر يحمده فى خضله ، ويتلقاه من باهر فضله ، فكاهة ومجالسة أنيقة ممتعة
ومحادثة أريضة مزهرة ، وجواباً شافياً للمعضل ، وذهناً سابقاً لإيضاح المشكل ،
مع انقياد الطبع ، وإرسال الدفعة فى سبيل الخشوع والرفقة ، ورشح الجبين^(١) عند
تلقى الموعظة ، وصوت الوجه بجلباب الحياء ، ومقابلة الناظر إليه بالاحتشام ،
والمبادرة للاستدعاء ، على طهارة وبذل وسع وكرم نفس ، لم يعهد أجمل مشاركة
منه لإخوانه ، ولا أمتع منه بجاهه ، إلى مبالغة فى الهشة والمبرة والإيثار بما منح ،
وجنوح إلى حب الصالحين ، وذلك بالانضواء إلى شيخ الفرق الصوفية الولي
أبى جعفر بن الزيات ، وأخيه الفاضل الناسك شيخنا أبى مهدى ، قدس الله تعالى
مغناه ! وسواهما من أهل الأندلس والعدوة ، وحمله أشد الحمل على كل ملبس
كأبى زكريا البرغواطى وسواه .

ومن تنديراته - زعموا - على أبى الحسن المحروق لميله عنه :

ولد الفقر والرباط ولكن نفسه للسلوك ذات افتقار

وخطب الأدب يافعاً وكهلاً^(٢) ، وحاز علمه إدراكاً ونبلاً ، ولما كانت الحادثة على
مولانا الجد - رحمه الله تعالى ! - واجتاز إلى المغرب كما تقرر فى غير هذا ، كلف به ،

(١) رشح جبينه : أراد أنه يعرق .

(٢) يريد أنه لم يترك طلبه حياته كلها .

وأنس إليه ، خلاوة منطق ورفع استيحاش ومراوضة خلق ، ثم كر في حبة ركابه
فعلت منزلته ، ولطف محله .

وقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبدئ فيها ويعيد ، ويقول : خدمته سبعا وثلاثين
سنة : ثلاثة بالمغرب ، وباقيها بالأندلس ، أنشدته فيها ستا وستين قصيدة في ستة وستين
عيدا ، وكل مافي منازل السعيدة من القصر والرياض والدار والسبيكة من نظم رائق ،
ومدح فائق ، في القباب والطافات والطرز وغير ذلك ، فهو لى ، وكنت أواكله
وأواكل ابنه مولاى أبا الحجاج ، وهما كبيراء ملوك أهل الأرض ، وهناته بكذا
وكذا قصيدة ، وفوض لى فى عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين ، وصلاح النصارى
عقدته تسع مرات ، ألحست فوض لى ذلك ؟

قلنا : صدق فى جميع ما ذكره ، والعقود بذلك شاهدة له ، وخصه عام ثلاثة
وسبعين بكتابة سره ، واستعمله بعد أعوام فى السفارة بينه وبين ملوك عصره ،
فحُمد منابه^(١) ، ونمت أحواله ورغد جنابه ، وكان هنالك بعض تقولات تشين
وجه اجتهاده ، وتوى بما احتقبه^(٢) من سوء مقاصده وماصرفه من قبيح أغراضه ،
وهاجت الفتنة ، فكانت سفارته أعظم أسبابها .

وعند الأشد من عمره عرضت لأفكاره تقلبات ، وأقعدته عن قداح السياسة
آفات مختلفات ، وأشعرته حدة ذهنه أن يتخبط فى أشراك وقعات ، فقعد بجامع
مالقة ثم بمسجد الحمراء ملقيا على الكرسي فنونا جمة ، وعلوما لم يزل يتلقاها عن
أولياء التعظيم والتجلة ، فاحاز إلى مادة أمم بمالقة طما منهمم البحر ، وتراى
لأبصارهم وبصائرهم الفخر ، وكان التفسير أغلب عليه لقرط ذكائه ، وما كان
قيده وحصله أيام قراءته وإقرائه ، فما شئت من بيان ، وإعجاز قرآن ، وآيات توحيد

(١) منابه : مصدر ميمي فعله « ناب عنه ينوب »

(٢) احتقب فلان إنما : ارتكبه ، وحرفيته أنه جعله فى حقيقته .

وإخلاص، ومناهج صوفية تؤذن بإخلاص ، يوم الأخذ بالنواص^(١) ، ومرارعة سمع ما يلقيه وليُّ الأمر ، وياشدة البلوى التي أذاقه مرَّها ، وأمطاه إلى طِيَّةِ الهلاك ظَهَرها ، ويا قرب ما كان القوت ، والحسام الصَّلَت ، من متباعد هذا القرب التي أُلغيت .

قلنا : لقد جمع جواد القلم فأطلقنا ونحن نشير إلى هذا الرئيس وتبدل طباعه ، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعهم ، وإحراز شيم أدت إلى علو مقداره ، واستقامة مَدَّاره ، فآل عمر مولانا جدنا إلى النفاد ، ورمت رئيس كتابه هذا أسهم الحساد ، فظهر الخفي ، وسقط به الليل على سِرِّ حَن ، وقد طالما جرب الوفي والصوفي ، وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الأمر من حُجَّاب الدولة ، والاسترسال في الرد عليهم بالطبع والجيلة ، مع الاستغراق في غمار الفتن أندلسا وغربا ، ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغصبا ، أما الجراءة فانتضى سيوفها ، وأما إكفاء السماء على الأرض فقواصم نوع صنوفها ، وأما المجاهرة فوقف بميدان الاعتراض صفوفها ، وأما الجمالة فنكر معروفها ، أذاه هذا النبا العظيم إلى سكنى المعتقل بقصبة المربة ، وعلى الأثر كان الفرج قريبا ، وسطور المؤاخذة قد أوسعها الغفو تضريبا ، ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغنى بالله ، وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبعائة ، لأسباب يطول شرحها أظهرها شَرَّاسة في لسانه ، واغترار بمكانه ، وتضريب بين خدام السلطان وأعوانه ، فكبكا لليدين والقم ، إلى أن من الله تعالى بسَرَاحه ، وأعادته إلى الحضرة في أول شهر رمضان المعظم من عام أربعة وتسعين وسبعائة ، فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله تعالى ! وقيام أخينا محمد مقامه بالأمر ، فاستمر الحال أياما قلائل ، وقدم للكتابة الفقيه

(١) يوم يؤخذ بالنواصي : يوم القيامة ، وهذا من تعبيرات القرآن الكريم ،

والنواصي : جمع ناصية وهي هنا الرأس

ابن عاصم لمدة من عام ، ثم أعاد المذكور إلى خطته وقد دَمَتَتْ بعضُ أخلاقه ،
 وخذت شرسته وحلا بعض مذاقه ، فما كان إلا كلاً وليت^(١) وإذا به قد ساء^(٢)
 مشهداً وغَيِّباً ، وأوسع الضمائر شكاً ورَبِّياً ، وغلبت الإحْنُ عليه ، وغلت مراجلها
 لديه ، فصار يتقلب على جمر الفَضَى ، ويتبرَّم بالقضا ، ويظهر النصيح وفي طيه
 التشفُّي ، ويسِمُ نفسه بالصالح ، ويعلن بالخشوع ، ويشير بأنه الناصح الأمين ،
 ويتلو قوله تعالى (ولكن لا تحبون الناصحين) ورتب على المشتغلين كبيرهم وصغيرهم
 ذنوباً لم يقرّفوها ، ونسب إليهم نسباً من التضييع لم يعرفوها ، وأنهم احتجّوا
 الأموال ، وأساؤا الأعمال والأقوال ، فلم يظفر من ذلك بكبير طائل ، ولا حصّل
 على تفاوت أعداده على حاصل ، هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية ،
 وعدم اضطلاع بالأمور الجبائية ، فمن نفس يروّع سِرْبُها ، ويكدر بالامتحان
 والامتحان شربها ، ومن ضارعة خاشعة لله تعالى سلبت ، وطولبت بغير
 ما اكتسبت ، وتعدت الأيدي إلى أقوام جلة سعدوا بشقائه ، وامْتَحَنُوا وهم المبرؤن
 من تزويره واعتدائه ، وسيستلون يوم لا يغنى مال ولا بنون ، وصار يصرف
 أغراضه ، ويظهر أحقادَه ، بين إفصاح بما كان الإجماع خيراً من إلقائه ، وإن
 عمر المسكين المستضعف لا حاجة في طول بقاءه ، إلى مجاهرة عهد منه أيام شببته
 نقيضها ، وانعكس في شاخته تصرّيحها المنعص وتعريضها ، لا يريح نفسه من
 جَهد ، ولا يقف من اللجاجة عند حد ، وقد كان ثقل سمعه فساءت إجابته^(٣) ،
 وطغت أخلاقه فسئمت وساطته ، ور بما استحلّف فلم يكن بين اللازمة واللازمة
 إلا الحنث عن قصد وغير قصد ، ودعا على نفسه وأبنائه بإنجاز وعد ، وأن يقبض
 الله^(٤) ولهم قاتل عمد ، فسبحان القاهر فوق عباده ، الرحيم بهذا الشخص وبالأموال

(١) المشهور أن يقال عند إرادة السرعة « كلا ولا »

(٢) هذا من مثل ، يقولون : « أساء سمعا فأساء إجابة » و « أساء سمعا فأساء

جابه » بغير همزة في « جابه » مثل طاعة من أطاع .

(٣) قبض الله ذلك الأمر : قضاء وهياً أسبابه ومكن منه .

من شيعته وأولاده ، فاستمرّ على ذلك إلى إحدى الليالي ، فهلك في جنح الليل في جوف داره على يد مخدمه ، تلقاه زعموا عند الدخول عليه ، وهو بالمصحف رافع يديه ، فجذّله السيوف ، وتناولته الحتوف ، فقضى عليه ، وعلى من وجد من خدامه وابنيه ، كل ذلك بمراى عين من أهله وبناته ، ولم يتقوا الله فيه حقُّ نُقَاتِهِ ، فكانت أنكى الفجائع ، وأفظع الوقائع ، وساءت القالة ، وعظم المصائب ، وكل شيء إلى أجل نافذ وكتاب ، انتهى كلام ابن الأحرر في مقدمة كتابه .

وقد اطلعت منه على تصاريف أحوال ابن زمرك ، وقتله على الوجه الذي يعلم منه أن ثار لسان الدين بن الخطيب لديه لا يترك ، بل قتلته أفضع من قتلة لسان الدين ، لأن هذا قتل بين عياله وأهله ، وقتل معه أبناءه ومن وجد من خدمه ، ولسان الدين رحمه الله تعالى خفق بمفرده ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وهو العفو الغفور .

وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وسبعين وسبعائة ، ولم أقف من أمره على غير ما تقدم .

ولا بأس أن نلم بشيء من نظمه البارع مما كنت انتقيته بالمغرب من تأليف ابن الأحرر المذكور ، وأوردت كثيرا منه في « أزهار الرياض »

فمن ذلك قوله في ذكر غرناطة العلية ، وتهنئة سلطانه الغنى بالله ببعض المواسم

العيدية ، ووصف كرائم جياده ، وآثار ملكه وجهاده :

يا من يحن إلى نجد وناديهها غرناطة قد ثوت^(١) بنجد^(٢) بواديهها^(٣)

قف بالسبيكة وانظر ما بساحتها عقيلة والكئيب الفرد جالها

تقلدت بوشاح النهر وابتسمت أزهارها وهى حلى في تراقيها^(٤)

(١) ثوت : أقامت .

(٢) التراقي : جمع رقوة ، وهو العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق ، وأراد

هنا النحر ؛ إذ هو موضع الحلى .

لابن زمرك
في التهنئة بالعيد

وأعين النرجس المطلول يانعة وترقو الطل دمعاً في مآقيها^(١)
وأفترّ ثغر أفاح من أزهارها مقبلاً خدّ ورد من نواحيها
كأنما الزهر في حافاتها سحراً والنسيم اللدن يجيئها^(٢)
وانظر إلى الدّوح والأنهار تكتنفها مثل الندامى سواقبها سواقبها^(٣)
كم حولها من بدور تجتني زهراً فتحسب الزهر قد قبلن أيديها
حسباؤها لؤلؤ قدشف جوهرها والنهل قد سال دُوباً من لآليها
نهر المنجم والزهر المطيف به زهر النجوم إذا ما شئت تشبيها
يزيد حسناً على نهر الحجرة قد أغناه در حَبَاب عن دراريها
يدعى المنجم رائيه وناظره مسميات أبانتها أساميها
إن الحجاز مغانيه باندلس ألقاها طابقت منها معانيها
فتلك نجد سقاها كل منسجم من الغمام يجيئها فيجيئها
وبارق وعذيب كل مبتسم من الثغور يحليها بحليها
وإن أردت ترى وادى العقيق فردّ دموع عشاقها حمراً جواربها
وللسبيكة تاج فوق مفرقها تود در الدارارى لو تحليها
فإن حمراءها والله يكلؤها ياقوتة فوق ذاك التاج يعليها
إن البدور لتيجان مكحلة جواهر الشهب في أبهى محاليها
لكنها حسدت تاج السبيكة إذ رأت أزهاره زهراً يحليها
بروجها نبروج الأفق مخجلة فشبهها في جمال لا تضاهيها
تلك القصور التي راقت مظاهرها تهوى النجوم قصوراً عن معاليها
لله عينا من رأى سحراً تلك المنارة قد رقت حواشيها

(١) المطلول : الذى أصابه الطل وهو خفيف المطر .

(٢) النسيم اللدن : أراد الهواء الرطب الذى لا حر فيه

(٣) الدوح : الأشجار العظيمة ، والأنهار تكتنفها : تحيط بها .

والصبح في الشرق قد لاحت بشارته
تهوى إلى الغرب لما غالما سحر
وساجع العود في كف النديم إذا
يبدى أفانين سحر في ترنمه
يحبسه ناعم الأطراف تحسبها
مقاتل بلحظ قوس حاجبها
فباكر الروض والأغصان مائلة
لم يرقص الدوح بالأكام من طرب
وأسمعتها فنون السحر مبدعة
غرناطة آنس الرحمن ساكنها
أعدى نسيمهم لطفًا نفوسهم
فخلد الله أيام السرور بها
وروض المحل منها كل منبجس
يحكي الخليفة كفا كلما وكفت
تغنى العفّة وقد أمت مكارمه
لها بنان فلا غيث يساجلها
فان تصب سحبه بالماء حين همت
يا أيها الغيث أنت العوث في زمن
إن الرعايا جزاك الله صالحه
إن الخلائق في الأفطار أجمعها

والشهب تستن سباقا في مجاريها^(١)
وعمّض الفجر من أجفان واشيها
ما استوقف الطير يديها ويقرها
يصبي العقول بها حسنا ويسبها
لآلئها وهى نور في تلاليمها
ترمي القلوب بها عمدا فتضميها^(٢)
يثنى النفوس لها شوقا تثنّيها
حتى شدا من قيان الطير شاديها
ورق الحمام وغناها مغنيها
باحث بسر معانيها أغانيها
فرقة الطبع طبع منه يعديها
صغرا عشياتها بيضا ليلها
إذا اشتكت بغليل الجذب يرويها
بالجود فوق موات الأرض يحييها
عن السؤال وبالإحسان يغنيها
جودا ولا سحبه يوما تدانيها
بعسجد ولجين صاب هامها
ملوكه تلفت لولا تلافيهما
ملكك شرقا وغربا من يراعيها
سواكم أنت في التحقيق راعيها

(١) « تستن » أصله أن يقال في الفرس إذا عدا من النشاط

(٢) رماء فأصاهم: أى أصاب منه مقتلا.

فكل مصلحة للخلق تحكما وكل صالحة في الدين تنويها
 إذا تيممت أرضا وهي مجدية فرحة الله بالسقيا تحيها
 يارحمة بثت الرحى بأندلس لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها
 في فضل جودك قد عاشت مشيختها في ظل أمنك قد نامت ذراريها
 في طول عمرك يرجو الله آمها بنصر ملكك يدعو الله داعها
 عوائد الله قد عودت أفضلها لتبلغ الخلق ما شاءت أمانها
 سلّ السعود وخل البيض مغمدة واضرب بها فرية التلث تفريها^(١)
 لله أيامك الغر التي أطردت فيها السعود بما ترضى ويرضيها
 لله دوائك الغراء إن لها لكافلا من إله العرش يكفيها
 هيات أن تبلغ الأعداء مأربة في جريها وجنود الله تحميها
 هذى سيوفك في الأجفان نائمة والمشركون سيوف الله تفنيها
 سريرة لك في الإخلاص قد عرفت حسنى عواقبها حتى أعادها
 لم يحجب الصبح شهب الأفق عن بصر إلا وهديك للأبصار يبيديها
 يا ابن الملوك وأبناء الملوك إذا تدعو للملوك إلى طوع تلبيها
 أبناء نصر ملوك عز نصرهم وأوسعوا الخلق تنويها وترفيها
 هم المصابيح نور الله موقدها تضىء للدين والدنيا مشاكها^(٢)
 هم النجوم وأفق الهدى مطلعها فوزا لمهديها عزا لهاديها
 هم البدر كمال ما يفارقها هم الشمس ظلام لا يوارها
 قضت قواضها أن لا انقضاء لها وأمضت الحكم في الأعدا مواضها
 وخلدت في صفاح الهند سيرتها وأسندت عن عواليها معاليها

(١) الفرية — بكسر الفاء وسكون الراء — الكذب ، وتفريها : مضارع «فري الشيء يفريه فريا» — مثل رمى — إذا قطعه وشقه .

(٢) المشاكى : جمع مشكاة ، وهى الكوة غير النافذة ، وهى أيضا الأنوبة فى وسط القنديل ، وفى القرآن الكريم (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)

وأورثتك جهادا أنت ناصره
 كم موقف ترهب الأعداء موقعه
 نارت عجاجته واليوم محتجب
 والأسنة شهب كلما غربت
 وللسيوف بروق كلما لمعت
 أطلعت وجهاتريك الشمس غرته
 من أين للشمس نطق كله حكم
 لك الجياد إذا تجرى سوابقها
 إذا انبرت يوم سبق في أعنتها
 من أشهب قد بدا صبحا ترع له
 إلا التي في لجام منه قيدها
 أو أشقر مرعب شقر البروق وقد
 أو أحمر جهره في الحرب متقد
 لون العقيق وقد سال العقيق دما
 أو أدهم ملء صدر الليل تنعله
 إن حارت الشهب ليلافي مقلده
 أو أصفر بالعشيات ارتدى مرحا
 مموه بنضار تاه من عجب
 ورب نهر حسام رق رائقه
 تجرى الرؤس حبابا فوق صفحته
 والأجر منك يُرضيها ويخطيها
 والخيّل ترّدى ووقع السيف يُرديها
 والنقع يؤثر غيا من دياجيتها^(١)
 في الدارعين تجلت من عواليها
 تزجي الدماء وريح النصر يُزجيهما^(٢)
 تبارك الله ما شمس تساميهما
 يفيدها كل حين منك مبيدتها
 فللرياح جياذ ما تجاريها
 ترى البروق طلاحا لا تباريها
 شهب السماء فإن الصبح يخفيها
 فإنه سامها عزا وتنوينا
 أبقى لها شققا في الجو تنبئها
 يعلو لها شرر من بأس مذكيتها
 بعطفه من كمأة كاد يدميها
 أهلة فوق وجه الأرض يبيدتها
 فصبيح غرته بالنور يهديها
 وعرفه بتأدى الليل ينبئها
 فليس يعدم تنوينا ولا تنبئها
 متى ترده نفوس الكفر يرديها
 وما جرى غير أن البأس يجريها

(١) العجاجة — بالفتح كسجاجة — الغبار ، والنقع : ما نثر من التراب من أثر

حوافر الخيل ، والدياجي : الظلم ، واحدها ديجاة

(٢) يزجيهما : يسوقها ويدفعها

وذابل من دم الكفار مَشْرَبَه
 وكُم هلالٍ لقوسٍ كَلَّا نَبَضَتْ
 أئمة الكفر ما يَمْتَسَّ ساحتها
 يا دولة النصر هل من مبلغ دولا
 أو مبلغ سالف الأنصار مَأْلَكَة
 إن الخلافة أعلى الله مظهرها
 يا ابن الذين لهم في كل مكرمة
 أنصار خير الورى مختار هجرته
 ستمهم الملة السمحاء تكرمة
 ففي حُذَيْن وفي بَدْر وفي أُحُد
 ولتسأل السير المرفوع مُسْتَنْدُها
 مآثر خَلَدَ الرحمن أثرها
 ماذا يجيّد بليغ أو ينمقه
 له الجهاد به تسرى الرياح إلى
 تُحْدَى الركاب إلى البيت العتيق به
 بشائر تسمع الدنيا وساكنها
 كفى خلافتك الغراء منقبة
 وقد أفاد بنيه الدهرُ تجربة
 إذا رميت سهام العزم صائبة
 شكرا لمن عظمت منا مواهبه
 يَجْنِي الفتوح وكف النصر تجنيها
 ترى النجوم رجوماً في مراميها
 إلا وقد زُلْزِلَتْ قسراً صَيَاصِيها^(١)
 مَضَيْنَ أنكَ تحييها وتنسيها
 والله بالخلد في الفردوس يجزيها^(٢)
 أبقت لنا شرفاً والله يبقيها
 مفاخر ولسان الدهر يملئها
 جيران روضته، أكرم بأهلها
 أنصارها، وبهم عزت أواليها
 تلقى مفاخرهم مشهورة تها
 فعن مواقفهم تروى مغايرها
 ينصّها من كتاب الله قاريها
 من الكلام ووحى الله تاليها
 ممالك الأرض من شَتَّى أفاصيحها
 فسكة عمرت منه نواديها
 إذا دعا باسمك الأعلى مناديا
 أن الإله يوالى من يواليها
 أن السعود تعادى من يعاديا
 فما رَمِيتَ، بل التوفيق راميا
 وإن تُعَدَّ فليس العد يحصيا

(١) يَمْتَسَّ : قصدت ، والصياصي : الحصون ، واحداً صيصة أو صيصية

(٢) مَأْلَكَة : رسالة

عما قريب ترى الأعياد مقبلة
 وتبلغ الغاية القصوى بشاؤها
 فأهناً بما شئت من صنع تسربه
 مولاي خذها كما شئت بلاغتها
 أرسلتها حيثما الأرواح مرسلة
 جاءت تهنئك عيد الفطر معجبة
 البشر في وجهها ، واليمن في يدها ،
 لورصع البدر منها تاج مفرقه
 فإن تكن بنت فكري وهو أوجدها
 في روض جودك قد طوقتني منناً
 ولو أعرت لسان الدهر يشكرها
 بقيت للدين والدنيا إمام هدى
 والسعد يجري لغايات تؤملها
 من الفتوح ووفد النصر حاديها
 فقد أظلت بما ترصني مباديها
 وأتو الأمانى فالأقدار تدنيها
 ولو تباع لكان الحسن يشريها
 نوادرا تنشر البشري أماليها
 بحسنها ولسان الصدق يطريها
 والسحر في لفظها ، والدرى فيها
 لم يرض در الدرارى أن تحليها
 نعماك في حجره كانت تريها
 طوق الحمام فما سجمي مؤفئها
 لكان يقصر عن شكر يوفئها
 مبلغ النفس ما أرجو أمانيتها
 مادامت الشهب تجري في مجاريها

لابن زمرك
 في الشكر
 وقال رحمه الله تعالى شاكرًا لنعم وصلته من المذكور في عاشوراء :

مولاي يا ابن السابقين إلى العلا
 إن لوحظوا في الملعوات فإنهم
 أو فوخروا في المكرمات فإنهم
 أبناء أنصار النبي وصحبه
 والمؤثرين ، وربنا أثني بها
 فاضت علينا من نذاك غمام
 والرافعين لواءها المنشورا
 طلوعوا بأفاق المعلاء بدورا^(١)
 نظموا بأسلاك الفخار شذورا
 في الذكر أصبح فخرهم مذكورا
 في الحشر خلد وصفهم مسطورا
 وتفجرت من راحتك بحورا

(١) الملعوات : المعالي ، واحدها معلاة ، وكان القياس أن يقال « المعليات »

لأن الألف الرابعة تقلب في التثنية وجمع السلامة ياء

من كف شفاف الضياء تخاله لصفاء جوهره تجسدنورا
نعم منوعة تعدد وفورها أعجزت عنها شكرى الموفورا
فى موسم للدين قد جددته وأقت فينا عيده المشهورا
أضعاف ما أهديتنا من منة تهدي إليك ثوابها عاشورا
وعلى الطريق بشائر محمودة ألقاك جذلانا بها مسرورا

وقال يصف زهر القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح ، وقد وقع له السلطان لابن زمرك
الغنى بالله المذكور بذلك ، فارتجل قطعا منها :
يصف زهر
القرنفل

أتوى بنوار يروق نضارة كحدّ الذى أهوى وطيب تنفسه
وجاؤا به من شاهق متمنع تمنع ذاك الطيب فى ظل مكْنِسِه^(١)
رعى الله منى عاشقا متقنعا بزهر حكى فى الحسن خدمؤنسه
وإن هب خفاق النسيم بنفحة حكى عرفه طيبا قضى بتأنسه
ومنها :

رعى الله زهرا ينتمى لقرنفل حكى عرف من أهوى وإشراق خده
ومنتبته فى شاهق متمنع كما امتنع المحبوب فى تيه صده^(١)
أميل إذا الأغصان مالت بروضة أعانق منها القضب شوقا لقدمه
وأهفو لخفاق النسيم إذا سرى وأهوى أريج الطيب من عرف نده
ومنها :

أقر بعينى أن أرى الزهر يانعا وقد نازع المحبوب فى الحسن وصفه
وما أبصرت عينى كزهر قرنفل حكى خد من يسبى الفؤاد وعرفه
تمنع فى أعلى المضاب للحنن تمنعه منى إذا رمت إلهه

(١) الشاهق : أراد به الجبل العالى الشديد الارتفاع ، والمكْنَس ، ومثله الكناس
بزنة الكتاب - ممكن الظباء

وفي جبل الفتح اجتنوه تفاؤلا بفتح لباب الوصل يمنح عطفه^(١)
وما ضر ذلك الغصن وهو مرشح إذا مائتي نحو المقيم عطفه^(٢)

قال ابن الأحرر في الكتاب المذكور فيما مر : ومن قصائده التي يود الصبح سناها ،
والنسيم اللدن رقة معناها ، يهنئ مولانا الجدرضى الله تعالى عنه عند وصول
خالصة مقامه ، وكبير خدامه ، القائد خالد رحمه الله تعالى من تلمسان بالهدية ،
وتجديد المقاصد الوُدِّيَّة ، ووافق استئناف راحة من الذات العلية ، ومن بعض فروع
دَوَحَتِها الزكية :

لابن زمرك
يمدح ويهنئ

أدرها ثلاثا من لحاظك واحبس فقد غال منها السكر أبناء مجلس
إذا ما نهاني الشيبُ عن أكوسِ الطلا تدير على الخمر منها بأكوسٍ
عذيري من لحظ ضعيف وقد غدا يحكم منا في جسوم وأنفس
وروض شباب ماسَ غصنُ قوامه وفتح فيه اللحظ أزهار نرجس
وما زال ورد الخلد وهو مضجع يعير أفاح الثغر طيب تنفّس
وكم جال طرف الطرف في روض حسنه يقيده فيه العذار بسندس
أما وليالى الوصل في روضة الصبا ومألف أحيائي وعهد تأنسى
لئن نسيّت تلك العهدَ أحبتى فقلبي عهدَ العامرية ما نسى
وحاشى لنفسي بعدما افتَرَّ فؤدُها من الشيب عن صبح به متنفس
وألبسها ثوبَ الوفار خليفة به لبس الإسلام أشرف ملابس
وجدد للفتح المبين مواسمها أقام بها الإيمان أفراس معرس
وأورثه العلياء كل خليفة نماه إلى الأنصار كل مُقدّس
فيا زاجر الأظمان وهى ضوَامر بغير الفلا والوحش لم تتأنّس

(١) العطف — بالفتح هنا — الميل

(٢) العطف — بالكسر هنا — الجانب

إذا جئت من دار الغنى بربه
فإن شئت من بحر السباحة فاغترف
أمولاي إن السعد منك لآية
إذا شئت أن ترمي القصي من المني
فترمي بسهم من سعودك صائب
أهنيك بالإبلال ممن شفاؤه
ودعني أريد يملك فعي غمامة
أقبل منها راحة إثر راحة
ومن نسب الفتح المبين ولادة
فيا أيها المولى الذى بكأله
لأمنت موسى من عوادى سميّه
بعثت بيمينون النقية فى أسمه
فجاءك بالمال العريض هدية
وشفعها بالصافنات كأنها
نقص من الإشراف جيد غزاة
لك الخير موسى مثل موسى ، كلاهما
فلا زلت فى ظل النعيم وكل من
عليك سلام مثل حمدك عاطر
وقال فى مولد عام سبعة وستين وسبعائة
الرفيع المبني :

- (١) عقل دابته : ربطها . وعرس فلان : نزل ليلا ليسترح
(٢) القصي : البعيد المنال ، والمني : جمع منية — بالضم — وهو ما يتمناه الإنسان

تهنئة
لابن زمرك
في المولد النبوي

زار الخيال بأعين الزوراء فجلال سناه غياهب الظلماء^(١)
وسرى مع السمات يسحب ذيله فأتت تم بعنبر وكناء^(٢)
هذا وما شئ ألد من المنى إلا زيارته مع الإغفاء
بتنا خيالين التحفناً بالضي والسقم ما نخشى من الرقباء
حتى أفاق الصبح من غمراته وتجادبت أيدي النسيم رداً
ياسائلي عن سر من أحببته السر عندي ميت الأحياء
تالله لا أشكو الصباية والهوى لسوى الأجابة أو أموت بدائ
يا دين قلبي لست أبرح عانياً أرضى بسقى في الهوى وعنائى
أبكي وما غير النجيع مدامع أذكى ، ولا ضرم سوى أحشائى
أهفو إذا تهفو البروق ، وأثنى لسرى النواسم من رباً تيماء
بالله يانفس الحى رققا بمن أغريته بتنفس الصقدا
عجباله يندى على كبدى وقد أذكى بقلبي جمرة البرحاء^(٣)
يا ساكى البطحاء أى إبانة لى عندكم يا ساكى البطحاء
أترى النوى يوماً تخيب قداحها ويفوز قدحى منكم بقاء
فى حيكم قر فؤادى أفقه تفديه نفسى من قريب نائى
لم تنسى الأيام يوم وداعه والركب قد أوفى على الزوراء
أبكي وييسم والمحاسن تجتلى فعلقت بين تبسم وبكاء
يا نظرة جادت بها أيدي النوى حتى استهلت أدمعى بدماء
من لى بثانية تنادى بالأسى (قدك اتتد أسرفت فى الغلواء)
ولرب ليل بالوصال قطعته أجلو دجاء بأوجهِ الندماء

(١) السنا : الضوء

(٢) الكباء — بكسر الكاف ، بزنة الكتاب — ضرب من عود البخور

(٣) البرحاء — بضم ففتح — شدة الأذى ، والمشقة

أنسيت فيه القلبَ عادةً حلمه
جارت في طلق التصابي جاحها
أطوى شبايى المشيب مراحلا
ياليت شعري هل أرى أطوى إلى
فتطيب في تلك الربوع مدائحي
حيث النبوة نورها متألّق
حيث الرسالة في ثنية قدسها
حيث الضريح ضريح أكرم مرسل
المصطفى والمرضى والمجتبى
خير البرية محبتها ذخرها
تاج الرسالة ختمها وقوامها
لولاه للأفلاك ما لاحت بها
ذو المعجزات الغر والآى الألى
وكفأك رد الشمس بعد مغيبها
والبدر شقّ له وكَم من آية
وبليلة الميلاد كم من رحمة
قد بَشَّرَ الرسل الكرام ببعثه
أكرم بها بشرى على قدم سرت
أمسى بها الإسلام يُشرق نوره
هو آية الله التى أنواره —

وحثت فيه أكوّس السراء (١)
لا أنثى لمَقَادَة النصحاء (٢)
برواحِل الإصباح والإمساء
قبر الرسول صحائف البيداء
ويطول في ذاك المقام ثَوَائِي (٣)
كالشمس تُزْهِى في سَنَى وَسَنَاء
رفعت لهدى الخلق خير لواء
فخر الوجود وشافع الشفعاء
والمُنْتَقَى من عنصر العلياء
ظِلُّ الإله الوارف الأفياء (٤)
وعَمَّادها السامى على النظراء
شهب تنير دياجى الظلماء
أكبرن عن عَدِّ وعن إحصاء
وكفأك ما قد جاء في الإبراء
كأنامل جاءت ينبع الماء
نشر الإله بها ومن نعاء
وتقدم الكهان بالأنباء
في الكون كالأرواح في الأعضاء
والكفر أصبح فاحِمَ الأرجاء
تجلو ظلام الشك أىّ جلاء

(١) حثت الكؤوس : أراد أدرتها
(٢) لا أنثى : لا أرجع
(٣) الثواء — بالفتح — الإقامة
(٤) الأفياء : جمع فيء ، وهو الظل

والشمس لا تخفى مزية فضلها إلا على ذى المقلة العمياء
يا مصطفى والسكون لم تعلق به من بعد أيدي الخلق والإنشاء
يا مظهر الحق الجلى ومطلع النور السنى الساطع الأضواء
يا ملجأ الخلق المشفع فيهم يا رحمة الأموات والأحياء
يا آسى المرضى ومنتجع الرضا ومواسى الأيتام والضعفاء^(١)
أشكو إليك وأنت خير مؤمل داء الذنوب وفى يديك دوائى
إنى مددت يدي إليك تضرعا حاشا وكلا أن يخيب رجائى
إن كنت لم أخلص إليك فإنما خلصت إليك محبتي وندائى
وبسعد مولاى الإمام محمد تعد الأمانى أن يتاح لقائى^(٢)
ظل الإله على البلاد وأهلها فخر الملوك السادة الخلفاء
غيث العباد وليث مُشْتَجِرِ القنا يوم الطعان وفارج الغماء
كالدهر فى سطواته وسماحه تجرى صباه بززع ورخاء^(٣)
رقت سجاياه وراقت محتلى كالنهر وسط الروضة الغناء
كالزهر فى إراقه، والبدر فى إشراقه، والزهر فى لألاء^(٤)
يا ابن الألى إجمالهم وجمالهم فلق الصباح وواكف الأنواء
أنصار دين الله حزب رسوله والسابقون بحبلة العلياء
يا ابن الخلائف من بنى نصر ومن حاطوا ذمار الملة السمحاء
من كل من تقف الملوك ببابه يستمطرون سحائب النعماء
قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى فالرعب رائدهم إلى الأعداء
والعز مجلوب بكل كتيبة والنصر معقود بكل لواء

(١) الآسى : الطيب والمعالج ، وجمعه أساة كقاض وقضاة

(٢) يتاح : يقدر وتنبأ أسبابه (٣) الززع : الريح الشديدة الهبوب

(٤) الزهر : النجوم ، والواحدة زهراء ، والألأاء : الضياء

يا وارثاً عنها مناقبها التي تسمو مراقبها على الجوزاء^(١)
يا فخر أندلس وعِصْمَة أهلها يحزبك عنها الله خير جزاء
كم خضت طوع صلاحها من مهمّة لا تهتدى فيه القطا للماء^(٢)
تهدى بها حادى السرى بعزائم تهدى نجوم الأفق فضل ضياء
فارفع لواء الفخر غير مدافع واستحب ذبول العزة القعساء
واهنأ بمبناك السعيد فإنه كحف ليوم مشورة وعطاء
لله منه هالة قد أصبحت حرّم العفّاة ومصرع الأعداء
تنابها طير الرجاء فتجتني ثمر المني من دَوْحة الآلاء
لله منـه قبة مرفوعة دون السماء تفوت لحظ الرأي
راقت بدائع وشيها فكأنها وشى الربيع بمسقط الأنداء
عظمت ميلاد النبي محمد وشفعته بالليلة الغراء
أحييت ليلك ساهراً فأفدتنا قوت القلوب بذلك الإحياء
يا أيها الملك الهمام المجتبي فانت علّاك مدارك العقلاء
من لى بأن أحصى مناقبك التي ضاقت بهنّ مذاهب الفصحاء
وإليك منى روضة مطولة أرجت أزاهرها بطيب ثناء
فأفسح لها أكناف صفحك إنها بكر أنت تمشى على استحياء

قال ابن الأحمر: ومن إغاريات ابن زمرك الحكمة نسقا ورصفاً، المتناهية في كل فن حسن تحلية غريبة ووصفاً، حسباً اقتضته ملاحظة النسبة الرفيعة مولانا رحمة الله تعالى عليه واحتفاله المناسب لعز ماسكه من تعميم الخلق بالجفلى في دعواهم، واستدعاء أشراف الأمم من أهل المغرب وسواهم، تفننا في مكارم متعددة أيامها

(١) المناقب : المحامد ، واحدها منقبة ، والمراقى : جمع مرقاة ، وهى كل ما تصعد به إلى أعلى كالسلم ، والجوزاء : نجم .

(٢) القطا : طائر كالحمام ، وهو مضرب المثل فى الاهتداء إلى مواضع الماء .

عن أصالة الجدة معربة ، وإغراء لهم الملك بما لتتيمم الأنس من أوضاع مغربة ، ومباهاة بعرض الجيوش والكتائب للعدو الكافر ، وتكاثراً من ممالك دولته بالعدد الوافر ، مما أجم اللسان الذكي عيا ، وغادر الإعذار الذنوبي منسياً ، كافأ الله سبحانه أبوته المولوية عنا وعن آبائنا ، وتلقى بالقبول الكفيل بتجديد الرضوان ما نصل له من خالص دعائنا ، إنه منعم جواد - قوله في الصنيع المختص من ذلك بمولانا الوالد قدس الله تعالى روحه ! وذلك سنة أربع وستين وسبعائة .

* معاذ الهوى أن أصحب القلب سالياً *

القصيدة ، وقد تقدمت بتمامها فراجعها .

لابن زمرك من إعدار : ومن ذلك ما أنشد في الصنيع الثاني الخصوص بعيننا السيدين الأميرين سعد ونصر رحمة الله تعالى عليهما ! وأجاد في وصف الجند والجرود والطلبة وغرائب الأوضاع :

أرسلته دمعاً تَصْرَجُ بالدم	ألمحة من بارق متبسم
يهفو فؤادك عن جوانح مغرم ^(١)	وللمحة تهفو بيبانات اللوى
خلق الهوى تعتاد كل مقيم	هي عادة عذرية من يوم أن
أدرى الهوى ، واليوم أعذل لوى	قد كنت أعذل ذا الهوى من قبل أن
حذر الرقيب ومدمع لم يسجم	كم زفرة بين الجوانح ما ارتقت
هيهات واشى السقم لما يكتم	إن كان واشى الدمع قد كنم الهوى
قد كاد يخفى عن خفي توهم ^(٢)	ولقد أجد هواي رَئِمٌ دارس
فأطلت فيه ترددي وتلوى	وذكرت عهداً في حماء قد انقضى
ورقاء تنفث شجوها بترنم	ولربما أشجى فؤادي عنده

(١) البانات : جمع بانة ، وهي ضرب من الشجر ، وهما فؤاده : تحرك .

(٢) الرسم : ما بقي من آثار الديار لاصقا بالأرض ، والدارس : المتغير .

لا أجذب الله الطلول فطالما
 يا زاجر الأظعان يحفزها الشرى
 لترى دموع العاشقين برسمها
 دمن عهدت بها الشبية والهوى
 وكتيبة للشوق قد جهزتها
 ورفعت فيها القلب بنداً خافقاً
 فأنا الذى شاب الحماصة بهوى
 فطعننت من قد القوام بأسمر
 يا قاتل الله الجفون فإنها
 ظلمت قتيل الحب ثم تبينت
 يا ظبية سنحت بأكناف الحمى
 ما ضر إذ أرسلت نظرة فأتك
 فرأيت جسماً قد أصيب فؤاده
 ولقد خشيت بأن يقاد بحرحه
 كم خضت دونك من غمارمفازة
 والنجم يسرى من دجاء بأسمهم
 والبدر فى صفح السماء كأنه
 والزهر زهر والسماء حديقة
 والليل مربد الجوايح قد بدا
 فكأنما فلق الصباح وقد بدا
 أشجى الفصيح بها بكاء الأنجم (١)
 قف بى عليها وقعة المتلوم (٢)
 حمرًا كحاشية الرداء المُعلم
 سقيًا لها ولعهدا المتقدم
 أغزو بها السلوان غزو مصمم
 وأريت للعشاق فضل تهمنى
 لكن من أهواء ضايق مقدمى
 ورُميت من غنج اللحاظ بأسمهم
 مهما رمت لم تخطِ شاكلة الرمي
 للسقم فيها فترة المتظلم
 سقى الحمى صوب الغمام المسجم
 أن لو عطفت بنظرة المترحم
 من مقلتيك وأنت لم تتأثم
 فوهبت لحظك ما أحلك من دمي
 لانهتدى فيها الليوث للجم
 رخب المقلد بالثرىا ملجم
 مرآة هند وسط لُجج ترمى
 فتقت كإثم جنحها عن أنجم
 فيه الصباح كفرة فى أدم
 مرأى ابن نصر لاح للمتوسم

(١) الجذب : القحط ، ولا أجذبها : دعاء لها بأن تبقى على الحصب ، وأشجاء :
 آثار شجاء وحزنه .
 (٢) الأظعان : أراد بها الإبل . وزاجرها : سائقها .

- ملك أفاض على البسيطة عدله
هو منتهى آمال كل موفق
فالشاة لا تحشى اعتداء الضيف^(١)
هو مؤرد الصادى وكنز المعدم^(٢)
فرأت ملامح نوره عين القعى
فأتى الجلال من الجلال بتوأم
فأفاد بين تجمهم وتبسم
يوم اللقاء ربيعة بن مكرم^(٣)
وتعير عرف الروض طيب تنسم
والبحر دونك فى ندى وتكرم
فسترى العائم تحتها كالأنجم
قطع السحاب بجوها المتغم
فتخر صرعى لليدين وللم
صيد الملوك ذوى التلاد الأقدم
والصبح ليس ضياؤه بمسكتم
فالأكرم ابن الأكرم ابن الأكرم
كالرمح مطرد الكعوب مقوم
ما بين جد فى الخلافة وابنم
فى كل خطب قد تجمهم مظلم
والفارجون لكل خطب مبهم
والمقدمون على السواد الأعظم^(٤)
وذوى السوابق والجوار الأعصم
سير تسير النيرات بهديها
فالبدر دونك فى علا وإنارة
ولك القباب الحمر ترفع للندى
يدكى الكيأ بها كأن دخانه
ولك العوالى السمر تشرع للعدا
ولك الأيادى البيض قد طوقتها
شيم يقر الحاسدون بفضلها
ورث السماحة عن أبيه وجده
نقلوا المعالى كابرأ عن كابر
وتسمنوا رتب العلاء بحقها
يا آل نصرأتم سرج الهدى
الفاتحون لكل صعب مقفل
والباسمون إذا الكمة عوايس
أبناء أنصار النبى وحزبه

(١) الضيف : الأسد وأراد كل مفترس من السباع ، وضرب ذلك مثلاً للأمن .

(٢) المورد : مكان ورود الماء ، والصادى : العطشان .

(٣) ربيعة بن مكرم : من أبطال العرب (٤) الكيأ : الشجعان ، واحدهم كى

سل عنهم أخطأ وبدراً تلقهم
 وافتح مكة كم لهم في يومه
 أقسمت بالحرم الأمين ومكة
 لولا مآثرهم وفضلُ علامُ
 ماذا عسى أثنى وقد أثنت على
 يا وارثاً عنها مآثرها التي
 يا فخر اندلس لقد مُدَّتْ إلى
 أما سعودك في الوغى فتكفلت
 وافتت هذا الثغر وهو على شق
 ورعيته سياسة دارت على
 كم ليلة قد بتَّ فيها ساهرا
 يا مظهر الألفاظ وهي خفية
 لله دولتك التي آثارها
 ما بعد يومك في المواسم بعد ما
 وافتك أشرافُ البلاد ليومه
 صرفوا إليك ركبهم وتيمموا
 وتبوؤا منه بدار كرامة
 ودت نجومُ الأفق لو مثلت به
 والروض مختال بحلية سندس
 ورياحه نسمت بنشر لطيمة

أهل الغناء بها وأهل المغنم^(١)
 بلواء خير الخلق من مُتَقَدِّم
 والركن والبيت العتيق وزمزم
 ما كان يُعزَى الفضل للمتقدم^(٢)
 عليهم أي الكتاب الحكم
 قد شيدت للفخر أشرف معلم
 عليك كف اللأئذ المستعصم
 بسلامة الإسلام فاخذ واسلم
 فشفيت مُعْضِلَ دائه المستحكم
 مخططة دور السوار بمعصم
 تهدي الأمان إلى العيون النور
 ومُهِبَّ ربح النصر المتنفس
 سير الركاب لمنجد أو مُتَمِّم^(٣)
 أتعبت عيد الفطر أكرم موسم
 من كل ندب للعلا متسنم
 من بابك المتاب خير مُيَمِّم
 فالكل بين مقرب ومنعم
 لتفوز فيه برتبة المستخدم
 من كل مَوْشَى الرقوم منمم
 وأقاحه بسمت بشعر مسلم

(١) الغناء — بالفتح — الكفاية والنفع ، وتقول « مافي فلان غناء » تريد
 أنه لا نفع عنده . (٢) يعزى — بالبناء للجهول — ينسب .
 (٣) المنجد : الناهب إلى نجد ، والمتهم : الناهب إلى تهامة .

وأرئيتنا فيه عجائب جمة لم تجر في خلد ولم تتوهم
أرسلت سرعان الجياد كأنها أسراب طير في التئوفة حوم^(١)
من كل منحفر بخطفة بارق قد كاد يسبق لمح المتوهم
طرف يشك الطرف في استنباته فكأنه ظن بصدر مرجم
ومسافر في الجو تحسب أنه يرقى إلى أوج السماء بسلم
رام استراق السمع وهو ممنع فأصيب من قضب العصى بأسمهم
رجمته من شهب الفصال حواصب لولا تعرضه لها لم يُرجم
ومدارة الأفلاك أعجز كنهها إبداع كل مهندس ومهندم
يمشى الرجال بجوفها وجميعهم عن مستوى قدميه لم يتقدم
ومنوع الحركات قد ركب الهوا يمشى على خط به متوهم
فإذا هوى من جوه ثم استوى أبصرت طيرا حول صورة آدمى
يمشى على فن الرشاء كأنه فيه مساور ذابل أو أرقم
وإليك من صون العقول عقيلة وقفت ببابك وقفة المسترحم
ترجو قبولك وهو أكبر منحة فاسمح به خلدت من متكرم
طاردت فيها وصف كل غريبة فنظمت شارده الذى لم ينظم
ودعوت أرباب البيان أريهم (كم غادر الشعراء من متردم)^(٢)
ما ذاك إلا بعض أنعمك التي قد علمتنا كيف شكر المنعم

ثم قال : وأنشد من ذلك فى الصنيع الخصوص بعنا الأمير أبى عبد الله - رحمة الله تعالى عليه ! - وأطنب فى وصف دار الملك وغير ذلك من ضخامة آثار مولانا رضى الله تعالى عنه :

(١) الأسراب : جمع سرب - بالكسر - وهو جماعة الطير ، والتئوفة - بفتح التاء - الصحراء ، وحوم : جمع حائمة ، وتقول « حامت حول الماء » دارت
(٢) عجز هذا البيت صدر مطلع معلقة عنتره بن شداد العبسى ، وعجزه فى كلام عنتره قوله * أم هل عرفت الدار بعد توهم *

سل الأفق بالزهر الكواكب حاليا
 وحتلت معتلّ النسيم أمانة
 فيا من رأى الأرواح وهى ضعيفة
 وساوس كم جدت وجذبى الهوى
 ومن يطع الألفاظ فى شرعة الهوى
 عدلت بقلبي عن ولاية حكمه
 وما الحب إلا نظرة تبعث الهوى
 فيا عجبا للعين تمشى طليقة
 ألا فى سبيل الله نفس نفيسة
 ويارب عهد للشباب قضيته
 خلوت بمن أهواه من غير رقبة
 ويوم بمستنّ الأطباء شهدته
 ولم أضح من خمر اللحاظ وقدا
 وجرد من غمد الغمامة صارما
 تبسم فاستبكي جفونى غمرة
 وأذكرنى ثغرا ظلمت لورده
 وراح خفوق القلب مثلى كأنما
 وليلة بات البدر فيها مضاجعي
 كركعت بها بين العذيب وبارق
 رشفت به شهد الرضاب سلافة

فانى قد أودعته شرح حاليا
 قطعت بها عمر الزمان أمانيا
 أحملها ما يستخف الرواسيا^(١)
 فعدّ به القلب المقلب هازيا
 فلا بد أن يعصى نصيحها ولا حيا^(٢)
 غداة ارتضى من جائر اللحظ واليا
 وتعب ما يعي الطبيب المداويا
 ويصبح من جرائها القلب عانيا
 يرخص منها الحب ما كان غاليا
 وأحسن من دين الوصال التقاضيا
 ولكن غفاني لم أكن عنه خاليا
 أجد وصالا باليا فيه باليا^(٣)
 به الجوة وضاح الأسرة ضاحيا
 من البرق مصقول الصفيحة صافيا
 ملأت بدر الدمع منها ردائيا
 ولا والهوى العذرى ما كنت ناسيا
 يبرق الحمى من لوعة الحب مايا
 وباتت عيون الشهب نحوى روائيا
 بمورد ثغري بات بالدرّ حاليا
 وقبّلت فى ماء النعيم الأفاحيا

(١) ما يستخف : يراها خفيفة ، والرواسى : أراد بها الجبال ، واحدها راس

(٢) الاحى : اللأم .

(٣) مستنّ الأطباء : أراد به النافرات الشديديات العدو .

فَيَا بَرْدَ ذَاكَ الْغُرِّ رَوَيْتُ غَلَتِي وَيَا حَرَّ أَنْفَاسِي أَذْبَتُ فُؤَادِيَا
 وَرَوْضَةَ حَسَنِ الشَّبَابِ نَضِيرَةَ بَصُرْتُ بَعْصَنَ الْبَانِ فِيهَا الْحَاجِيَا
 وَبَتِ اسْتَقَى وَرَدَةَ الْخَدَّادُمَعِي فَأَصْبَحَ فِيهَا نَرْجَسَ اللَّحْظِ ذَاوِيَا ^(١)
 وَمَالَتْ بَقْلِي مَائِلَاتٌ قَدُودُهَا فَمَا لِلْقُدُودِ الْمَائِلَاتِ وَمَالِيَا
 جَزَى اللَّهُ ذَاكَ الْعَهْدَ عَوْدًا فَطَالَمَا أَعَادَ عَلَى رُبْعِ الظُّلُمِ الْجَوَازِيَا
 وَقُلْ لِلْيَالِ فِي الشَّبَابِ نَعْمَتَهَا وَقَضَيْتَهَا أَنْسَا : سَقَيْتُ لِيَالِيَا
 وَيَا وَادِيَا رَفَّتْ عَلَى ظِلَالِهِ وَنَحْنُ نَذِيرُ الْوَصَلَ فَدَيْتُ وَادِيَا ^(٢)
 رَمَتْنِي عَيُونَ السَّرْبِ فِيهِ وَإِنَّمَا رَمِينَ بَقْلِي فِي الْغَرَامِ الْمَرَامِيَا
 فَلَوْلَا اعْتَصَمَ امِي بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ لَمَا كُنْتُ مِنْ فَتْكَ الْوَلَوَاحِظِ نَاجِيَا
 فَقُلْ لِلَّذِي يَبْنِي عَلَى الْحَسَنِ شَعْرَهُ عَلَيْهِ مَعَ الْإِحْسَانِ لَازَلْتُ بَانِيَا
 فَكَمْ مِنْ شَكَاةٍ فِي الْمَوَى قَدْ رَفَاتَهَا وَرَفَعْتُهَا بِالْمَدْحِ إِذْ جَاءَ تَالِيَا
 وَكَمْ لَيْلَةٍ فِي مَدْحِهِ قَدْ سَهَرَتْهَا أَبَاهِي بَدَرَ النِّظْمِ فِيهِ الدَّرَارِيَا
 وَلَاحَ عُمُودُ الصَّبْحِ مِثْلَ انْتِسَابِهِ رَفَعْتُ عَلَيْهِ الْعَدِيحَ الْمَبَانِيَا
 إِمَامَ أَفَادِ الْمَكْرَمَاتِ زَمَانِهِ وَسَاكِنَهُ فَوْقَ النُّجُومِ الْعَوَالِيَا
 وَجَاوَزَ قَدْرَ الْبَدْرِ نُورًا وَرَفْعَةً وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا بِالسَّكَمِ الْوَالِيَا
 هُوَ الشَّمْسُ بَثَّتْ فِي الْبَسِيطَةِ نَفْعَهَا وَأَنْوَارَهَا أَهْدَتْ قَرِيبَا وَقَاصِيَا
 هُوَ الْبَحْرُ بِالْإِحْسَانِ يَزْخُرُ مَوْجُهُ وَلَسَكُنَهُ عَذَبَ لَمَنْ جَاءَ عَافِيَا
 هُوَ الْغَيْثُ يَهْمِي بِمَسْكَ الْغَيْثِ سَحْبُهُ يَرْوِي بِسُحْبِ الْجُودِ مَنْ كَانَ صَادِيَا
 شَمَائِلَ لَوْ أَنَّ الرِّيَاضَ بِحَسْنِهَا لَمَا صَارَ فِيهَا زَهْرُهَا الْفَضُّ ذَاوِيَا
 فَيَا ابْنَ الْمُلُوكِ الصَّيِّدِ مَنْ آَلَ خَزَرْجِ وَذَا نَسَبٍ كَالصَّبْحِ عَزَّ مُسَامِيَا

(١) نرجس اللحظ : من إضافة المشبه به إلى المشبه ، وذوايا : ذابلا

(٢) رفت ظلاله : أصله قولهم « رف النبات » إذ اهتز واضطربت أغصانه ، وقالوا « دخلت على فلان فرف لي » أي هس واهتز ، وقالوا « رف فؤادي لحديثه »

أست الذى ترجو العفاة نواله
أست الذى تحشى البغاة صياله
وهذيك مهماضلت الشهب قصدها
وعزمتك أمضى من حسامك فى الوغى
فكم قادح فى الدين يكفر ربه
وما راعه إلا حسام وعزمة
فلولاك يا شمس الخلافة لم بين
ولولاك لم ترفع سماء عجاجة
ولولاك لم تهل غصون من القنأ
فأتمر فيها النصل نصرا مؤزراً
ومهما غدا سقّاح سيفك عاريا
قضى الله من فوق السموات أنه
فكم معقل للكفر صبّحت أهله
رقيت إليه والسيوف مشيخة
فتفتحت مرقاه الممنع عنوة
وناقوسه بالقسر أمسى معطلا
عجائب لم تخطر ببال وإنما
فمنك استفاد الدهر كل عجيبة
وعنك يروى الناس كل غريبة
ولله مبناك الجيـل فإنه

فَتُخَجِّلُ جَدَّوَاهُ السَّحَابِ الْغَوَايَا
فَتُوجِلُ عَلَيْهِ الصَّعَابِ الْغَوَايَا
تَوَلَّتْهُ فِي جَنَحِ الدَّجَنَةِ هَادِيَا
وَإِنْ كَانَ مَصْقُولَ الْغِرَارِ مِنْ مَاضِيَا^(١)
قَدَحَتْ لَهُ زَنْدَ الْخَفِيفَةِ وَارِيَا^(٢)
يَضِيَّانَ فِي لَيْلِ الْخَطُوبِ الدَّوَاجِيَا
سَبِيلَ جِهَادٍ كَانَ مِنْ قَبْلِ خَافِيَا
تَلَوَّحَ بِهَا بَيَاضُ النُّصُولِ دَرَارِيَا
وَكَانَتْ إِلَى وَرْدِ الدِّمَاءِ صَوَادِيَا^(٣)
وَأَجْنَى قَطَافِ الْفَتْحِ غُضَا وَدَانِيَا
يَغَادِرُ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْدمِ كَاسِيَا
عَلَى مَنْ أُنِيَ الْإِسْلَامُ فِي الْأَرْضِ قَاضِيَا
بِجَيْشٍ أَعَادَ الصَّبْحَ أَظْلَمَ دَاجِيَا
وَقَدْ بَلَغَتْ فِيهِ النُّفُوسُ التَّرَاقِيَا
وَبَاتَ بِهِ التَّوْحِيدُ يَعْلُو مَنَادِيَا
وَمُنْبِرُهُ بِالذِّكْرِ أَصْبَحَ حَالِيَا
ظَفَرْنَا بِهَا عَنْ هَمَّةٍ هِيَ مَا هِيََا
يَبَاهِي بِهَا الْأُمَلَاكُ أُخْرَى لِيَالِيَا
تَخْطُ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ الْأُمَالِيَا
يَفُوقُ عَلَى حَكْمِ السَّعُودِ اللَّبَانِيَا

(١) غرار السيف — بكسر الغين بزنة الكتاب — حده

(٢) ورى الزند يرى — من باب ورث ووعد — إذا أخرج عند القدح نارا

(٣) الصوادي : العطاش ، واحدها صاد

فكم فيه للأبصار من متنزه
وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت به
ولو مثلت في سابقه لسابقت
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا
وكم حلة جللت به بحليها
وكم من قسى في ذراه ترفعت
فتحسبها الأفلاك دارت قسيها
سوارى قد جاءت بكل غريبة
به المرمر المجلو قد شف نوره
إذا ما أضأت بالشعاع تحالها
به البحر دقاع العباب تحاله
إذا ما جلّت أيدي الصبا من صفحه
وراقصة في البحر طوع عنانها
إذا ما علت في الجو ثم تحدرت
يذوب لجين سال بين جواهر
تشابه جارٍ للعيون بحامد
فإن شئت تشبها له عن حقيقة
فقل أرقصت منها البحيرة متنها
أرتنا طباع الجود وهى وإيدة
سقت ثغر زهر الروض عذب برودها

تجد به نفس الحليم الأمانيا
ولم تك فى أفق السماء جواريا
إلى خدمة ترضيك منها الجواريا
به القصر آفاق السماء مباحيا^(١)
من الوشى تنسى السابريّ اليمانيا^(٢)
على عمد بالنور باتت حواليا
تظل عمود الصبح إذ بات باديها
فطارت بها الأمثال تجرى سواريا
فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
على عظم الأجرام منها لآليا
إذا ما انبرى وفد النسيم مباريا
أرتنا دروعا أكسبتنا الأياديا
تراجع ألحان القيّان الأغانيا
تحلى بمرفض الجمان النواحيا
غدا مثلها فى الحسن أبيض صافيا
فلم أدر أيّا منهما كان جاريا
تصيب بها المرمى وبوركت راميا
كما يرقص المولود من كان لاهيا
ولم ترض فى الإحسان إلا تغاليا
وقامت لكى تهدى إلى الدهر ساقيا

(١) البهو — بالفتح — البيت المقدم أمام البيوت ، وجمعه أبهاء وبهى وبهو —
يتشديد الواو — وباهى فلان فلانا : فآخره فى الحسن

(٢) السابري : ضرب من الثياب ، وهو من أجودها ؛ قالوا : هو منسوب إلى
سابور على غير قياس ، وقال الشاعر : * وعيش كمن السابري رقيق *

كأن قد رأت نهر الحجرة ناضبا وقامت بنات الدَّوْح فيه مواثلا
 وقامت بنات الدَّوْح فيه مواثلا رواضع في حجر الغرام ترعرعت
 رواضع في حجر الغرام ترعرعت بها كل ملتف الغدائر مسبل
 بها كل ملتف الغدائر مسبل وأشرف جيدُ الغصن فيها معطلا
 وأشرف جيدُ الغصن فيها معطلا إذا ما تحلت در زهر غروسه
 إذا ما تحلت در زهر غروسه مصارفة النقيدين فيها بمنثلا
 مصارفة النقيدين فيها بمنثلا فإن ملأت كف النسيم بمنثلا
 فإن ملأت كف النسيم بمنثلا فيملا حجر الروض حول غصونها
 فيملا حجر الروض حول غصونها تَعَوَّد في أفنانها الطير كلما
 تَعَوَّد في أفنانها الطير كلما تراجعها سجعاً فتحسب أنها
 تراجعها سجعاً فتحسب أنها فلم ندر روضاً منه أنعم نضرة
 فلم ندر روضاً منه أنعم نضرة ولم نر قصرأ منه أعلى مظاهراً
 ولم نر قصرأ منه أعلى مظاهراً معاني من نفس الكمال انتقيتها
 معاني من نفس الكمال انتقيتها وفاتحت مبناه بعييد شرعته
 وفاتحت مبناه بعييد شرعته ولما دعوت الناس نحو صنيعه
 ولما دعوت الناس نحو صنيعه وأموه من أقصى البلاد تقربا
 وأموه من أقصى البلاد تقربا وأذ كرت يوم العرض جودا ومنعة
 وأذ كرت يوم العرض جودا ومنعة جزيت به كلا على حال سعيه
 جزيت به كلا على حال سعيه وأطلعت من جزل الوقود هوادجا
 وأطلعت من جزل الوقود هوادجا

(١) نضب الماء ينضب : غاض وغار في الأرض

(٢) بنات الدوح : أراد الحمام ، وذلك كتسمية أبي العلاء إياها بنات الهديل

(٣) شبت الأولى بمعنى كبرت وترعرعت ، وشبت الثانية بمعنى أوقدت ، تقول :

« شبت فلان النار يشبها » إذا أوقدها وأشعلها

(١) وحين غدا يذكي منائر للقرى
وطامحة في الجو غير مطالعة
تمد لها الجوزاء كف مسارع
ولا عجب أن فانت الشهب بالاعلا
فبين يدى مثواك قامت لخدمة
وشاهدُ ذا أنى بيباك واقف
وقد أرضعت ثدى الغمام قبلها
فلما أبينت عن قرارة أصلها
وعدت لقاء السحب عيداً وموسماً
فأضحكت البرق الطروب خلاها
رأت نفسها طالت فظنت بأنها
فحقت إليها الزائلات كأنها
حكّت شهباً للنحل والنحل حوله
فمن مثبت منها الرمية مدرك
وحصن منيع في ذراها قد ارتقى
كأن بروق الجو غارت وقد أرت
فأنشأت برجا صاعداً متزلاً
تطور حالات أنى في ضروبها
فجعل برجليها وشاخ بخصرها
وما هو إلا طير سعد بذروة

فلا غرو أن أجريت فيه المذاكيا^(١)
يرد مداها الطرف أحسر عاريا
ويدنو لها بدر السماء مناجيا
وأن جاوزت منها المدى المتناها
ومنّ خدم الأعلى استفاد المعاليا
وقد حسدت زهر النجوم مكانيا
بحجر رياض كن فيه نواشيا
أرادت إلى مرقى الغمام تعاليا
لذلك اغتدت بالزمر تلهى الغواديا
وبات لأكواس الدارى معاطيا
تفوت على رغم اللحاق المراميا
طيور إلى وكر أطلن تهوايا
عصى إلى مثواه تهوى عواليا
ومن طائش في الجو حلق وانيا
فأبعد في الجو الفضاء المراقيا
بروج قصور شدتهن سواميا
يكون رسولا بينهن مداريا
بأنواع حلى تستفز الغوانيا
وتاج إلى ما حل منها الأعاليا
غدا زاجرا من أشهب الصبح بازيا

(١) لا غرو : لاعجب ، وللمذاكي : الخيل ، ويقال : « جرى المذكيات غلاء »

أو « غلاب »

أمولاي يا فخر الملوك ومن به
 سبيلغ دينُ الله ما كان راجيا
 بنوك على حكم السعادة خمسة
 وذا عدد للعين مازال واقيا
 تبیت لهم كف الثريا معيدة
 ويصبح معقل النسيم رواقيا
 أسام عليها للسعادة مبسم
 ترى العز فيها مستكنا وباديا^(١)
 جعلت أبا الحجاج فاتح طرسهم
 وقد عرفت منك الفتوح التواليا
 وحسبك سعد ثم نصر يليهم
 محمد الأرضى ، فازلت راضيا
 أقمت به من فطرة الدين سنة
 وجددت من رسم الهداية عافيا
 وجاؤا به ملء العيون وسامة
 يقبل وجه الأرض أزهر باهيا
 فيا عاذلا ما كان أجرا مثله
 فمثلك لا يدمى الأسود الضواريا
 وجاءتك من مصر التحايا كراما
 فما فتقت أيدي التجار الغواليا
 ووافقت من أرض الحجاز تميعة
 تنعم صنع الله لا زال باديا
 وناداك بالتهويل سلطان طيبة
 فيا طيب ما أهدي إليك مناديا
 وقام وقد وافى ضريح محمد
 لسלטانك الأعلى هنالك داعيا
 سريرتك الرحى جزاك بسعيها
 إله يوفى فى الجـزاء المساعيا
 فوالله لولا سـنة نبوية
 عهدناه مهديا إليها وهاديا
 وعذر من الأعذار قرر حكمه
 من الشرع أخبار رفعن عواليا
 لراعت بها للجزر أهوال موقف
 تشيب بمبيض النصول العواليا
 لك الحمد فيه من صنيع تعده
 فتأله فى الفخر عزز ثانيا
 تشدله للجوزاء عقد نطاقها
 لتخدم فيه كي تنال المعاليا
 وهنت بالأمداح فيه وقد غدا
 وجودك فيه بالإجادة وافيا

(١) ابن هذا من قول أبي الطيب المتنبي :

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

ودونك من بحر البيان جواهرها كرم من فما يُشْرَيْنَ إلّا غواليها
وطارذت فيها وصف كل غريبة فأعجزت مَنْ يَأْتِي ومن كان ماضيا
فياوارث الأنصار لا عن كلاله تراث جلال يستخف الرواسيا^(١)
بأمداحه جاء الكتاب مفصلا يرتله في الذكر مَنْ كان تاليا
لقد عرف الإسلام مما أفدته مكارم أنصارية وأياديا
عليك سلام الله فاسلم مخلدا تجدد أعيادا وتبلى أعاديا
ثم قال : ومن ذلك في الصنيع المختص بالأمراء الحلة : أخينا المعز لدولتنا
أبي الحسن ، وأخينا أبي العباس ، وابن عمنا أبي عبد الله ، وصَلَّ الله تعالى سعودهم !
ولقد أبدع في تشييده وتأسيسه ، وبسط يد الحسن من براعته وتحميسه ، وذلك
على أثر عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سبته لما عادت إلى ملكه :

أرقت لبرق مثل جفنى ساهرا
ينظم من قطر الغمام جواهرها
فيسم ثغر الروض عنه أزهرا
وصبح حكى وجه الخليفة باهرا
شفانى معتل النسيم إذا انبرى
وأسند عن دمع الحديث الذى جرى
وقد فتق الأرجاء مسكا وعنبرا
كأن الغنى بالله فى الروض قد سرى
فهبته به الأرواح عاطرة الرذا
عذيرى من قلب إلى الحسن قد صبا
تهيجه الذكرى ويصبو إلى الصبا

(١) تقول : « ورث فلان المجد لا عن كلاله » ، تريد أنه لم يرثه من بعيد ،
وإنما جاءه من آبائه ، والكلاله فى الميراث : كل من ليس من عمود النسب من
أصل أو فرع .

وَيُجْرَى جِيَادُ اللّهُو فِي مَلْعَبِ الصَّبَا ^(١)
 وَلَوْلَا ابْنُ نَصْرٍ مَا أَفَاقَ وَأَعْتَبَا رَأَى وَجْهَهُ صَبْحَ الْهَدَايَةِ فَاهْتَدَى
 إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ شَكَايَةَ
 جَنَى الْحَسَنِ فِيهَا لِلْقُلُوبِ جَنَايَةَ
 وَأَعْظَمَ فِيهَا بِالْعِيُونَ نَكَايَةَ
 وَأَطْلَعَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ آيَةَ مَحْيَا جَمِيلًا بِالصَّبَاحِ قَدْ ارْتَبَدَى
 بِهَدْيِكَ تُهْدَى النِّيرَاتِ وَتَهْتَدَى
 وَأَنْوَاهَا جَدْوَى يَمِينِكَ تَجْتَدَى
 وَعَدْلَكَ لِلْأُمَلَاكِ أَوْضَحُ مَرْشَدٍ
 بَأَثَارِهِ فِي مَشْكِلِ الْأَمْرِ تَقْتَدَى فَمَا بَالُ سُلْطَانِ الْجَمَالِ قَدْ اعْتَدَى
 تَحْكُمُ مَنْ فِي نَفُوسٍ ضَعِيفَةٍ
 وَسَلَّ سَيْوِفًا مِنْ جَفُونٍ نَحِيفَةٍ
 أَلَمْ يَدْرَأْنَا فِي ظِلَالِ خَلِيفَةٍ
 وَدَوْلَةِ أَمْنٍ لَا تُرَاعَ مُنِيفَةٍ بِهَا قَدْ رَسَا دِينَ الْهُوَى وَتَهْمَدَا
 خَذُوا بِدَمِ الْمَشْتَقِ لَحْظًا أَرَاقَهُ
 وَبَرْقًا بِأَعْلَامِ الثَّنِيهِ شَاقَهُ
 وَإِنْ كَلَفُوهُ فَوْقَ مَا قَدْ أَطَاقَهُ
 يَبِثُ حَدِيثًا مَا أَلَذَّ مَسَاقَهُ خَلِيفَتُنَا الْمَوْلَى الْإِمَامُ مُحَمَّدَا
 تَقْلَدُ حَكْمَ الْعَدْلِ دِينًا وَمَذْهَبَا
 وَجَوَرَ اللَّيَالِي قَدْ أَزَاحَ وَأَذْهَبَا

(١) في نسخة (١) : وَيُجْرَى جِيَادُ اللّهُو فِي مَلْعَبِ الصَّبَا

(١) أصل هذه الاستعارة قول زهير بن أبي سلمى المزني : وَالْهَدَايَةُ هِيَ الْمَرْجَى
 صَحَا الْقَلْبُ عَنْ لَيْلٍ وَأَقْصَرَ بِاطْلَاهُ وَعَزَى أَقْرَاسَ الصَّبَا وَوَرَوَاحِلَهُ

فيا عجبا للشوق أذكى وألها
 وسلّ صباحا صارم البرق مذهبا وقد بات في جفن الغامة مغمدا
 يذكركني ثغرا لأسماء أشنبا^(١)
 إذا ابتسمت تجلو من الليل غيها
 كعزم أمير المسلمين إذا احتجى
 وأجرى به طرفا من الصبح أشهبا وأصدر في زلت الإله وأوردا
 فسبحان من أجرى الرياح بنصره
 وعطر أنفاس الرياض بشكره
 فبرد الصبا يطوى على طيب نشره
 ومهما تجلى وجهه وسط قصره ترى هالة بدر السماء بها بدا
 إمام أفاد المَعْلَوَاتِ زمانه
 فما لحقت زهر النجوم مكانه
 ومد على شرق وغرب أمانه
 ولا عيب فيه غير أن بنانه تُغَرِّق مستجديه في أبحر الندى
 هو البحر مد العارض المتهللا
 هو البدر لكن لا يزال مكلا
 هو الدهر لا يخشى الخطوب ولا ولا
 هو العلم الخفّاق في هضبة العلا هو الصارم المشهور في نصره الهدى
 أما والذي أعطى الوجود وجوده
 وأوسع من فوق البسيطة جوده

(١) الأشنب : الوصف من الشنب — بفتح الشين والنون — وهو رقة وعذوبة
 وبرد في الأسنان ، قال الراجز :

وا ، بأبي أنت وفوك الأشنب كأنما ذر عليه الزرنب

لقد أصحب النصر العزيز بُنُودَهُ (١)
 ومد بأملك السماء جنوده وأنجز للإسلام بالنصر موعدا
 أمولاي قد أنجحت رأيا وراية
 ولم تبق في سبق المكارم غاية
 فتهدى سجايا كابن رشد نهاية
 وإن كان هذا السعد منك بداية سيقى على مر الزمان مخلدا
 سعودك تُغْنِي عن قراع الكتائب
 وجودك يُزْرِى بالغمام السواكب (٢)
 وإن زاحمتها شهبها بالمناكب
 ووجهك بدر المنتدى والمواكب وقد فسحت في الفخر أبنائك المدى
 بنوك كأمثال الأنامل عِدَّة
 أعدت لما يُخْشَى من الدهر عِدَّة
 وزيد بهم بُرَدَ الخلافة جدة
 أطال لهم في ظل ملكك مدة إله يطيل العمر منك مؤبدا
 بدور بأوصاف الكمال استقلت
 غمام بفياض النوال استهلت
 سيوف على الأعداء بالنصر سُلت
 نجوم بأفاق العلاء تجلت ولاحت كما شاءت سعودك أسعدا
 وإن أبا الحجاج سيفك منتضى
 وبدر بأفاق الجمال تعرضا

(١) البنود : الأعلام ، واحدها بند ، بالفتح

(٢) يزرى : يعيب وينتقص ، يريد أن كرمه فوق السحاب النهمر

بنورك يا شمس الخلافة قد أضأ^(١)
ورأقت على أعطافه حُلل الرضا فحل محلا من علاك ممهدا
ملك له تعنو الملوك جلالة^(٢)
يجرّر أذيال الفخار مطالة
وتفرّق أسد الغاب منه بسالة^(٣)
وترضاه أنصار الرسول سلالة فابناؤه طابوا فروعا ومحتدا^(٤)
أزاهر في روض الخلافة أينعت
زواهر في أفق العلاء تطلعت
جواهر أغيت في الجمال وأبدعت
وعن قيمة الأطلاق قدرا ترفعت يسر بها الإسلام غيا ومشهدا
بعهد ولى العهد كرم عهده
وأنجز في تخليد ملكك وعده
تنظم منهم تحت شملك عقده
وأورثهم فخرا أبوه وجده فأعلى عليا حين أحمد أحدا
تحوط بهم ملكا عزيزا وملة
وتلحظ عين السعد منهم أهلة
ستبدو على أفق العلاء مستقلة
وسحبا بفيض العلاء مستهلة تفجر بحرا للساحة مزبدا
ونجلك نصر يقتفى نجل رسمه
أمير يزين العقل راجح حلمه

(١) أضأ : أراد « أضأ » بمعنى أنار ، فحذف الهمزة حين اضطر ()
(٢) تعنو : تخضع وتذل (٣) تفرق : تخاف (٤) المحتد : الأصل

أتاك بنجل يستضاء بنجمه
 لحب رسول الله سماه باسمه وباسمك في هذى الموافقة اقتدى
 أقت بإعذار الإمارة سنة
 وطوقت من حلى بفخرك منية
 وأسكنتها في ظل برك جنة
 وألحقتها برد امتنانك جنة وعمرت منها بالتلاوة مسجدا
 فله عينا من رآهم تطلعوا
 غصونا بروض الجود منك ترعرعوا
 وفي دوحه العلياء منك تفرعوا
 ملوك يجلباب الحياء تقنعوا أضاء بهم من أفق قصرك منتدى^(١)
 وقد أشعروا الصبر الجميل نفوسهم
 وأضفوا به فوق الحلى لبوسهم
 وقد زينوا بالبشر فيه شمسهم
 وعاطوا كؤس الأنس فيه جليسهم وأبدوا على هول المقام تجلدا
 شمائل فيهم من أيهم وجدهم
 تفصل آى الفخر فيها بحمدهم
 وتنسبها الأنصار قدما لسعدهم^(٢)
 تضىء بها نورا مصابيح سعدهم ولم لا ومن تحب الرسول توقدا
 فوالله لولا سنة قد أمتها
 وسيرة هدى للنبي علمها

(١) المنتدى ، والندى - بتشديد الياء - والنادى : المكان يجتمع فيه القوم

للسمر والمشورة

(٢) هو سعد بن عبادة سيد الأنصار

وأحكام عدل للجنود رسمتها
 لجالت بها الأبطال تقصد ستمتها وتترك أوصال الوشيج مقصداً^(١)
 ويا عاذراً أبدى لنا الشرع عذره
 طرقت حمى قد عظم الله قدره
 وأجريت طيباً يحسد الطيب نشره
 لقد جئت ما تستعظم الصيد أمره وتقديه إن يقبل خليفته فدا
 رعى الله منها دعوة مستجابة
 أفادت نفوس المخلصين إناية
 ولم تُلَف من دون القبول حجابة
 وعاذرها لم يبد عذراً مهابة فأوجب عن نقص كمالاً تزيدا
 فنقص كمال المال وفر نصابه
 وما السيف إلا بعد مشق ذبابه
 وما الزهر إلا بعد شق إهابه
 بقطع يراع الخط حسن كتابه وبالقص يزداد الذبال توقدا
 ولما قضوا من سنة الشرع واجبا
 ولم نلق من دون الخلافة حاجبا
 أفضنا نهى منك جذلاً رهاها
 أفاض علينا أنما ومواها تعود بذل الجود فيما تعودا
 هنيئاً هنيئاً قد بلغت مؤملاً
 وأطلعت نورا يبهز المتأملاً

(١) السم - بالفتح - الطريق والمحجة ، يقال « خذ في هذا السم »
 ويستعار لهية أهل الخير فيقال « ما أحسن سم فلان »

وأحرزت أجر المنعمين مكملًا
تبارك من أعطى جزيلًا وأجملًا وبلغ فيك الدين والملك مقصدا
ألا في سبيل العز والفخر موسم
يظل به تغرر المسرة يبسم
وعرف الرضا من جـوه يتنسم
وأرزاق أرباب السعادة تُقسَم ففي وصفه ذهن الذكي تبلىدا
وجللت في هذا الصنيع مصانعا^(١)
تمنى بدور التم منها مطالعا
وأبدت فيها للجمال بدائعا
وأجريت للإحسان فيها مشارعا يود بها نهر الحجرة موردا
وأجريت فيها الخليل وهي سوابق
وإن طلبت في الروع فهي لواحق
نجوم وآفاق الطراد مشارق
يفوت التماح الطرف منها بوارق إذا ما تجارى الشهب نستبق المدي
وتطلع في ليل القتام كواكبا
وقد وردت نهر النهار مشاربا
تقود إلى الأعداء منها كواكبا
فترسم من فوق التراب محاربا تخور رؤس الروم فيهن سجدا
سوامج بالنصر العزيز سوامح
وهن لأبواب الفتوح فوامح

(١) الصنيع : الطعام ، والإحسان ، والمصانع : جمع مصنع - بزنة مقعد - وهو كالخوض يجمع فيه ماء المطر ، والمصانع أيضا: القرى والمباني من القصور والحصون ، ويقال « فلان من أهل المصانع » يريدون أنه من أهل الحضر

تقود إليك النصر والله مانح
 فما زلت باب الخير والله فاتح وما تم شيء قد عدا بعد ما بدا
 رياح لها منى البروق أعنة
 ظباء فاب جن الظلام فجنة
 تقيها من البدر المتم جنة
 وتشرع من زهر النجوم أسنة فتقذف شهب الرجم في أنغر العدا
 فأشهب من نسل الوجيه إذا اتقى (١)
 جرى فشأى شهب الكواكب في السما
 وخلف منها في المقلد أنجما
 تردى جمالا بالصباح وربما يقول له الإصباح أنفى لك القدا
 وأحر قد أذكى به البأس جرة
 وقد سلب الياقوت والورد حمرة
 أدار به ساق من الحرب خرة
 وأبدى حبابا فوقها الحسن غرة يزين بها خدا أسيلاً مؤردا
 وأشقر مهما شعشع الركض برقه
 أعار جواد البرق في الأفق سيقه
 بدا شفقاً قد جلل الحسن أفقه
 ألم تر أن الله أبدع خلقه فسال على أعطافه الحسن عسجداً
 وأصفر قد ود الأصيل جماله
 وقد قد من برد العشي جلاله

(١) الوجيه - بفتح الواو وكسر الجيم - خيل من الخيول العربية المشهورة ،
 كان لغنى بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، وفيه وفي بقية خيلهم المذكورة
 بالسبق يقول طفيل الغنوى :
 بنات الغراب والوجيه ولاحق وأعوج ، تنمى نسبه المنتسب

إذا أَسْرَجُوا جُنَحَ الظَّلامِ ذِبَالَهُ^(١)
فَفَرَّتْهُ شَمْسٌ تَضِيءُ بِجَالِهِ وفي ذيله ذيل الظلام قد ارتدى
وأدهم في مسح الدجى متجرد
يُحِيشُ بِهَا بَحْرٌ مِنَ اللَّيْلِ مُزِيدُ
وغرته نجم به تتوقد
له البدر سُرْجٌ والنجوم مقلد وفي فلق الصبح المبين مقيدا
وأبيض كالقمر طاس لاح صباحه
على الحسن مَغْدَاهُ وفيه رَاحَهُ
وللطَّيَّاتِ الْآنَسَاتِ مَراحَهُ
تراه كَنَشْوَانِ أَنَالَتِهِ رَاحُهُ وتحسبه وسط الجلال معربدا
وذاهبة في الجوّ ملء عنانها
وقد لَفَعَتْهَا السَّحْبُ بُرْدَ عَنَانِهَا
يفوت ارتداد الطرف لمح عيائها
وَحَتَمَتِ الْجُوزَاءُ سَبْطَ بَنَانِهَا وصاغت لها حلى النجوم مقيدا
أراها عمود الصبح علو المصاعد
وأوهها قُرْبَ الْمَدَى الْمُتَبَاعِدِ
فَقَاتَتْهُ سَبَقًا فِي مَجَالِ الرَّوَاعِدِ
وَأَتَحَفَّتِ الْكَفَ الْخَضِيبَ بِسَاعِدِ فطوقت الزهر النجوم بها يدا
وقد قَذَفَتْهَا لِلْعَصَى حَوَاصِبُ^(٢)
قد انتشرت في الجوّ منها ذَوَائِبُ

(١) أَسْرَجُوا : أوقدوا ، والذِبَالَةُ — بضم الدال — المصباح
(٢) حَوَاصِبُ : جمع حاصب ، وهو وصف من « حصبت الريح » إذا اشتدت
ورمت بالحصباء

تَزاوَرُ مِنْهَا فِي الْفَضَاءِ حَبَائِبُ
 فَمِنْهُمَا مَنْ قَبْلَ ذَلِكَ مَنَاسِبُ لَأَنَّهُمَا فِي الرُّوضِ قَبْلُ تَوَلَّدَا
 بَنَاتٌ لَأُمٍّ قَدْ حَبِينَ لِرُوحِهَا
 دَعَاها الهَوَى مِنْ بَعْدِ كُنْتمْ لِبُوحِهَا
 فَأَقْلَامُهَا تَهْوَى لِحُطِّ بِلُوحِهَا
 فَبِالْأَمْسِ كَانَتْ بَعْضُ أَغْصَانِ دَوْحِهَا فَعَادَتْ إِلَيْهَا الْيَوْمَ مِنْ بَعْدِ عَوْدَا^(١)
 وَيَارُبَّ حَصْنٍ فِي ذُرَاهَا قَدْ اعْتَلَى
 أَنَارَتْ بَرُوجَ الْأَفْقِ فِي مَظْهَرِ الْعَلَا
 بَرُوجَ قُصُورٍ شَدَّتْهَا مَتَطَوَّلَا^(٢)
 فَأَنْشَأَتْ بَرْجًا صَاعِدًا مَتَنَزِّلًا يَكُونُ رَسُولًا بَيْنَهَا مَتَرَدِّدًا
 وَهَلْ هِيَ إِلَّا هَالَةٌ حَوْلَ بَدْرِهَا
 يَصُوغُ لَهَا حَلِيًّا يَلِيقُ بِنَحْرِهَا
 تَطَوَّرَ أَنْوَاعًا تَشِيدُ بِفَخْرِهَا^(٣)
 فَجَلَّ بَرَجُهَا وَشَاحَ بِخَصْرِهَا وَتَاجَ بِأَعْلَى رَأْسِهَا قَدْ تَنَفَّضَا
 أَرَادَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَهُوَ مَنَعُ
 فَقَامَ بِأَذْيَالِ الدَّجَى يَتَلَفَعُ
 وَأَصْفَى الْأَخْبَارَ السَّامَا يَتَسَمَعُ
 فَاتَّبَعَهُ مِنْهَا ذَوَابِلُ شُرْعٍ لَتَقْدَفُهُ بِالرَّعْبِ مِثْنَى وَمَوْحَدَا
 وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ مَدَّ كَفَّهُ
 لِيَسْأَلَ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ لَطْفَهُ

(١) عود : جمع عائدة من العبادة ، وهي الزيارة

(٢) شاد القصر يشيده : بناء

(٣) تشيد بفخرها : تتحدث عنه

لمولى تولاه وأحكم رصفه
وكلف أرباب البلاغة وصفه وأكرم منه القانت المتهجدا
ملاقى ركب من وفود النواسم
مقبل ثغر للبروق البواسم
مختم كف بالنجوم العواتم
مبلغ قصد من حضور المواسم تجدده مهما صنيع تجددا
ومضطرب في الجوّ أثبت قامة
تقدم يمشى في الهواء كرامة
تطلع في غصن الرشاء كلمة
وتحسبه تحت الغمام غمامة يسيل على أعطافها عرق الندى
هوى واستوى في حالة وتقلبا
كخاطف برق قد تالق خلّبا
وتحسبه قد دار في الأفق كوكبا
ومهمامشى واستوقف العقل مُعجبا تقلب فيه العين لحظا مرددا
لقد رام يرقى للسماء بسلم
فيمشى على خط به متوهم
أجل في الذى يبيده فكر توهم^(١)
ترى طائرا قد حلّ صورة آدمى وجنّا بمهواة الفضاء تمرّدا
ومنسب للخال سموه ملجأ
له حكيات حكمها فاه الجَمَـأ

(١) أجل : أمر من « أجال طرفه ، ونحوه » أى أداره وحركه ، والتوهم : النظر في وجوه الناس ليعرف أحدهم

تَخَالَفَ جَنَسًا والداه إذا ائتمى
 كما جنسه أيضا تخالف عنهما عجبت له إذ لم يلد وتولدا
 ثلاثهما في الذكر جاءت مبينة
 من اللاء سماها لنا الله زينة
 وأنزل فيها آية مستبينة
 وأودع فيها للجهول سَكينة وآلاءه فيها على الخلق بَدَدًا^(١)
 كسوه من الوشي اليماني هودجا
 يمد على ما فوقه الظلَّ سَجَسَجًا^(٢)
 وكم صورة تجلى به تبهر الحجا
 وجزل وقود ناره تصدع الدجى وقلب حسود غاظ مُذَكِّيه موقدا
 وما هي إلا مظهر لجهاده
 أرتقا بها الأفراح فضل اجتهاده
 ملأعها هزت قدود صِمَامده
 وأذكرت الأبطال يوم طراده فما ارتبت فيه اليوم صدقته غدا
 الأجدد الرحمن صنعا حضرته
 ودَوَّحَ الأمانى فى ذراه هَصَرته
 بقصر طويل الوصف فيه اختصرته
 يقيد طرف الطرف مهما نظرته ومن وجد الإحسان قيда تقيدا
 دعوت له الأشراف من كل بلدة
 فجاؤا بأمال لهم مستجدة

(١) الآلاء : النعم ، واحدها إلى ، وبدد : فرق

(٢) ظل سَجَسَج : هو الذى لا حرفيه ولا برد ، والأصل أن يقال « يوم سَجَسَج »
 أو « ليل سَجَسَج »

وخصوا بالظاف لديه معدة
 أياد بفياض الندى مستعدة فكلهم من فضله قد تزودا^(١)
 وجاءتك من آل النبي عصابة
 لها في مراعى المكرمات إصابة
 أحبتك حبا ليس فيه استراية
 ولبت دواعى الفوز منها إجابة وناداهم التخصيص فابتدروا النداء^(٢)
 أجازوا إليك البحر والبحر يزخر
 لبحر سماح مده ليس يحزر
 فرواهم من عذب جودك كوثر
 وواليت من نعمك ما ليس يحصر وعظمتهم ترجو النبي محمدا
 عليه صلاة الله ثم سلامه
 به طاب من هذا النظام اختتامه
 وجاء بحمد الله حلو كلامه
 يعز على أهل البيان مرآته وتمسى له زهر الكواكب حسدا
 أثبت به حادى الركاب مشرقا
 حديث جهاد للنفوس مشوقا
 رميت به من بالعراق مفوقا
 وأرسلت منه بالبدیع مطوقا حماما على دوح الثناء مغردا
 ركضت به خيل البيان إلى مدى
 فأحرزت خصل السبق في حلبة الهدى

(١) أياد : جمع الأيدي التى هى جمع يد ، ومعناها النعم ، وفياض الندى : زائد

الكرم والجود

(٢) ابتدروا النداء : أراد سارعوا إلى إجابته

ونظمت من نظم الدراري مقلدا
 وطوقت جيد الفخر عقداً منضداً^(١) وقت به بين السماطين منشدا
 نسقت من الإحسان فيه فرائدا
 وأرسلت في روض المحاسن رائدا
 وقلدت عطف الملك منه قلائدا
 تعولدت فيسه للقبول عوائدا
 فلا زلت للفعل الجميل معودا
 ولا زلت للصنع الجميل مجددا
 ولا زلت للفخر العظيم مخددا
 وعمرت عمرا لا يزال مجددا
 وعمرت بالأبناء أوحدا أوحدا
 وقرت بهم عينك ما سائق حدا
 وقال في عيد :

لابن زمرك تهنئة في عيد
 بشرى كما وضع الزمان وأجل
 يُعْشَى سَنَاها كل من يتَهَلَّلُ^(١)
 أبدى لها وجه النهار طلاقة
 وأفتر عن ثغر الأفاح مقبل
 ومنابر الإسلام بالملك العلى
 بحلاك أو بحليم تتكل
 تجولنا الأكوان منك محاسنا
 تروى على مر الزمان وتنقل
 فالشمس تأخذ من جبينك نورها
 والبشر منك بوجهها يتَهَلَّلُ
 والروض ينفع من ثنائك طيبه
 والورق فيه بالمادح تهْدُلُ
 والبرق سيف من سيوفك منتضى
 والسحب تهيم من يديك وتهمل
 يا أيها الملك الذى أوصافه
 در على جيد الزمان يُفَصِّلُ
 الله أعطاك التى لا فوقها
 وحَبَّكَ بالفضل الذى لا يجهل

(١) يُعْشَى : يصيب بالعثى ، وهو ضعف البصر ، ووقع في ب « يعشى » بالغين
 معجمة — تحريف ، والسنا : الضوء ، ويتَهَلَّلُ ، هنا : ينظر ، والمستعمل أن يقال
 « أهل الرجل » إذا نظر إلى الهلال

وجه كما حسر الصباح نقابه
تلقاه في يوم السباحة والوغى
كف أبت أن لا تكف عن الندى
وشمائل كالروض باكره الحيا
خلق ابن نصر في الجمال كخلق
نور على نور بأبهى منظر
فاق الملوك بسيفه وبسيبه
وإذا تطاول للعميد عميدهم
يا آية الله التي أنوارها
قل للذي التبت معالم رشده
قد ناصح الإسلام خير خليفة
فلقد ظهرت من الكمال بمستوى
وعناية الله اشتملت رداها
فالجود إلا من يديك مقتر
والعمر إلا تحت ظلك ضائع
حيث الجهاد غدا علت راياته
حيث القباب المحر ترفع للقرى
يا حجة الله التي برهانها
قل للذي ناواك يدفع نومه
والله جل جلاله إن أمهلت
يا ناصر الإسلام وهو فريسة

لضيائه تعشو الدور الكمل^(١)
والبشر في جنباته يتهلل^(٢)
أبدا فإن ضن الحيا تسترسل^(٣)
وسرت برياه الصبا والشمال
ما بعده من غاية تتكمل
في حسنه لمؤمل ما يأمل
فبعده وبفضله يتمثل
فله عليه تطاول وتطول^(٤)
يهدى بها قصد الرشاد الضل
هيئات قد وضح الطريق الأمثل
وحى عزيز الملك أغلب أشمل
ما بعده لذوى الخلافة مامل
وعلقت منها عروة لا تفصل
والغيث إلا من نذاك مبخل
والعيش إلا في جنابك ممجل
حيث المغامم للعفة تنفل
قد عام في أرجائهن المنذل
عز الحق به وذل المبطل
فوراءه ملك يقول ويفعل
أحكامه مستدرجا لا تهمل
أسد القلا من حولها تتسلل

(١) حسر : كشف ، والنقاب — بكسر النون بزنة الكتاب — غطاء الوجه
(٢) يتهلل ، هنا : يشرق ويتلألأ (٣) الحبا : المطر (٤) التطول : التفضل

يا فخر أندلس وعصمة أهلها لك فيهمُ النعمى التى لا تبجل
لا يهمل الله الذين رعيتهم فلأنت أ كفى والعناية أ كفل
لا يبعد النصر العزيز فإنه آوى إليك وأنت نعم الموئل ^(١)
لولا نَدَاكَ لها لما نفع الندى ولجف من ورد الصنائع منهل
لولاك كان الدين يغمط حقه ولكان دين النصر فيه يمتل
لكن جنيت الفتح من شجر القنا وجنى الفتوح لمن عداك مؤمل
فلطالما استفتحت كل مُنَمَّع ^{مُسَمَّع} من دونه باب المطامع مُقَفَّل
ومتى نزلت بمعقل متأشب فالعُصْمُ من شُعفاته تستنزل
وإذا غزوت فإن سعدك ضامن أن لا تخيب وأن قصدك يكمل
فن السعود أمام جيشك موكب ومن الملائك دون جندك جَحْفَل ^(٢)
وكتيبة أردقها بكتيبة وانخليل تمرح فى الحديد وترفل
من كل منحفر كلمة بارق بالبدر يُسَرِّجُ والأهلة ينعل
أوفى بهادٍ كالظلم وخلفه كَفَلَ كما ماج الكتيبُ الأهيل
حى إذا ملك الكى عفانه يهوى كما يهوى بجو أجْدَلْ
حملت أسود كرية يوم الوغى ما عابها إلا الوشيح الذَبَلْ
لبسوا الدروع غداثرا مصقولة والسر قضب فوقها تهدل
من كل معتدل القوام مُتَقَفِّ ^{مُتَقَفِّ} لكنه دون الضريبة يعسل
أذكيت فيه شعلة من نصله يهدى بها إن ضل عنه المقتل
ولربَّ لماع الصقال مشهر ماض ، ولكن فعله مستقبل
رَقَّتْ مضاربه وراق فِرِنْدَه فالحسن فيه مجل ومفصل

(١) آوى إليه يأوى — بوزن رى رى — لجأ ، والموئل : اللجأ

(٢) الجحفل — بزنة جعفر — الجيش الكثير العدد

فإذا الحروب تسعرت أجزاءها
وإذا دجا ليل القتام رأيت
فأعجب لها من جذوة لا تنطفئ
هي سنة أحييتها وفريضة
فإذا الملوك تفاخرت بجودها
يا ابن الذين جالهم ونوالهم
يا ابن الإمام ابن الإمام ابن الإمام
آباؤك الأنصار تلك شعارهم
فهم الألى نصروا الهدى بعزائم
ماذا يحبر شاعر في مدحهم
مولاي لا أحصى مآثرك التي
وإذا الحقائق ليس يدرك كنهها
فإليك من شوال غرة وجهه
عذراء راق العيد رونق حسنها
رضعت لبان العلم في حجر النهى
سلك البيان بها سبيل إجابة
جاءت تهنى العيد أيمن قادم
وطوى الشهور مراحل معدودة
وأنى وقد شف النحول هلاله
عقدت بمرقبه العيون مسرة

ينساب في يملك منها جدول
وكانه فيه ذبال مشعل^(١)
في أبحر زخرت وهن الأمل
أديتها قرباتها تُتَقَبَّلُ
فلأنت أحق بالجهد وأحق
شمس الضحى والعارض المتهلل^(٢)
م ابن الإمام ، وقدرها لا يحجل
فلحيهم آوى النبي المرسل
مصقولة وبصائر لا تحذل
وبفضلهم أثنى الكتاب المنزل
بحديثها تفضى المطى الذلل
سيان فيها مكثر ومقل
أهداها يوم أغرَّ محجل
فعدا بنظم حلبيها يتجمل
فوفت لها منه ضروع حقل
لولا صفاتك كان عنها يعدل
وافى بشهر صيامه يتوسل
كيا يرى بفناء جودك ينزل
ولشوقه للقاء وجهك ينحل
فكبر لطلوعه ومهلل

(١) دجا : أظلم ، والقتام - بالفتح بزنة السحاب - الغبار الأسود ، ويقال

« ارتفع القتام ، حتى خفيت الأعلام » ، والذبال - بالضم - جمع ذبالة ، وهو المصباح

(٢) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، ومتهلل ، هنا : مطر

فاسلم لألف مثله في غبطة ظل المنى من فوقه يتهدل
 فإذا بقيت لنا فكل سعادة في الدين والدنيا بها تتكفل
 وقال ابن الأحمر : ومن جياذ أناشيده المتميزة بالسبقية ، وبارقات تهانيه في المواسم
 العقيقة ، قوله يهنئه - رضوان الله تعالى عليه ! - بطلوع مولانا الوالد قدس الله

لابن زمرك تعالى روحه :
 يهنئه

طلع الهلال وأفقته متهلل فمكبر لطلوعه ومهلل^(١)
 أوفى على وجه الصباح بغرة فعدا الصباح بنورها يتجمل
 شمس الخلافة قد أمدت نوره وبسعدا يرجو التمام ويكمل
 لله منه هلال ساعد طالع لضيائه تعشو البدور الكمل
 وألحت يا شمس الهداية كوكبا يُعشى سناه كل من يقامل^(٢)
 والتاج تاج البدر في أفق العلا مازال بالزُّهر النجوم يكلل
 ولئن حوى كل الجمال فإنه بالشهب أبهى ما يكون وأجمل
 أطلعت يا بدر السماح هلاله والملك أفق والخلافة منزل
 يبدو بهالات السروج وإياه من نور وجهك في العلا يستكمل
 قلدت عطف الملك منه صارما بغنائه ومضائه يتمثل
 حليته بحلى الكمال وجوهر السخ خلق النفيس وكل خلق يحمل
 يغزو أمامك والسعود أمامه وملائك السبع العلا تنزل
 من مبلغ الأنصار منه بشأنه غر البشائر بعدها تسترسل
 أحيا جهادهم وجدد فخرهم بعد للثين فلكهم يتأثل
 فبه إلى الأجر الجزيل توصلوا وبهم إلى رب السما يتوسل

(١) مكبر : قائل « الله أكبر » ومهلل : قائل « لا إله إلا الله »

(٢) وقع في ب « يعشى » بالعين معجمه - تحريف ، وانظر ص ٧٠ السابقة

من مبلغ الأذواء من يمن وهم
 أن الخلافة من بينهم أطلعت
 مَنْ مبلغ قحطان آساد الشرى
 أن الخلافة وهو شبل لبوئهم
 يهني بنى الأنصار أن إمامهم
 يهني البنود فإنها ستظله
 يهني الجياد الصافيات فإنها
 يهني المذاكى والعوالى والظبا
 يهني المعالى والمفاخر أنه
 سبقت مقدمة الفتوح قدومه
 وبدت نجوم السعد قبل طلوعه
 وروت أحاديث الفتوح غرائبها
 ألفت إليك به السعود زمامها
 فالفتح بين معجل ومؤجل
 أو ليس فى شأن المشير دلالة
 ناداهم داعى الضلال فأقبلوا
 عصوا الرسول إباية وتحكمت
 كانوا جبالا قد علت هضباتها
 كانوا بحارا من حديد زاهر
 ركبت أرجلها الأدهم كلما
 قد توجوا وتملكوا وتقبلوا^(١)
 قرا به سعد الخليفة يكمل
 ما غابها إلا الوشيحُ الذبَلُ^(٢)
 قد حاط منها الدين ليث مُشْبِلُ^(٣)
 قد بلغت سعوته ما يأمل
 وجناح جبريل الأمين يظلل
 بفتوحه تحت الفوارس تهدل
 فيها إلى نيل المنى يتوصل
 فى مرتقى أوج العلا يتوقل
 وأتاك وهو الوادع المتمهل
 تجلو المطامع قبله وتؤئل
 والنصر يملى والبشائر تنقل
 فالسعد يمضى ما تقول وتفعل
 ينسبك ماضيه الذى يستقبل
 أن المقاصد من طلابك تكمل
 ودعاهم داعى المنون فجدلوا
 فيهم سيوفك بعدها فاستمئلوا
 نسفتهم ريح الجلال فزلزلوا
 أذكتهم نار الوغى ففتبسألوا^(٤)
 يتحركون إلى قيام تصهل

- (١) تقبلوا : صاروا أقبالا ، والأقبال : جمع قيل ، وهو فى اليمن : من كان يلى الملك ، سمى بذلك لأنه يقول فلا يرد قوله ، وربما سموا الملك قبلا
 (٢) أراد بالوشيح الذبَل الرماح
 (٣) مشبل : ذو أشبال ، والأشبال : جمع شبل - بالسكسر - وهو ولد الأسد
 (٤) كذا فى خ وفى ب «فتبتلوا»

كان الحديد لباسهم وشعارهم
الله أعطاك التي لافوقها
جددت للأنصار حلى جهادها
من يتحف البيت العتيق وزمنا
متسابقين إلى مثابة رحمة
هياً كأفواج القطا قد ساقها
من كل مرفوع الأ كف ضراعة
حتى إذا روت الحديث مسلسلا
من فتحك الأسنى عن الجيش الذى
أهدتهم السراء نصرة دينهم
وتناقلوا عنك الحديث مسرة
ودعوا بنصرك وهو أعظم مفعرا
فأهنا بملكك واعتمد شكرا به
شرفت منه باسم والدك الرضا
أبدت من حسن الصنيع عجائبا
خفقت به أعلامك الحر التي
هدرت طبول العز تحت ظلالها
ودعوت أشراف البلاد وكلهم
وردوا ورود الهيم أجهدا الظما
وأثرت فيه للطراد فوارسا

واليوم لم تلبسه إلا الأرجل^(١)
فتحّابه دين الهدى يتأثل
فالدين والدنيا به تتجمل
والوفد وفد الله فيه ينزل
من كل ما حذب إليه تنسل^(٢)
ظماً شديد والمطاف المنهل
والقلب يخفق والمدامع تهمل
بيض الصوارم والرماح العسل
بثباته أهل الوغى تمثل
واستبشروا بحديثها وتهللا
بسماعه واهتز ذاك الحفل
إن الحجيح بنصر مملك بحفل
لطف الإله وصنعه تتخول
يحى به منه الكريم الفضل
تروى على مر الزمان وتنقل
بحقوقها النصر العزيز موكل
عنون فتح إثرها يستعجل
يثنى الجليل وصنع جودك أجل
فصفا لهم من ورد كفك منهل
مثل الشموس وجوههم تنهل

(١) يريد بقوله « لم تلبسه إلا الأرجل » أنه صار قيودا لهم

(٢) المثابة : المكان الذى يشوب الناس إليه : أى يرجعون ، ومن كل حذب : أى
من كل صوب وناحية ، وهذه العبارة من قولهم تعالى : (وهم من كل حذب ينسلون)

من كل وضاح الجبين كأنه
 يرد الطراد على أغر محجل
 قد عودوا فنص الكماة كأنما
 يستتبعون هوادجا مؤشية
 قد صورت منها غرائب جمّة
 وتضمنت جزل الوقود حولها
 والعاديات إذا تلت فرسانها
 لله خيلك ؛ إنها لسوّاح
 من كل برق بالثرثرا ملجّم
 أو في بهاد كالظلم وخلفه
 هنّ البوارق غير أن جياها
 من أشهب كالصبح يعلو سرجه
 أو أدهم كالليل قد شبهه
 أو أشقر صال النضار بعطفه
 أو أحر كالجر أضر بأسه
 كالجر أترع كأسمها لندامها
 أو أصفر لبس العشيّ ملأه
 أجملت في هذا الصنيع عواندا
 أنشأت فيها من نذاك غمأما
 فجرت من كفيك عشرة أبحر
 نجم وجنح النقع ليل مسبل^(١)
 في سرجه بطل أغر محجل
 عقباها ينقض منها أجدل
 من كل بدع فوق ما يتخيل
 تنسى عقول الناظرين وتذهل
 والنصر في التحقيق ما هي تحمل
 آى القتال صفوفها تترتل
 بحر القتام وموجه متهيل
 بالبدر يسرج والأهله ينعل
 كفل كالأح الكتيب الأهيل
 عن سبق خيلك يا مؤيد تنكّل
 صبح به نجم الضلالة يأفل
 خاض الصباح فأثبتته الأرجل
 وكساه صبغة بهجة لا تنصل
 بالركض في يوم الحفيظة يشعل
 وبها حبابه غرة تسيل
 وبذيله الليل ذيل مُسبّل
 الجود فيها مجل ومفصل
 بالفضل تنشأ والساحة تهمل
 تزجي سحاب الجود وهي الأمل

(١) جنح الليل — بالكسر والضم — القطعة منه ، وأراد هنا الظلام ، والنقع — بالفتح — الغبار ، والإضافة من إضافة المشبه به إلى المشبه : أى الغبار النائر فوق الرؤوس الذى يشبه الظلام ، ومسبل : اسم الفاعل من « أسبل إزاره ونحوه » إذا أرخاه فتغطى به

من قاس كفك بالغمام فإنه
 تسخو الغمام ووجهها متجههم
 والسحب تسمح بالمياه وجوده
 من قاس بالشمس المنيرة وجهه
 من أين للشمس المنيرة منطق
 من أين للشمس المنيرة راحة
 من قاس بالبدر المنير كماله
 من أين للبدر المنير شمائل
 من أين للبدر المنير مناقب
 يا من إذا نفحت نواسم حده
 يامن إذا لحت محاسن وجهه
 يا من إذا تليت مفاخر قومه
 كفل اخلافة منك يا ملك العلا
 مأمونها وأمينها ورشيدها
 حسب اخلافة أن تكون وليها
 حسب الزمان بأن تكون إمامه
 حسب الملوك بأن تكون عميدها
 حسب المعالي أن تكون إمامها
 يا حجة الله التي برهانها
 أنت الإمام ابن الإمام ابن الإمام

جَهَلَ القياس ومثلها لا يجهل^(١)
 والوجه منه مع الندى يتهلل
 ذهب به أهل الغنى تتمول
 أقيته في حكمه لا يعدل
 ببيان در الكلام يفصل
 تسخو إذا بخل الزمان المحل
 فالبدر ينقص والخليفة يكمل
 تسرى برّياتها الصبا والشمائل
 بجهادها تُنْقِضِي المطىّ الدُّلّ
 فالمسك يعبق طيبه والمنديل
 تعشو العيون ويهر المتأمل
 آى الكتاب بذكرها تنزل
 والله جل جلاله بك أكفل
 منصورها مهديها المتوكل
 ومجيرها من كل من يتخيل
 فله بذلك عزة لا تهمل
 ترجو الندى من راحتك وتكمل
 فعليك أطناب المفاخر تسدل
 عز الحق به وذل المبطل
 م ابن الإمام وغرّها لا يعدل

(١) هذا من قول شاعر البيتية :

كنوال الأمير يوم عطاء
 ونوال السحاب قطرة ماء

ما نوال الساء يوم سحاب
 فنوال الأمير بكرة مال

علمت حتى لم تدع من جاهل أعطيت حتى لم تدع من يسأل
وعناية الله اشتملت رداها وعلقت منها عروة لا تفصل
ومنها :

أخذت قلوب الكافرين مهابة فعمق لهم من خوفها لا تعقل
حسبوا البروق صوارما مسلولة أرواحهم من بأسها تنسل
وترى النجوم مناصلا مرهوبة فيفر منها الخائف المتنصل
يا ابن الألى إجهلهم وجهلهم شمس الضحى والعارض المتهلل
مولاي لا أحصى مآثرك التي بجهادها يتوصل المتوصل
أصبحت في ظل امتداحك ساجعا طلّ المنى من فوقه يتهدل
طوقته طوق الحائم أنعا فعدا بشرك في المحافل يهدل
فإليك من صوغ العقول عقيلة أهداها صنّع أغر محجل
عذراء راق الصنع رونق حسنها فعدا بنظم حلها يتكلل
خيرتها بين المنى فوجدتها أقصى منها أنها تتقبل
لا زلت شمسا في سماء خلافة وهلاك الأسمى يتم ويكمل

قال : ومن رقيق منازعه في بعض نزه مولانا رضوان الله عليه بالقصر السلطاني في شينيل قوله :

نفسى الفداء لشادن مهما خطر فالقلب من سهم الجفون على خطر^(١)
فضح الغزالة والأفاحة والقنا مهما تننى أو تبسم أو نظر^(٢)
عجبا لليل ذوائب من شعره والوجه يسفر عن صباح قد سفر
عجبا لعقد الثغر منه منظرا والعقد من دمعى عليه قد انتثر

(١) خطري الشطر الأول بمعنى مشى ، والخطر في قافية البيت الإشراف على الهلكة

(٢) في هذا البيت لف ونشر ، فقوله « مهما تننى » راجع إلى القنا ، وقوله « تبسم » راجع إلى الأفاحة ، وقوله « أو نظر » راجع إلى الغزالة ، وفيه تشبيه ضلنى لعينه بعين الطباء ، ولقده بالرمح ، ولثغره بالاقاح

ما رمتُ أن أجنى الأفاح بشعره
 لم أنسه ليل ارتقاب هلاله
 بتنا نراقبه بأول ليلة
 طالعته في روضة كحلاله
 وكلاهما يبدي محاسن جمّة
 والكأس تطلع شمسها في خده
 نورية كجبينه ، وكلاهما
 هي نسخة للشيخ فيها نسبة
 أفرغت في جسم الزجاجة روحها
 لا تسق غير الروض فضلة كأسها
 ما هب خفاق النسيم مع السحر
 ناجى القلوب الخافقات لمثله
 وروى عن الضحاك عن زهر الربا
 وتحملت عنه حديث صحيحه
 يا قصر شينيل وربك أهل
 لله بحرك والصبا قد سرّدت
 والآس حَفَّ عِذاره من حوله
 قبل بشعر الزهر كفّ خائفة
 وافرش خدود الورد تحت نعاله
 وانظم غناء الطير فيه مدائحاً
 إلا وقد سل السيوف من الحور^(١)
 والقلب من شك الظهور على غرر^(٢)
 فإذا به قد لاح من نصف الشهر
 والطيب من هذى وتلك قد اشتهر
 ملء التنسم والمسامع والبصر
 فتكاد تُعشى بالأشعة والنظر
 يجلو ظلام الليل بالوجه الأغر
 ما إن يزالا يرعشان من الكبير
 فرأيت روح الأنس منها قد بهر
 فأنصن في ذيل الأزاهر قد عثر
 إلا وقد شاق النفوس وقد سحر
 ووشى بما تخفى الكيام من الزهر
 ما أسند الزهرى عنه عن مطر
 رسل النسيم وصدق الخبر الخبر
 والروض منك على الجمال قد اقتصر
 منه دروعا تحت أعلام الشجر
 عن كل من يهوى العذار قد اعتذر
 يغنيك صوب الجود منه عن المطر
 واجعل بها لون المضاعف عن خفر
 وانثر من الزهر الدراهم والدرر

(١) رمت : طلبت ، وأجنى : أقطف ، والأفاحى : زهر تشبه به ثغور الحسان ،
 والحور - بالتحريك - شدة بياض بياض العين مع شدة سواد سوادها
 (٢) الغرر - بالتحريك - التعرض للهلاك

المنتقى من جوهر الشرف الذى
 والمجتبى من عنصر النور الذى
 ذو سطوة مهما كفى ، ذو رحمة
 كم سائل للدهر أقسم قائلا :
 مولاي سعدك كالمهند فى الوغى
 مولاي وجهك والصبح أشابها
 إن الملوك كواكب أخفيها
 فى كل يوم من زمانك موسم
 فاستقبل الأيام يندى روضها
 قد ذهبت منها العشايا ضعف ما
 يا ابن الذين إذا تعدّ خلاهم
 إن أوردوا هيم السيوف غدأرا
 سائل ببدر عنهم بدر الهدى
 واسأل موافقهم بكل مشهر
 تجدد الثناء بياهم وبجودهم
 فبمثل هديك فلتنرشمس الضحى
 ماذا أقول وكل وصف معجز
 تلك المناقب كالثواقب فى العلا
 إن غاب عبدك عن حماك فإنه
 فاذكر فإن الذكر منك سعادة

فى مدحه قد أنزلت آى السور
 فى مطلع الهدى المقدس قد ظهر
 مهما عفا ، ذو غفة مهما قدر
 والله ما أيامه إلا غرر
 لم يبق من رسم الضلال ولم يذر
 وكلاهما فى الخافقين قد اشتهر
 وطلعت وحدك فى مظاهرها قر^(١)
 فى طيه للخلق أغناء كبر
 ويرف والنصر العزيز له ثمر
 قد فضضت منها المحاسن فى السحر
 نقد الحساب وأعجزت منها القدر
 مصقولة فلطالما حمدوا الصدر^(٢)
 فبهم على حزب الضلال قد انتصر
 وافر المغازى فى الصحيح وفى السير
 فى مصحف الوحى المنزل مستطر
 وبمثل قومك فليفاخر من فخر
 والقول فيك مع الإطالة مختصر
 من رامها بالحصر أدركه الحصر
 بالقلب فى تلك المشاهد قد حضر
 وبها على كل الأنام قد افتخر

(١) أصل هذا المعنى قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب

(٢) الهيم : جمع أهيم ، وهو الشديد العطش .

ورضاك عنه غاية ما بعدها إلا رضا الله الذي ابتدع البشر
 فاشكر صنيع الله فيك فإنه سبحانه ضمن المزيدين شكر
 وعليك من رَوْحِ الإله تحية تهفوا إليك مع الأصائل والبُكر
 ثم قال : وفي أغراضه الوقتية استرسلا مع الطبع البديهي في الشكر عن ضروب
 لابن زمرك من التحف التي يقتضيها التحقُّق السلطاني بأولياء خدمته نبذ متعددة فيما يظهر
 في الشكر فيها ، فمنها قوله :

يا خير من ملك الملوك بجوده وبفضله قد أشبه الأملكا^(١)
 والله ما عرف الزمان وأهله أمنا ويُمنا دائما لولا كا
 وافيت أهلي بالرياض عشية في روض جاهك تحت ظل دَرَا كا
 فوجدته قد طلَّه صوبُ الندى بسحائب تنهل من بمنا كا
 وسنائن مشحونة ألقى بها بحر السماح يجيش من نعم كا
 رطب من الطلع النضيد كأنها قد نظمت من حسنها أسلا كا
 من كل ما كان النبي يحبها وأحبَّها الأنصار من أولا كا
 وبدائع التحف التي قد أطلعت مثل البذور أنارت الأحلاكا^(٢)
 نطف من النور المبين تجسمت حتى حسبنا أنهن هُدا كا
 يحلو على الأفواه طيب مذاقها لولا التجسد خلتن ثنا كا
 طافت بها النشأ الصغار كأنها سِرْبُ القطا لما وردن ندا كا
 نجواهم مهما سمعت كلامهم ونداؤهم : مولاي ، أو مولا كا
 بلغت في الأبناء عبدك سؤله لا زلت تبليغ في بنيك مُنا كا
 يتدارسون من الدعاء صحائفها كيما يطيل الله في بقيا كا

(١) الأملاك هنا : جمع ملك — بالتحريك — وهم الملائكة

(٢) الأحلاك : جمع حلك — بالتحريك — وهو الظلام الشديد

فبقيت شمسا في سماء خلافة وهمُ البدور أمدهن سناكا
ومنها وقد أهداه نعمة الله أطباقا من حَبِّ الملوك :

كتب الإله على العباد محبة أنا الذي شرفته من بينهم
لك كان فرضُ كتابها موقوتا حتى جعلت له المحبة قوتا
ما زلت تتحفه بكل ذخيرة حتى لقد أنحفته الياقوتا
وإلى الملوك قد اغتزى من عزه ففدا له يا قوتها ممقوتا

ومنها في مثل ذلك :

يا خير من ملك الملوك أهديتني حَبَّ الملوك
فكانت يا قوتها نظمت لنا نظم السلوك
إب الملوك إذا لجؤا فغياهم أن أملاك
وكذا العفاة إذا شكوا ففناهم أن يسألوك
فالله يقبل من دعا لعلاك من أهل السلوك
لا زلت تطلع غرة كاشمس في وقت الدولوك

ومنها ، وقد أهداه صيدا مما صاده أولاده :

يا خير من ورث السماح عن الألى نصروا الألى وتبوؤا الإيمان
في كل يوم منك تحفة منعم وإلى الجليل وأجزل الإحسانا
قد أذكرت دار النعيم عبيده وتضمنت من فضله رضوانا
تهدى موالى الذين تفرعوا عن دَورح فخرک في العلا أغصانا^(١)
لجلالك الأعلى قنيصا أتعبوا في صيده الأرواح والأبدانا
فتخصني منه بأوفر قسمة فسحت لعبدک في الرضا ميدانا

(١) وقع في ب « تهدى من ... الدين » بنقص كلمة ، وقال مصححها « لعله تهدى سلاتك الذين تفرعوا » وأثبتنا ما في خ ، وهو أيضا مما يلتزم مع البيت السابع من هذه القطعة في ألفاظه .

لله من مولى كريم بالذى تهدى الموالى يتحف العبدانا (١)
تدعو بنى إلى الغنى بربه يا ربنا أغن الذى أغسانا
وعليك من قدس الإله تحية تهديك منه الرّوح والريحانا
ومنها ، وقد أهداه أصنافا من الفواكه :

يا من له الوجه الجميل إذا بدا فافت محاسنه الدور كمالا
والمنتقى من جوهر الفخر الذى فات الخلائف عزة وجلالا
ما أبصرت عيناي مثل هدية أبدت لنا صنع الإله تعالى
فيها من التفاح كل عجيبة تذكى برّياها صبا وشمالا (٢)
بهدى لنا نهد الحبيب وخده وترى من الورد الجنى مثالا
وبها من الأترج شمس أطلعت من كل شطر للعيون هلالا
ويحفها ورق يروق كأنه ورق النضار وقد أجاد نبّالا
لون العشية ذهبت صفحاتها رقت وراقت بهجة وجمالا
وبها من النّقل الشهى مذكر عهداً تولى ليتّـه يتوالى
لله منها حضرة من حضرة تغنى العفاة ونحسب الآمالا
أذكرتى العهد القديم ومعهذا كانت شموس الراح فيه تلالا
فأردت تجديد العهود وإثما كتب المشيب على عذارى لالا
فأدرت من ذكراك كأس مدامة وشربت من حبي لها جرّبالا
فبقيت شمسا فى سماء خلافة لا يستطيع لها الزمان زوالا

ومنها يوم عاشوراء :

يا أيها المولى الذى برّكاته رفعت لواء للندى منشورا

(١) العبدان : أحد جموع عبد ، مثل العبيد

(٢) تذكىها : تطيب رائحتها ، والريا : الراحة العبة

لك راحة تزجى الغمام بأمل
واليوم موسم قربة وعبادة
راعت فيه سنة نبوية
لازلت عامك كله في غبطة
فَجَرَّتَ منها بالنوال بحورا^(١)
وغدا ظفرت بأجره عاشورا
تروى الثقات حديثه المشهورا
لقيت منها نَصْرَة وسرورا

ومنها في بعض قطعة :

واليت ما أوليت يا بحر الندى
فإذا يهز لها اللسان حسامه
عَلَّمَتْ فرسان الكلام نظامها
والبحر تمتار السحاب ماءه
ووفق جودك ما رأيت كهذه
فصفات فخرك قد قضت بنفاذه
كتعلم التلميذ من أستاذه
فتجوده من غيثها برَدَاذِهِ^(٢)
ومنها وقد أهداه با كورا :

يا وارث الأنصار وهى مزية
أهديتنى الباكور وهى بشارة
وولادة له لال تم طالع
هو أول الأنوار فى أفق الهدى
من لفظ عبدك والعواقب أجمل
مولاي صِدْقُ القال قد جربته

ومنها فى جفنة :

طعامك من دار النعيم بعثته
بهَضْبَة نعمى قد سمونا لأَوْجِهَا
وقوراء قد دُرْنَا بهالة بدرها
وقد حملت فوق الرأس لأنها
فشرفته من حيث أدرى ولا أدرى
فصدنا بأعلاها الشهى من الطير
كما دارت الزهر النجوم على البدر
هدية مولى حل فى مفرق الفخر

(١) الراحة ، هنا : اليد ، وتزجى الغمام : تسوقه

(٢) هذا المعنى من قول أبى تمام :

كالبحر تَمْطرُه السحاب ، ومالها فضل عليه لأنها من مائه

فما شئت من طعم زكى مُهِيناً وما شئت من عَرَف ذكى ومن نَشَر^(١)
 فلو أنها قد قدمت خليفة لأعظمها قدراً وبالغ في الشكر
 وكم لك من نعمي على عميمة يقل لأدناها الجليل من الذكر
 فلا زلت يا مولى الملوك مبدِّعاً أمانى ترجوها إلى سالف الدهر
 ومنها شكرا عن كتاب :

مولاي يومُ الجُمُعَة	سعوده مجتمعه
فأنعم صباحا واغتنم	أوقاته المجتمعه
وابشر بصنع عاجل	أعلامه مرتفعه
وانتظر الفتح الذى	يأتيك بالنصر معه
ويبيضه وسمره	إلى العداة مُشرَّعه ^(٢)
واللطف مرجو فرد	بفضل ربى مُشرَّعه ^(٣)
فأحتنى شرفتنى	برقة مرفعه
بل روضة ممطورة	أزهارها منوعه
حديقة قد جذتها	بصوب جود مُترَّعه
وراية منشورة	وآية مستبدعه
كم حِكَم لطيفة	في طيها مستودعه
عقيلة صـورتها	من الجلال مبدَّعه
سقيتنى من فضلها	بفضل كأس مُترَّعه
قدم وأملك الورى	على علاك مجعه

(١) العرف ، والنشر — بالفتح فيها — طيب الرائحة ، والدكى : العبق الذائع الريح

(٢) البيض : السيوف ، والسمر : الرماح ، ومشرَّعة : موجهة نحو صدور الأعداء ،

اسم مفعول من «أشرع الرمح بشرَّعه» (٣) المشرع — بزة المقعد — موضع ورود الماء

ومنها شكرا على خَلْعِهِ :

يا بدر تم في سماء خلافة حفت نجوم السعد هالة قصره ^(١)
ألبيت عبدك من ثيابك ملبسا قد قصرت عنه مَدَارِكُ شكره
ورضاك عنه خيرُ ما ألبيته فلقد أشاد بجأه وبيره
ألبيتني أركبني شرفتي أهديتني مالا أقوم بحصره
نظري لوجهك وهو أجمل نير يزرى على شمس الزمان وبدره ^(٢)
أعلى وأعظم منة لاسيا وأنا المنعم في الحضور بيشره
لا زلت مولى الملوك مؤملا وحلاك للإسلام مفخر دهره

ومنها ، وقد خلع - رضوان الله تعالى عليه ! - على رسول من أرساله :

أبحر سماح مدَّ عشرة أبحر تفيض غمام الجود وهى الأنامل
بكفك غيث للبلاد وأهلها يروض محل الأرض والعام ماحل ^(٣)
لك إن أصبحت بحر سماحة يعم نداه فالوهابُ ساحل
خلعت على هذا الرسول ملاسا بها تنسنى في علاك المآمل
وبلغته آماله كيف شاءها فبلغت يا مولاي ما أنت آمل

ومنها ، وقد مرض بعضُ أبنائه رحمة الله تعالى على الجميع ، قوله سائلا عن حاله :

أسائل بدر التم كيف هلاله وأدعو له الرحمن جل جلاله
وأسأله تعجيل راحته التي وسيلتنا فيها النبي وآله
ستبلغ فيه ما تؤمل من منى ويرضيك يا بدر الكمال كماله

وفي مثله :

أقول لبدر التم كيف هلالكا نعمت صباحا بالسعود وآلكا

(١) حفته ، وحفت به : أحاطت ، والهالة : دائرة القمر

(٢) يزرى : يعيب ، وينتقص

(٣) المحل : الجذب والقطط

وَبُلِّغْتِ فِي النُّجْلِ الْكَرِيمِ سَعَادَةً تَقْرِبُهَا عَيْنًا وَيَنْعَمُ بِالْكَ
وَخَصَّصْتَ بِالْبَشَرِ مِنْ اللَّهِ رَبَّنَا كَأَنَّ أَقْطَارَ الْبِلَادِ نَوَاسِكَ
وَمِنَ التَّوْرَةِ بِاسْمِ قَائِدٍ وَلَاهُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ :

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي أَيَّامُهُ تَهْمِي بِسَحْبِ الْجُودِ مِنْ آلَائِهِ (١)
أُبَشِّرُ لِحِشِكَ بِالسَّعَادَةِ كُلِّهَا يَغْزُو وَنَصْرُ اللَّهِ تَحْتَ لَوَائِهِ
وَأُنْشِدُهُ فِي مَلْبَسٍ أَخْذُهُ :

أُمُولَايَ يَا ابْنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْعَلَا وَمَنْ نَصَرُوا الدِّينَ الْحَنِيفِي أُولَا
غَنِيَتْ بِنُورِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ زِينَةٍ وَأَلْبَسْتَ مِنْ رِضْوَانِهِ أَشْرَفَ الْحُلَى
وَقَارَكَ زَادَ الْمَلِكِ عِزًّا وَهَيْبَةً وَسَوَّغَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مِنْهَا
وَيَا شَمْسَ هَدَى فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَأَبْنَاؤُهُ الزَّهْرَ الْمُنِيرَةَ تَحْتَلِي
تَبَارَكَ مَنْ أَبْدَاكَ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ جَمِيلًا جَلِيلًا مُسْتَعَاذًا مُؤَمِّلًا
فَتُخْجَلُ مِنْكَ الشَّمْسُ شَمْسَ هِدَايَةٍ وَيُحْسَدُ مِنْكَ الْبَدْرُ بَدْرًا مَكْمَلًا
إِذَا أَنْتِ أَلْبَسْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مَلَابِسَ عِزٍّ لَيْسَ يَدْرِكُهَا الْبَلَى
وَطَوَّقْتَ أَجْيَادَ الْمُلُوكِ أَيَادِيَا وَتَوَجَّهْتَهُمْ بِالْفَخْرِ تَاجًا مَكْمَلًا
فَمَا شِئْتَ قَالِبَسَ فِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا تَبَارَكَ مَا أَبْهَى وَأُسْنَى وَأَجْمَلًا
أَلَّا كُلٌّ مِنْ صَلَّى وَضَحَى وَمِنْ دَعَا وَمَدَّ يَدَيْهِ ضَارِعًا مَقْوَسَلًا
وَجُودُكَ شَرْطٌ فِي حَصُولِ قَبُولِهِ وَجُودُكَ أَثَرٌ كَفُهُ فَتَنْفَعَلَا (٢)

وَقَالَ بَرَسَمٌ مَا يَرَسِمُ عَلَى ثَوْبٍ فِي بَعْضِ هَدَايَا مَوْلَانَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلسُّلْطَانِ أَبِي الْعَبَّاسِ :

أَهْدَى أَبَا الْعَبَّاسِ مَلِكَ النَّدَى وَالْبَاسِ
ثَوْبَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ بَدْرٌ بَدَا لِلنَّاسِ

(١) همى المطر بهمى — مثال رمى يرمى — أهل وانكسب ، والآلاء : النعم

(٢) تنفل هنا : أعطى النافلة ، وهي هنا ما زاد عن حاجته

فلق الصباح بوجهه عوذته بالناس^(١)
 يكسو إماما لم يزل بحلى المحامد كاسى
 فياله من مرتد ثوب التقي لبّاس
 أذياه من حمده مسكية الأنفاس
 وبطرزه مدح زرى بالمدح فى القرطاس
 إن كنت فى لون السما بنسبة وقياس
 فلأنت يا بدر العلا شرفتنى بلباس
 أنا منشد (ما فى وقو فك ساعة من باس)^(٢)
 لترى رياضاً أطلعت زهرا على أجناس
 أوراقها توريقها بقضيبها الميَّاس
 ومن المديح مداقتى ومن المحابر كاسى
 فالله يتمتع لابسى بالبشر والإيناس

وقال فى مثل ذلك :

إن الإمام محمداً أهدى الخليفة أحدا
 للباسه ثوبا ، وقد لبس المحامد وارتدى
 وعمامة الشفق التى من فوقها شمس الهدى
 يا حسنها إذ أرسلت من كفه غيث الندى
 وكأن وثى رقومها بالبرق طرز عسجدا
 وبطرزه لون السما ووجهه قمر بدا
 لله منه نير حل المنازل أسعدا

(١) بالناس : أراد بسورة الناس

(٢) ما بين المعقوفين صدر مطلع قصيدة لأبى تمام ، وعجزه قوله :

* نقضى ذمام الأربيع الأدراس *

مستنصر أعلى له فوق المنازل أسعدًا

ثم قال : وأنشده وهو على جواد أدم :

على أدم قد راق حسن أديمه
مقلد ذاك الطرف بعض نجومه

تجلى لنا المولى الإمام محمد
فأبصرتُ صباحاً فوق ليل وقد حكي

وكتب له مع هدية زهر :

ولا ينكر الظمان شوقاً إلى البحر
وشوقني من حيث أدري ولا أدري
يقبلها غنى تغور من الزهر

أمولاي تقبيلي ليمناك شاقني
ولما رأيت الدهر ما طلني بها
بعثت لك الزهر الجنيّ لعله

وكتب إليه أيضاً منشوقاً :

وأجرى به بين الخيام السواقي
ولكنه قد خلد الفخر باقيا
أرجى بفضل الله منه التلاقي

كتبتُ ودمعي بلل الركب قطره
حينئذ لمولى أتلّف المال جوده
وما عشت بعد البين إلا لأنني

وأنشده أيضاً وهو بحال تألم :

وعافى إمام المسلمين وقد شفا
وخطّ على رسم الشفاء له «اكتفى»

كأنى بلغف الله قد عم خلقه
وقاضى القضاء الحتم سجّل ختمه

وله في مثل ذلك :

عقدت مع الأيام في حفظها صلحاً^(١)
تجدد للدين السعادة والنّجى
وجوّ التهاني بعد ما غام قد أضحي

لك الخير يا مولاي أبشر بعصمة
وعافية في صحبة مستجدة
ووجه التهاني مُشرق متلهل

(١) العصمة — بالكسر — المنع ، وهي في اصطلاح أهل الكلام : ملكة اجتناب المعاصي مع التمسك منها

وفي مثل ذلك :

يا إماما قد نخذنا من الدهر مَلَاذًا
خَطُّ يَمْنَاكَ ينادي صَحَّ هَذَا صَحَّ هَذَا

وقال مهنثا بالشفاء :

الحمد لله بَلَفْنَا المنى لما رأيناك ، وزال العَنَاءُ
وَفُزْتُ بِالْأَجْرِ وَكَبْتُ الْعَدَا وفزت بالعز وطيب الثَنَا^(١)
فالحمد لله على مابه من علينا من ظهور السَنَا

وقال أيضاً في نحوه :

نعم قَرَّرَتِ العَيْنَانِ وانشرح الصدر وقد لاح من وجه الإمام لنا البدر
سرينا بليل التيه يكذب فجره فلما تجلَّى فجره صدق الفجر
أغر الحيا بالحياء مُقَنِّع زهاه الكلام الحر والنسب الحر
إمام الهدى قد خصه بخلافة إله له في خلقه النهى والأمر

وقال في مثله ، وقد ركب رحمه الله تعالى لمعاهد حضرته :

هنيئنا هنيئنا لانقَادَ لَعَدِّهِ وبشرى لدين الله إنجاز وعده
فقد لاح بدر التم في أفق العلا وحل كما يرضى منازل سعده
وطاف أميرُ المسلمين محمد بحضرته العليا مبلغ قصده
ولاحت بها الأنوار من بشروجه وفاح بها النوار من نشر حمده
وأبصرت الأبصار شمس هداية وأشرقت الأرجاء من زهر رفده
ولوحت الأعلام فيها بنصره كما لوح الصبح المنير بينده
ستهدي له الأيام كل مسرة ويحيي به الرحمن آثار جده

(١) كبت أعداءه يكبتهم — من باب ضرب يضرب — أخزاهم وصرعهم وأذلهم

وأهانهم وردهم بغيظهم

فَسُلَّ حَسَامُ السَّعْدِ وَاضْرَبَ بِهِ الْعَدَا وَخَلَّ حَسَامُ الْهِنْدِ فِي كَنْزِ غَمْدِهِ
 فَسَيْفُكَ سَيْفُ اللَّهِ مَهْمَا سَلَّمْتَهُ يَقِيمُ حَدُودَ اللَّهِ قَائِمٌ حُدَّهُ
 وَقَالَ ، وَقَدْ عَادَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَعْضِ مَتَوَجِّهَاتِهِ الْجِهَادِيَّةِ لَجَبَلِ الشَّوَارِ :
 عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ قَدِمْتُ مَعَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ
 وَقَدْ عُدَّتْ مِنْ جَبَلِ الشَّوَارِ لَتَجْتَلَى عِقَاتِلُ لِلْفَتْحِ الْمُبِينِ بِلَاعِدِ
 وَقَالَ مِمَّا رَسَمَ فِي طَيْقَانِ الْأَبْوَابِ بِالْمُبَانِي السَّعِيدَةِ الَّتِي ابْتَنَاهَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

أَنَا تَاجُ كَهْلَالٍ أَنَا كَرْسِيُّ جَمَالٍ
 يَنْجَلِي الْإِبْرِيْقُ فِيهِ كَعُرُوسِ ذِي اخْتِيَالٍ
 جُودُ مَوْلَانَا ابْنِ نَصْرِ قَدْ حَبَانِي بِالْكَامِلِ (١)

وَفِي مِثْلِهِ :

مَنْ رَأَى التَّاجَ الرَّفِيعَا قَدْ حَوَى الشُّكْرَ الْبَدِيعَا
 تَحْسَدُ الْأَفْلَاكُ مِنْهُ قَوْسُهُ السَّهْلُ الْمُنِيعَا
 دَمَتْ رَبْعَاً لِلتَّهَانِي أَنْظَمَ الشَّمْلَ الْجَمِيعَا

وَفِيهِ :

لِلْغَنِيِّ بِاللَّهِ قَصْرٌ لِلتَّهَانِي يَصْطَفِيهِ
 فِيهِ مَحْرَابُ صَلَاةٍ يَقِفُ الْإِبْرِيْقُ فِيهِ
 تَالِيَا سُورَةَ حَسَنِ وَالْمَعَالِي تَقْتَفِيهِ

وَفِيهِ :

أَيُّ قَوْسٍ ذِي جَمَالٍ سَهْمُهُ سَهْمُ السَّعَادَةِ
 مَلِكُ الْإِبْرِيْقِ فِيهِ عَوْدُ الْإِحْسَانِ عَادَهُ

ذو صلاة من صلاتٍ كلها دأبا معاده
 وقال في المعنى مما كتب به لعننا الأمير « سعد » رحمة الله تعالى عليه :
 انظر لأفق جمال به الأباريق تصعد
 حُسنٌ بديع حَبَّاه به الأمير الممجَّد
 فخر الإمارة سعد به الخليفة يسعد
 وكيف لا وأبوه فخر الملوك محمد؟
 عليه حَلْيُ رضاه في كل يوم يُجدد
 وقال فيه أيضاً :

رفعت قوس سمائي يزُهي بتاج الهلال^(١)
 قد قلدته نقوشى دُرِّ الدرارى العوالى
 ترى الأباريق فيه تهديك عذب الزلال
 قد زان قَصْرَى سعد بسعده المتوالى
 فدام يعمر رَبْعَى فى كُلِّ مولى الموالى^(٢)

وفى الغرض :

ما ترى فى الرياض أشباهى يسحر العقل حسنى الزاهى
 زان روضى أميره سعد وهو نجل الغنى بالله
 دام منه بمرتقى عز أمر بالسعود أو ناهى

وقال فى غرض الشكر عن مغطى صنهاجى أهدها إياه :

لمن قبة حمراء مُدَّ نُصَّارها تطابق منها أرضها وسماؤها
 وما أرضها إلا خزائن رحمة وما قد سما من فوق ذاك غطاؤها

(١) يزهى : يتكبر ويتباهى ، وهو من الأفعال الملازمة للبناء للمجهول فى أكثر استعماله

(٢) الكلء — بالفتح — مصدر كَلَّاه أى حفظه ورعاه

وقد شبه الرحمن خلقتنا به وحسبك فخرا بأن منه اعتلاؤها
ومعروشة الأرجاء معروشة بها صنوف من النعماء منها وطاؤها
ترى الطير في أجوافها قد تصفت ونسبتها صنهاجة غير أنها
حبنتي بها دون العبيد خلافة على الله في يوم الجزاء جزاؤها

وفي مثله :

ما للعوالم جمعت في قبـة قد شادها كرم الإمام محمد
ما إن رأيت ولا سمعت كطائر عن ثوب موشى الرياش مجرد
إن لم تكن تلك الطيور تغرد فلشكر هذا العبد سجع مغرد
صُفَّتْ عليها للفواكه كل ما قد عاهدته بدوحها المتعود
لو شاهدت صنهاجة أوضاعه دانت له أملاكها بتعبُد
عودتني الصنع الجميل تفضلا لازلت خير معود ومعود
وبسورة الأنعام كم من آية فيها لقارٍ بالنوال مجود

وقال تذيلا لبيتى ابن المعتز :

سقتنى في ليل شبهه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب (١)
فأمسيت في ليلين للشعر والدجى وشمسين من خمر وخد حبيب
إلى أن بدا الصبح المبين كأنه محيا ابن نصر لم يشن بغروب (٢)
شماله مهما أديرت كؤسها قلاند أسمع وأنس قلوب

وقال مذيلا على بيت ابن وكيع :

هى فى أوجه الندامى عقيق وهى مثل النضار فى الأفداح

(١) شبيهة خديها : أراد الخمر الضاربة إلى الحمرة كخديها ، وهو مفعول ثانى لسقتنى

(٢) لم يشن — بالبناء للمجهول — لم يصبه شين وهو القبح

كأبن نصر تراه في الحرب ليثا وهو بدر الفدى وغيث السماح^(١)
 ذكره قد تقي قدود الندامى وأعاد الحياة في الأرواح
 وقال مما يرسم للغنى بالله :

لغنى بالله ملك بُرْده بالعز مُذْهَبُ
 دام في رفعة شان ماجالاً الإصباحُ غَيْهَبُ^(٢)

وقال أيضا :

يا ابن نصر لك ملك ليس تعدوه الفتوح
 دمت رُوحًا المعالى ماسرى في الجسم روح

ومن مقطوعاته :

وابن نصر له محيا كصبح إن تجلى جلالنا كل كرب
 ذو حسام كأنه لمع برق في بنان كأنها غيث سُحْبِ

ومن أخرى :

وكان النجوم في غسق الليل جُجَانٌ يلوح في آبنوس
 وكان الصباح في الأفق يحلى بحلى النجوم مثل العروس
 وكان الرياض تهدي ثناء لغنى بالله فوق الطروس

وقال من قصيدة أولها :

أضياء هدى أم ضياء نهار وشذا المحامد أم شذا الأزهار
 قسما بهديك في الضياء ، وإنه شمس تمد الشهب بالأنوار

ومنها :

كم من لطائف للهدى أوضحتها خفيت لظائفها على الأفكار

(١) الليث : الأسد ، والسماح : الجود والعطاء

(٢) الغيب — كجعفر — أراد به الظلام

كم من جرائم قد غفرت عظيمها مستنزلا من رحمة الغفار
علمت ملوك الأرض أنك فخرها فتسابت لرضاك في مضمار
ومنها يصف الجيش :

سالت به تحت العجاج سفينة شحت بريح العز من أنصار
أرست بجودي الجود في يوم الندى وجرت بيوم الحرب في تيار (١)

ألقى بأيدي الرياح فضل عناه فيكاد يسبق لمحمة الأبصار
ومنها :

فهي العراب متى انبرت يوم الوغى قد أعربت عن لطف صنع الباري (٢)

إن خاض في ليل العجاج رأيت به يحلود جنته بوجه نهار
ومنها :

كم فيهم من قار ضيف طارق وضحت شواهد فضله للقار
ومنها :

يا أيها الملك الذي أيامه غرر تلوح بأوجه الأعصار
قد زارك العيد السعيد مبشرا فاسمح لألف منهم بمزار
لما ازدته عواطف ألفتها عطف الإله عليك عطف سوار
فأني يؤم منك هديا صالحا كي يستمد النور بعد سرار
وأناك يسحب ذيل سحب أغدقت تغري جفون المزن باستعمار
جادت بجاري الدمع يقطر بالندی فرعى الربيع لها حقوق الجار

(١) جودي : أصله بتشديد الياء كما وقع في قوله تعالى : (واستوت على الجودي)
ولكنه خفف الياء هنا إقامة للوزن ، والجود — بالضم — الكرم ، والندی : العطاء .

(٢) العراب — بكسر العين = الخيل العربية الأصيلة

فأعاد وجه الأرض طاقاً مشرقاً
لما دعاك إلى القيام بسنة
فأفضت فينا من نداءك مواهباً
فاهناً بعيد عاد يشتمل الرضا
متضاحكاً بمباسم النوار
حكمت داعي الجود والإيثار
حسنت مواقعها على التكرار
جذلاً يرفل في حلى استبشار^(١)

ومنها :

لأعذر لي إن كنت فيه مقصراً
فإذا نظمت من المناقب درها
فلذلك أنظمتها قلائد لؤلؤ
وأشدد على لحده المقدس رحمه الله تعالى :

ضريح أمير المسلمين محمد
وحيتك من روح الإله تحية
وشقت جيوب الزهر فيك كما ثم
وصابت من الرخى عليك غمام
وزارتك من حور الجنان أوانس
وجاءتك بالبشرى ملائكة الرضا
وصافح منك الروض أطيب تربة
رضا الله والصفح الجميل وعفوه
ويا صدقاً قد فاز من جوهر العلا
أعندك أن العلم والحلم والحجا
وهل أنت إلا هالة القمر الذي
يخصك ربي بالسلام المردد
مع الملائكة الأعلیٰ تروح وتفتدى
يرف بها الريحان عن خصل ندى^(٢)
تروى ترى هذا الضريح المنجد
نواغم في كل النعيم المخلد
كما جاء في الذكر الحكيم للمجد
وعاهد منك المزن أكرم معهد
يؤالي على ذاك الصفيح المنصّد
بكل نفيس بالنفاسة مفرد
وزهر الحلى قد أدرجت طي ملحد
بنور هداه الشهب تهدي وتهدي

(١) جذلان : وصف من الجذل - بالتحريك - وهو الفرح والسرور

(٢) رف النبات ونحوه : اهتز ، والحصل - بفتح فكسر - الذي ترشش وابتل

وياعجبا من ذلك الترب كيف لا
 لقد ضاقت الأكوأان وهى رحيمة
 قدمت على الرحمن أكرم مقدم
 أقام بك المولى الإمام محمد
 فجاء كما ترضى وترضى به العلا
 ومد ظلال العدل فى كل وجهة
 وقام بمفروض الجهاد عن الورى
 قضى بعد ما قضى الخلافة حقها
 وفتح بالسيف الممالك عنوة
 وكسر تمثال الصليب وأخرست
 وطهر محرابا وجدد منبرا
 ودانت له الأملاك شرقا ومغربا
 وطبق معمور البسيطة ذكره
 وسافر عن دار الفناء ليجتلى
 وقام بأمر الله حق قيامه
 لئن سار للرحمن خير مودع
 فقد خلف المولى الخليفة يوسف
 سبيلك فى سبل المكارم يقتفى
 محمد جل الخطب من بعد يوسف
 ولو وجد الناس الفداء مسوغا
 يفيض ببحر السباحة مُزبد^(١)
 بما حُزّت من فخر عظيم وسودد^(٢)
 وزودت من رحماه خير مزود^(٣)
 مؤمل فوز بالشفيع محمد
 وأنجز للأمال أكرم موعد
 وكفأ كف البغى من كل معتد^(٣)
 وعوّد دين الله خير معوّد
 وعامل وجه الله فى كل مقصد
 ومدت له أملا كُها كف مجتد
 نواقيس كانت للضلال بمرصد
 وأعلن ذكر الله فى كل مسجد
 وكلهم ألقى له الملك باليّد
 وسارت به الركبان فى كل قدّ
 بما قدم اليوم السعادة فى غد
 بعزّة لا وإن ولا متردد
 وحلّ من الفردوس أشرف مقعد
 يعيد له عز المساعى ويتدى
 وهديك يا خير الأئمة يقتدى
 ويوسف جلى الخطب بعد محمد
 فدأك ببذل النفس كل مؤخّ

(١) أزيد البحر : رمى بالزيد ، وإنما يكون ذلك عند اضطرابه وجيشانه

(٢) مزود ، هنا : مصدر ميمى بمعنى التزود

(٣) كف : منع

ستبكيك أرض كنت غيث بلادها وتبكيك حتى الشهب في كل مشهد
وتبكي عليك السحب ملء جفونها بدمع يروى غلة المجذب الصدي^(١)
وتلبس فيك النيرات ظلامها حداداً ويذكى النجم جفن مسهد
وما هي إلا أعين قد تسهدت فكحلها نجم الظلام بإمد
فلا زلت في ظل النعيم مخلداً ونجلك يحيا بالبقاء الخلد
وأوردك الرحمن حوض نبيه وأصدر من خلقت من خير مورد
عليك سلام مثل حمدك عاطر يفض ختام المسك عن ربك الندى
وصلى على المختار من آل هاشم صلاة بها نرجو الشفاعة في غد

وقال يستعطف الوالد السلطان أبا الحجاج :

بما قد حزت من كرم الخلال بما أدركت من ربّ الجلال
بما حوّلت من دين ودنيا بما قد حزت من شرف الجلال
بما أوليت من صنع جميل يطابق لفظه معنى الكمال
تعمدني بفضلك واغفرها ذنوباً في الفعال وفي المقال

وقال أيضاً :

أتعطشُ أولادى وأنت غمامة نعم جميع الخلق بالنفع والسقيا؟
وتظلم أوقاتي ووجهك نير تفيض بها الأنوار للدين والدنيا
وجدك قد سمّاك ربك باسمه وأورثك الرحمن رتبته العليا
وقد كان أعطاني الذي أنا سائل وسوِّغني من غير شرط ولا ثنياً
وشعري في غير المصانع خالد يحيه عنى في المات وفي الحيا
ومازلت أهدى المدح مسكاً مُفتقاً فتحمله الأرواح عاطرة الريّا

(١) الغلة - بضم الغين وتشديد اللام - حرارة الباطن ، والمجذب : اسم فاعله من « أجذب المكان » إذا لم ينبت ، والصدي - بفتح فسكر - العطشان

وقد أكثر العبد التشكى وإنه
وما الجود إلا ميت ، غير أنه
فمن شاء أن يدعو لدين محمد
فيدعو لمولانا الخليفة بالبقيا^(١)

وقال أيضاً فيه وقد نزل بالولجة من مرج الحضرة :

منزل اليمين والرضا والسعود
كل يوم نزاهة إن تقضت
جمع المسلمين وصف كال
فأهنّ في غبطة وعزة ملك
أنجزت فيه صادقات الوعود
أنشدتها السعود: بالله عودى
بين بأس عم الملوك وجود
أنت والله فخر هذا الوجود

وقال أيضاً مشيراً لتولية العلامة :

لك غرة ودّ الصباح جهالها
وشمائل تحكى الرياض خلاها
للمستعين خلافة نصرية
وأنا الذى قد نال منك معاليا
تهديه ما قد نلته من بعضها
في كل يوم منك منة منعم
بلغت آمال العبيد فبلغت
ومحاسن تهوى البذور كمالها
وأنا مل تزجى الأنام خلاها
عرفت ملوك العالمين جلالها
تهدى النجوم الزاهرات منالها
فالفخر كل الفخر فيمن نالها
لو طاولت سمك السما ما طالها^(٢)
فيك العبيد من البقا آمالها

وقال أيضاً وكتبها إليه مع خمسة أقلام :

أيام السكالم يبتد للعين حسنه
لك انخير خذها كالأنامل خمسة
فمن أبصرت عينك مرآه فليقل
سوى ملك قد حل من عالم القدس
تعود مرآك المخل بالخمس
أعوذ برب الناس أو آية الكرسي

(١) البقيا - بالضم - البقاء

(٢) طاولتها : غالبها في الطول والفضل

ثم قال ابن الأحرر : وقال يخاطب مولانا الوالد رحمة الله تعالى عليه وقد مر معه بفحص رغبة ، والتأج قد عم أنديته ، وبسط أرديته ، في وجهة توجهها مولانا الجدد تغمده الله تعالى إلى مألقة :

يا من به رتب الإمارة تعلى ومعلم الفخر المشيدة تبتنى
ازجر بهذا الثلج حالا إنه ثلج اليقين بنصر مولانا الغنى^(١)
بسط البياض كرامة لقدمه وافتر ثغرا عن مسرة معنى
فالأرض جوهرة تلوح لمعلل والدوح مزهرة نفوح لمجنى
سبحان من أعطى الوجود وجوده ليدل منه على الجواد المحسن
وبدائع الأكوان فى إتقانها أثر يشير إلى البديع المتقن
ثم قال : ومن أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير بأعبد الله بن الخطيب مادحا قوله :

* أما وانصداع النور من مطلع الفجر *

إلى آخره ، وقد تقدمت .

ثم قال : وقال يراجع السكاتب أبا زكريا بن أبي دلالة :

على الطائر الميمون والطالع السعد أتقنى مع الصنع الجليل على وعد
وأحييت يا يحيى بها نفس مغرم يحيل جياذ الدمع فى ملعب السهد
نسيت وما أنسى وفائى وخلقى وأقفر ربع القلب إلا من الوجد
وما الطل فى ثغر من الزهر باسم بأزكى وأصفى من ثنائى ومن ودى
فأصدقتهما من بحرف كرى جواهرها تنظم من در الدرارى فى عقد
وكنى أطيل القول إلا ضرورة دعيتى إلى الإيجاز فى سورة الحمد

(١) كان من عادة العرب أن يرمى أحدهم الطائر بحصاة أو يصيح به ليطير ؛ فإن ولاه ميامنه فى طيرانه تفاعل به ، وإن ولاه مياسره تشاءم منه ، فهذا هو الزجر وقالوا « زجر فلان » يريدون به معنى تكهن ، وأصله ما ذكرناه أولا

وأنشد السلطان أبا العباس المرسى في غرائب من إنشائه :

أإنسان عين الدهر جفئك قد غدا يحفك منه طائر اليمين والسعد

إذا ما هفا فوق الرأس شراعه أراك جناحا مد للجزر والمد

وأنشد فيه أيضاً :

لك الخير شأن الجفن يحرس عينه وهذا بعين الله يحرس دائماً

تبیت له خمس الثرىا معیذة تقلده زهر النجوم تماماً

فياجنن لا تنفك في الحفظ دائماً وإن كنت في لج من البحر عائماً

انتهى ما لخصته من كلام ابن الأحمر في حق ابن زمرك ، وذلك جملة من نظمته .

وقد رأيت أن أعزز ذلك ببعض موشحات ابن زمرك المذكور مما انتقيته

من كلام ابن الأحمر .

فمنها قوله متشوقاً إلى غرناطة ويمدح الغنى بالله :

بالله يا قامة القضيب ونحجل الشمس والقمر^(١)

من مَلَك الحسن في القلوب وأيد اللحظ بالحور

من لم يكن طبعه رقيقاً لم يدر ما لذة الصَّبَا

فربَّ حر غدا رقيقاً تملكه نفحة الصَّبَا^(٢)

نشوان لم يشرب الرحيقا لكن إلى الحسن قد صَبَا

فعدَّب القلب بالوجيب ونعمَّ العينَ بالنظر^(٣)

وبات والدمع في صليب يقده من قلبه الشرر

عجبت من قلبي المعنى يهفو إذا هبت الرياح

موشحة
لابن زمرك

(١) القضيب : العنصن ، وأراد أن قامته وقده كالقضيب اعتدالا وتمايلا

(٢) الصبا - بفتح الصاد - ريح الشمال ، ونفحتها : هبوبها

(٣) الوجيب : خفقان القلب واضطرابه

لو كان للصب ما تمنى	لطار شوقاً بلا جناح
وبلبل الدَّوْح إن تغنى	أُسَهْرُ ليلي إلى الصباح
عساك إن زرت يا طيبي	بالطَّيْفِ في رقدة السحر
أن تجعل النوم من نصيبي	والعين تحمى من السهر
كم شادنٍ قاد لي الختوفا	بمربع القلب قد سَكَنَ ^(١)
يَسْلُ من لحظه سيوفا	فالقلب بالروع ما سكن
خُلِقْتُ من عادتي أُلُوفًا	أحن للإلف والسكن ^(٢)
غرناطة منزل الحبيب	وقربها السؤال والوطر
تبهر بالمنظر العجيب	فلا عدا ربعتها المطر
عروسة تاجها السنيكة	وزهرها الحللى والحلل
لم ترض من عزها شريكه	بحسبها يُضْرَبُ المثل
أبدها الله من مليكه	تملكها أشرف الدول
بدولة المرتجى المهيّب	الملك الظاهر الأغر
تختال من بردها القشيب	في حلة النور والزَّهْرُ
كرسيها جنة العريف	مرآتها صفحة القدير
وجوهر الطلّ عن شنوف	تحكمها صنعة القدير
والأنس فيها على صنوف	فمن هديل ومن هدير
كم خرق الزهر من جيوب	وكلل القُصْب بالدرر
فالغصن كالكَاعب اللَّعوب	والطير تشدو بلا وتر
ولأثم النصر في احتفال	وفرح دين الهوى جديد

(١) الشادن : ولد الظبية إذا ترعرع ، والختوف : جمع ختف ، وهو الهلاك

(٢) الأصل في هذا المعنى قول أبي الطيب المتنبي :

خلقت ألوفا لورجعت إلى الصبا لفارقت شيبي موجه القلب با كيا

سلطانها مُعْمِلُ العوالى	محمد الظافر السعيد ^(١)
ومخجل البدر في السكال	سلطانها المجتبي الفريد
أَصْفَحُ مَوَّلَى عن الذنوب	أكرم عافٍ إذا قدر ^(٢)
وشمس هَدَى بلا مغيب	وبحر جود بلا حسر
مولاي يا عاقد البنود	تظلل الأوجُه الصُّباح
أَوْحَشَتْ يا نخبه الوجود	غرناطة هالة السباح
سافرت باليُمن والسعود	وعدت بالفتح والنجاح
يا ملهم القلب للغيوب	ومُطعمَ النصر والظفر
أسمعتك الله عن قريب	على السلامه من السفر

وقال أيضا من الموشحات الرائقة ، في مثل أغراض هذه السابقة ، وأشار إلى محاسن من وصف الرشاد :

موشحة أخرى
لابن زمرك

نسيم غرناطة عليل	لكنه يبرىء العليل
وروضها زهره بليل	ورشفه ينقع الغليل
سقى بنجد رُبَا المصلى	مباكرا روضه النعام
سقى بنجد ربا المصلى	تبسم الزهر في السكّام
والروض بالحسن قد تجلّى	وجرد النهر عن حسام
ودوحها ظله ظليل	يَحْسُنُ في ربعه المقيّل
والبرق والجو مستطيل	يلعب بالصارم الصقيّل
عقيلة تاجها السنيكه	تطل بالمرقب المنيف

(١) العوالى ، هنا : الرماح ، وأصله جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ، فأطلق اسم الجزء وإرادة كله ، ومعملها : أراد أنه محارب
(٢) عاف : اسم فاعل من « عفا عن الذنب يعفو » إذا صفح

كأنها فوقه مليكه	كرسيها جنة العريف
تطبع من عسجد سبيكه	شموسها كلما تطيف
أبدعك الخالق الجميل	يا منظرا كله جميل
قلبي إلى حسنه يميل	وقلبنا قد صَبَا جميل
وزاد للحسن فيك حسنا	محمد الحمْد والسماح
جدد للفخر فيك مَبْنَى	في طالع اليمن والنجاح
تدعى رشادا وفيك معنى	يخصك الفال بافتتاح
فالنصر والسعد لا يزول	لأنه ثابت أصيل
سعد وَأَنْصَارُهُ قَبِيلُ	آبَاؤُهُ عَتَرَةُ الرَّسُولِ ^(١)
أبدى به حكمة القدير	وتَوَجَّجَ الروض بالقباب
ودرع الزهر بالقدير	وزين النهر بالحباب
فمن هديل ومن هدير	ما أَوْلَعَ الحسن بالشباب
كبت على روضها القبول	وطرفها بالشَّرَى كليل
فلم يزل بينها يَجُولُ	حتى تبسدت له حجول
للزهر في عطفها رُقُوم	تلوح للعين كالنجوم
وللندى بينها رسوم	عقد الندى فوقه نظم
وكل واد بها يهيم	ولم يزل حولها يحوم
شليلها مد منه نيل	والشين ألف لمستقيل
وعين واد بها تسيل	من فوق خدله أسيل
كم من ظلال به ترف	تَصْفُو له فوقها سُتُور

(١) أراد سعد بن عبادة ، سيد الأنصار ، وهو الجد الأعلى للملوك من

ومن زجاج به يشف
ومن شمس بها تصف
مزاجها العذب سلسبيل
وكيف والشيب لى عذول
يا سَرَحَة فى الحمى ظليله
روضك الله من خميله
وبرقها صادق الخيله
أنجز لى وعدك القبول
يا سَرَحَة الحىَّ يامَطُول
ومن ذلك ما كتب به إلى الغنى بالله :

أبلغ لفرناطة السلام
فلو رعى طيفها ذمام
كم بت فيها على اقتراح
أدير فيها كؤوس راح
أختال كالمر فى الجناح
أضحك الزهر فى الكمام
وأفصح الغصن فى القوام
بيننا أنا والشباب ضاف
ومورد الأنس فيه صاف

وصف لها عهدى السليم
ما بت فى ليلة السليم
أعلّ من خمرة الرضاب
قد زانها الثغر بالحباب
نشوان فى روضة الشباب
مباهيا روضه الوسيم
إن هب من جوها النسيم
وظله فوقنا مديد
وبرده رائق جديد

(١) المنادى بحرف النداء «يا» محذوف ، وكأنه قال : يا قوم ، هل إلى رشفها
سبيل ؟ والمنادى يحذف كثيرا ويذكر حرف النداء إيماء إليه ، ومنه قوله تعالى :
(يا ليت قومى يعلمون) وقول الشاعر :

ألا يا اسلى يادارمى على البلى ولا زال منهلا بحرعاك القطر

إذ لاح في الفؤد غير خاف أصبح به نبه الوليد^(١)
أيقظ مَنْ كان ذا منام لما انجلي ليله البهيم
وأرسل الدمع كالغمام في كل وادٍ به أهيم
يا جيرة عهدهم كريم وفعلهم كله جميل
لا تعذلوا الصب إذ يهيم فقلبه قد صبا جميل
القربُ من ربكم نعيم وبعدكم خطبه جليل
كم من رياض به وسام يزُهر بها الرائض المسيم
غديرها أزرق الجمام ونبتها كله جسيم
أعندكم أنتى بفاس أكابد الشوق والحنين
أذكر أهلى بها وناسى واليوم فى الطول كالسنين
الله حسبي فكم أقاسى من وحشة الصب والبنين
مطارحا ساجع الحمام شوقا إلى الإلف والحميم
والدمع قد لج فى انسجام وقد وهى عقده النظيم^(٢)
يا ساكنى جنة العريف أسكنتم جنة الخلود
كم ثم من منظر شريف قد حف باليمن والسعود
ورب طُود به منيف أدواحه الخضر كالبنود
والنهر قد سُلَّ كالحسام لراحة الشرب مستديم
والزهر قد راق بابتسام مقبلا راحة النديم
بلغ عيىد المقام محبى لازاتمُ الدهر فى هنا
لقلكم بغيّة الحب وقربكم غاية المنى

(١) الفؤد — بفتح الفاء وسكون الواو — جانب الرأس ، والصبح : أراد به

الشيب ، وهى استعارة يكثر الشعراء استعمالها

(٢) انسجام الدمع : انسكابه ، ووهى : ضعف

فَعِنْدَكُمْ قَدْ تَرَكْتُ قَلْبِي فَجَدَدَ اللَّهُ عَهْدَنَا
وَدَارَكَ الشَّمْلَ بِانْتِظَامٍ مَنْ يُرْتَجَى فَضْلُهُ الْعَمِيمِ
فِي ظِلِّ سُلْطَانِنَا الْإِمَامِ الطَّاهِرِ الظَّاهِرِ الْحَمِيمِ
مُؤْمِنِ الْعَدُوَّتَيْنِ مِمَّا يَخَافُ مِنْ سَطْوَةِ الْعَدَا
وَفَارِجِ الْكَرْبِ أَنْ أُلَمَّا وَمِزْجِ الْخُطْبِ وَالرَّدَى ^(١)
قَدْ رَاقَ حَسَنًا وَفَاقَ حَلْمًا وَمَا عَدَا غَيْرَ مَا بَدَا
مَوْلَايَ يَا نَجْبَةَ الْأَنَامِ وَحَائِزَ الْفَخْرِ فِي الْقَدِيمِ ^(٢)
كَمْ رَاقِبِ الْبَدْرِ فِي التَّمَامِ شَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ

منها موشحة عارض بها موشحة ابن سهل التي أولها « ليل الهوى يقظان » وهي :

نَوَاسِمِ الْبُسْتَانِ تَنْثُرُ سَلَكَ الزَّهْرِ
وَالطَّلَ فِي الْأَغْصَانِ يَنْظُمُهُ بِالْجَوْهَرِ
وَرَاحَةَ الْإِصْبَاحِ أَضَاءَ مِنْهَا الْمَشْرِقِ
تَنْشُرُهَا الْأَرْوَاحُ فَلَا تَزَالُ تَحْتَقِقُ ^(٣)
وَالزَّهْرُ زَهْرُ فَاحٍ لَهَا عَيُونُ تَرْمَقِ
فَأَيُّقُظُ الْفَدَمَانَ يَبْصُرْنَ مَا لَمْ يُبْصَرْ
جَوَاهِرِ الشَّبَانَ قَدْ عَرَضَتْ لِلْعَشْتَرِ
قَدَحَتْ لِي زَنْدًا يَا أَيُّهَا الْبَارِقِ
أَذْكُرْتَنِي عَهْدًا إِذِ الشَّبَابُ رَاقٍ
فَالشُّوقُ لَا يَهْدَا وَلَا الْقَوَادُ الْخَافِقِ

(١) أُم : نزل ، والردي : الهلال

(٢) نَجْبَةُ الْأَنَامِ : المنتخب المختار منهم

(٣) الْأَرْوَاحُ ، هُنَا : جمع رِيح ، وَتَحَقَّقُ : تتحرك وتهب

وكيف بالسـلوان	والقلب رهـن الفكر
وسُحِبُ الهجران	تـحجب وجـه القمر
لولا شـموس الكاس	يديرها بين البدور
وأعرج الـإنـاس	منا على ربع الصدور
لكن لها وسواس	يغري بربات الخـدور
كم والهـ هـيـان	بصبح وجـه مسـفر ^(١)
ضـيـاؤه قد بان	من تحت ليل مقمر
يا مطلع الأنوار	كم فيك من مرأى جميل
ونزهة الأبصار	ماضر لو تشفى الغليل
ياروضة الأزهار	وعرفها يبرى العليل
قضيبك الفتـان	يسقى بدمع هـمر
فلاعجج الأشجان	فيض الدموع يـجـرى
هل في الهوى ناصر	أو هل يجار الهائم
لو كان لى زائر	طيف الخيال الحائم
ما بت بالسـاهر	ودمع عيني ساجم
والحب ذو عدوان	يـجـهد في ظلم البرى
وصارم الأجفان	مؤيد بالحـور
رحماك فى صب	أذكرته عهد الصبا
بواعث الحـب	قادت إليه الوصبا
لم تهف بالقلب	ريح الصبا إلّا هـبا

(١) الواله : الوصف من الوله - بالتحريك - وأراد به الذى حيره الحب ،

والهيـمان : أصله الشديد العطش ، وأسفر وجهه : أضاء وأشرق

بَلِيَّةَ الْأُرْدَانِ	قَدْ ضُمَّخَتْ ^(١) بِالْعَنْبَرِ
يَشِيرُ غَصْنُ الْبَابِ	مِنْهَا بِفَضْلِ الْمُنْزَرِ ^(٢)
طَيْبَهَا حَمْدٌ	فَخَرَّ الْمُلُوكُ الْمُجْتَبَى
مَنْ يَرْجِعُ الطُّودَ	مَنْ حَلَمَهُ إِذَا احْتَبَى
قَدْ جَرَدَ السَّعْدَ	مِنْهُ حَسَامًا مَذْهَبًا
فَالْبَاسَ وَالْإِحْسَانَ	وَالْعَوْثَ لِلْعُسْتَنْصَرِ
تَحْمِلُهُ الرِّكْبَانُ	تَحِيَّةَ الْعَنْبَرِ
عَصَابَةَ الْكِتَابِ	حَقَّ لَهَا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
تَحْتَالُ فِي أَثْوَابِ	حَقَّ لَهَا الْفَخْرُ الْجَسِيمُ
فَحَسْبُهَا الْإِطْنَابُ	فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعَمِيمِ
خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ	لَا زِلْتَ سَامِي الْمَظْهَرِ
يَا مُورِدَ الظُّلْمَانِ	وَرَأْسَ مَالِ الْمَعْسَرِ
خَذَهَا عَلَى دَعْوَى	تَزْدَى عَلَى الرُّوضِ الْوَسِيمِ
جَاءَتْ كَمَا تَهْوَى	أَرْقَ مِنْ لَدُنِ النَّسِيمِ
قَدْ طَارَحَتْ شَكْوَى	مَنْ قَالَ فِي اللَّيْلِ الْيَمِ
لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانُ	وَالْحُبُّ تَرِبُ السَّهَرِ
وَالصَّبْرُ لِي خَوَانُ	وَالنُّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَرَى

وله في الصبوحيات :

رِيحَانَةُ الْفَجْرِ قَدْ أَطَلَّتْ	خَضِرَاءُ بِالزَّهْرِ تَزْهَرُ
وَرَايَةُ الصَّبْحِ قَدْ أَظَلَّتْ	فِي مَرْقَبِ الشَّمْسِ تَنْشُرُ

(١) الأوردان : جمع ردن - بالضم - وهو أصل الكم ، وضمخت - بالبناء

للمجهول - ملطخة حتى كأن مالطخت به يقطر منها

(٢) المنزر - بزنة المنبر - الإزار ، وهو ما يلبس في أعلى الجسم .

فالشهب من غارة الصباح	تُرْعَدُ خوفاً وتحقق
وأدهم الليل في جِجاج	أعنة البرق يطلق ^(١)
والأفق في ملتقى الرياح	بأدمع الغيث يشرق
والسحب بالجواهر استهلت	فالبرق سيف بجوهر
صفاحه المذهبات حلت	في راحة الجوّ تشهر
كم للصبا نَمَّ من مقليل	بطيبه الزهر يشهد
والنهر كالصارم الصَّقييل	في حلية النور يغمد
ورب قال به وقيل	للطير في حين تنشد
فألسنُ الورقِ قد أملت	مدائحاً عنه تشكر ^(٢)
ونسمة الصبح قد تجلت	في سندس الروض تعثر
والكاس في راحة النديم	يجلو بها غيب المهوم
أقبستِ النار في القديم	من قبل أن تخلق الكروم
والنهر في ملعب النسيم	للزهر في عطفه رقوم
خلبته الخلى قد تحلت	والطلّ في الخلى جوهر
وبهجة السكون قد تجلت	والروض بالحسن يهر
يُذْكرني وجنة الحبيب	والآس في صفحة العذار
وشارب الشارب العجيب	بين أقاح وجلنار
يدير من ثغره الشئيب	سلافة دونها العقار
حلت لأهل الهوى وجلت	بالذكر والوهم تسكر
كم من نفوس بها تسلت	فما لها الدهر منكور

(١) الأعنة : جمع عنان ، وأصله ما تقاد به الدابة ، ويطلقها : يرسلها ، ومتى أطلقت الأعنة انفلت الزمام فجرت الدابة كما تريد

(٢) الورق - بالضم - جمع ورقاء ، وهى الحمامة ، وأملت - بتشديد اللام - ماض من الإملال ، ومعناه هنا الإملاء ، وفى التنزيل : (فليملل الذى عليه الحق)

يا غصن بان يميل زهواً ريّان في روضة الشباب
 لو كنت تصغى لرفع شكوى أطلت من قصة العقاب
 ومن لمثلي يبيت نجوى للبدر في رفرف السحاب (١)
 عزائم الصبر فيك خلّت وعقدة الصبر تذخر
 قدأ كترت منك ما استقلت وليت لو كنت تشعر
 كم ليلة بتها وبتاً ضدين في السهد والرقاد
 أسامر النجم فيك حتى علّمت أجفانها السهاد (٢)
 أرقب بدر الدجى ، وأتنا قد لحت في هالة الفؤاد
 نفسي وليت ما تولت دعها على الشوق تصبر
 لو سُمّتها الهجر ما تولت ولم تكن عنك تنفر (٣)
 علمها الصبر في الحروب سلطاننا عاقد البنود (٤)
 مغفر الصيّد للجنوب أعز من حف بالجنود (٥)
 نصرت بالرعب في القلوب والبيض لم تبرح الغمود
 عناية الله فيه جلت بسعده الدين ينصر
 والخلق في عصره تملت غنائماً ليس تحصر
 مولاي يا نكتة الزمان دار بما ترّضى الفلك
 جللت باليمن والأمان كل مليك وما ملك
 لم يدر وصنى ولا عياني أمّلك أنت أم ملك
 جنودك القلب حيث حلت بالفتح والنصر تحمر
 وعادة الله فيك دلّت إنك بالكفر تظفر

(١) في ب « ومن لمثلي يبيت نجوى » تحريف (٢) السهاد - بالضم - الأرق

(٣) سمّتها : كلفتها (٤) البنود : جمع بند ، وهو العلم

(٥) الصيد - بالكسر - جمع أصيد ، وهو الذي لا يميل رأسه كبرا

يا آية الله في السكال ومُحَجَّلُ البدر في التمام
 قدمت بالعز والجلال والدهر في ثغره ابتسام
 يختال في حلة الجمال والبدر قد عاد في اختتام
 ريحانة الفجر قد أطلَّتْ خضراء بالزهر تزهر
 ورأية الصبح قد أظلت في مرقب الشرق تنشر

وقال ساجده الله تعالى :

قد طَلَعَتْ راية الصباح وأَذِنَ الليلُ بالرحيل
 فباكِرِ الروضِ باصطباح واشرب على زهره البليل
 فالوَرُقُ هبت من السنوات لمنبر الدَّوْحِ تخطب
 تسجع مفتنة اللغات كل عن الشوق يعرب
 والغصن بعد الذهاب يأتي لأَكْوَسِ الطَّلِّ يشرب
 وأدمع السحب في انسياح في كل روض لها سبيل
 والجوَّ مستبشر النواحي يلعب بالصارم الصقييل
 قم فاغنم بهجة النفوس ما بين نَوْرٍ وبين نَوْرٍ
 وشفع الصبح بالشموس تديرها بيننا البدور
 ونبه الشَّرْبَ للكؤوس تمزج من ريقة الثغور^(١)
 ما أجمل الراح فوق راح صفراء كالشمس في الأصيل^(٢)
 تغادر الصدر ذا انشراح للأنس في طيه مقيل
 ولا تَذَرُ خمرة الجفون فسكرها في الهوى جنون
 وتلخس من أسهم العيون فإنها رائد المنون

(١) الشرب - بفتح الشين وسكون الراء - جمع شارب ، ونظيره سفر. وسافر

(٢) الراح الأولى : الحمر ، والراح الثانية : اليد

عرضت منها إلى الفتون^(١) وكل خطب لها يهون^(٢)
 أهيم بالفسادة الرذاح والجسم من حبها غليل^(٣)
 لو بت منها على اقتراح نَقَعْتُ من ريقها الغليل
 أواعدُ الطَّيْفَ للمنام ومن لعينيَّ بالمنام
 أسهر في ليلة التمام وأنت يا بدر في التمام
 وأثم الزهر في السكّام عليه من ثغرك ابتسام
 سفرت عن مبسم الأفاح وريقك العذب سلسبيل
 قل لي يا ربّة الوشاح هل لي إلى الوصل من سبيل
 يا كعبة الحسن زدت حسنا وللهوى حولك المطاف
 وغصن بان إذا تثنى لو حَانَ من زهرك القطاف
 ألا انعطاف على المعنى فالفصن يزُهِى بالانعطاف
 أصبحت تزهو على الملاح بذلك المنظر الجميل
 ووجهك الشمس في اتضاح لو أنها لم تسكن تميل
 ما الزهر إلا بنظم در تحسد في حسنه العقود
 للملك الظاهر الأغر أكرم من خُفٍّ بالسعود
 محمد الحمد وابن نصر وباسط العدل في الوجود
 مُسَاجِلُ السحب في السماح بالغيث من رِفْدِهِ الجليل
 ونخجل البدر في اللَّيَّاح بغرة ما لها مثل
 يأمُشِرُ بِالحبِّ في القلوب وواهب الصفح للصفاح
 نصرت بالرعب في الحروب والرعب أجدى من السلاح

(١) الفتون : الفتنة ، وفي القرآن الكريم : (وفتنناك فتونا) ووقع في ب
 « إلى الفتون » بالنون - وهو تحريف

(٢) الرذاح - بفتح الراء والذال جميعا - المرأة الثقيلة الأوراك

قد حُتَّ من عالم الغُيُوب لم تعدم الفوز والفلاح
مراكش نهبة افتتاح والصنع في فتحها جليل
بشراك بالفتح والنجاح والشكر من ذلك القبيل
وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

في كؤُس الثغر من ذاك اللّـعس راحة الأرواح^(١)

وتعشى الروض مسكى النفس عاطر الأرواح^(٢)

وكسا الأدواح وشيا مذهبا يبهـر الشمسـا

عسجد قد حل من فوق الربا يهبـج النفسـا

فاتخذ للهو فيه مركبا تلحق الأنسا

منبر الغصن عليه قد جلس ساجع الأدواح

حلَّ السندس خُضراً قد لبس عطفهُ المراتـح

قم ترى هذا الأصيل شاحبا حسنه قد راق

ولأذيال الغصون ساحبـا في حلى الأوراق

ونديم قال لى مخاطبـا قول ذى إشفاق

عادة الشمس بغرب تختلس هات شمس الراح

إن أرانا الجو وجها قد عبس أوقد المصبـاح

ووجوه الشرب تغنى عن شمس كلما تجلى

بلحاظ أسكرتنا عن كؤُس خمرها أحلى

مظاهرات من خفايا فى النفوس سُوراً تُتلى

ما زمان الأنس إلا مختلس فاغتم يا صاح

(١) اللعس - بفتح اللام والعين جميعا - صبرة الشفة، والأرواح، هنا :

جمع روح بالضم، وهى ما به الحياة

(٢) الأرواح، هنا : جمع ربيع

وعيون الشهب تذكى عن حرس
ما ترى ثغر الوميض باسمها
وثناء الروض هب ناسما
بث من أزهاره دراها
ركب المولى مع الظهر الفرس
بجنود الله دأبا يحترس
وجب الشكر علينا والهنا
فزمان السعد وضاح السنى
أثمرت فيه العوالى بالمنى
يحتنى الإسلام منها ما اغترس
فى ضمير النقع منها قد هجس
يا إماما بالحسام المنتضى
ثغرك الوضاح مهما أومضا
وديون السعد منه تقتضى
لك وجه من صباح مقتبس
وجميل الصفح منه ملتبس
ها كها تمزج لطفًا بالنسيم
قد أنت بالبر والصنع الجسيم
أخجلت من قال فى الصبح الوسيم
غرد الطير فنبه من نعى
تخضم النصاح
يظهر البشرى
عاطِرًا نشرى
قائلًا بشرى
وسقى وارتاح
إن غدا أوراخ
بعضنا بعضا
وجهه الأرضى
ثمرا غصّا^(١)
سيفه السفاح
شهب تلتاح^(٢)
نصر الحقّا
أخجل البرقا
توسع الحقّا
بشره وضاح
منعم صفّاخ
كلما هبا
تشكر الربا
مغرما صبا
يامدير الراح

(١) العوالى : جمع عالية ، واران هنا الرماح ، والثر الغض : الطرى
(٢) الشهب : جمع شهاب — بزّه كتاب وكتب — وهى قطع النار ،
وتلتاح : تظهر مثل تلوح

وتعزى الفجر عن ثوب الغلس
وقال أيضا ساجده الله تعالى :

قد أنعم الله بالشفاء	واستكملت راحة الإمام
فلتنطق الطير بالهناء	وليضحك الزهر في الكلام ^(١)
ووجوده بهجة الوجود	وبرؤه راحة النفوس
قد للاح في مرقب السعود	واستبشرت أوجه الشمس
فالدوح توى إلى البنود	أكلمه غطت الرؤس
والزهر في روضة السماء	كالزهر قد راق بابتسام
والصبح مستشرف اللواء	والبدر مستقبل التمام
محاسن الكون قد تجلت	جمالها العقول يبهز
عراس بالبهات تحلت	والطلل في الحلى جوهر
والسن الورق قد أملت	مدائحاً عنه تشكر
تستوقف الخلق بالغناء	كأنها تحسن الكلام
تطلب لله في الثناء	تقول سلمت ياسلام
كم من ثغور لها ثغور	تبسم إذ جاءها البشير ^(٢)
ومن خدور بها بدور	يشير منها له المشير
تقول إذ حفها السرور	تبارك المنعم القدير
قد أنعم الله بالبقاء	في ظل مولى به اعتصام
قد صادف النجم في الذراء	فالداء عنا له انقسام
يهنيك مولاي بل يهني	ببرئك الدين والهدى

(١) الكمام — بكسر الكاف بزنة الكتاب — غلاف النور
(٢) الثغور الأول : جمع ثغر ، وهو الموضع يخاف منه هجوم العدو ، والثغور الثاني : جمع ثغر ، وهو الفم

فالغرب والشرق منك يعنى
والله لولاك ما تهنأ
يا مورد الأنفس الظماء
وقرة العين بالبهاء
لو أبذل الروح فى البشارة
فأنت يا نفس مستعاره
لم أدر إذ سطر العبارة
لازلت مولاي فى هناء
ودمت للملك فى اعتلاء
بمذهب الخطف والردى
ما فيه من سطوة الردى
قد كان يشتفها الأوام
رَدَدْتَ للأعين التمام
بذلت بعض الذى ملك
مولاي بالفضل جملك
أَمَلِكْ هُوَ أم مَلَكْ
مُبْلَغَ القصد والمرام
تسحب أذياه التمام

وقال فى معلقة :

عليك يارية السلام
مذْخَلٌ فى قصرِكَ الإمام
والدوح فى روضك الأنيق
والغصن فى نهره غريق
والجو من وجهه الشريق
وأعين الزهر لا تنام
ينفث من تحتها الغمام
عروسة أنت يا عقيلة
مدت لك الكف مستقيلة
ولا عدا رَبْعَكَ المطر^(١)
فقربك السؤل والوطر^(٢)
للشكر قد حطت الرأس
وفى حُلاَه كما عروس^(٣)
تحسده أوجه الشموس
تستعذب السهد والسهر
يرقيق من أعين الزهر
تُجَلَى على مظهر الكمال
تمسح أعطافك الشمال

(١) عدا : جاوز وتخطى ، والرابع : المنزل

(٢) الوطر — بالتحريك — المقصد والمطلب

(٣) « ما » فى قوله « كما عروس » زائدة غير كافة للكاف عن عمل الجر ،

مثلها فى قول زياد الأعجم :

وننصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجروم عليه وجارم

والبحر مرآتك الصقيلة تشف عن ذلك الجمال
والخلى زهر له انتظام يكلل القضب بالدرر^(١)
قد راق من ثغره ابتسام والورد في خدها خفر
إن قيل مَنْ بَعْلَاهَا المَقْدَى ومن له وصلها مباح
أقول أسنى الملوك رفدا نخلد الفخر بالصفاح
محمد الحمد حين يهدى ثناؤه عاطر الرياح
تخبر عن طيبه الكمام والخبر يغني عن الخبر
فالسعد والرعب والحسام والنصر آياته الكبر
ذو غرة تسحر البدورا وطلعة تنجل الصباح
كم راية سامها ظهورا تظلّل الأوجه الصَّبَاحُ
وكم جهاد جلاه نورا أظفر بالفوز والنجاح
الظاهر الظاهر الهمام أعز من صال وافتخر
لسيفه في العدا احتكام جرى به سابق القدر
يامرسل الخير في العواري لو تطلب البحر تلحق
لك الجواري إذا تجارى سوابق الشهب تسبق
تستنّ في لجة البحار فالكفر منهن يفرّق
فالدين وليقصر الكلام بسيفك أعز وأنتصر
كذلك أسلافك الكرام هم نصرُوا سيد البشر

وقال من غير هذا البحر في الحديث بمالقة :

قد نظم الشمل أتم انتظام واغتمم الأحباب قرب الحبيب
واستضحك الروض تغور الغمام عن مبسم الزهر البرود الشَّيب

(١) يكلل : يزين ، ويجعلها له كالإكليل ، والقضب : جمع قضيب ، وهو هنا العنق ، وأصل القضب بضم القاف والضاد جميعا ، ولكنه سكن الضاد هنا تخفيفا

وعم النَّوْرُ رُؤْسَ الرِّبَا
 وصافح القضب نسيم الصبا
 وعاود النهر زمان الصبا
 وأطلق القصر برود التمام
 خدودها قامت مقام الغمام
 أصبحت يارية مجلى النفوس
 والبشر يسرى في جميع الشُّمُوس
 والدُّوح للشكر تحط الرؤس
 وراجع النهر غناء الحمام
 بمنبر الغصن الرشيق القوام
 يا حبذا مبناك فخر القصور
 ما مثله في سالفات العصور
 كم فيه من رأى بهيج ونور
 خليفة الله ونعم الإمام
 يهنيك شمل قد غدا في الثَّام
 نواسم الوادى بمسك تفوح
 وبهجة السكان فيه تلوح
 وروضه بالسرم منه ييوح
 لو أن من يفهم عنها الكلام
 ونهره قد سل منه الحسام
 وجلل النَّوْرُ صدور البطاح
 فالزهر يرنو عن عيون وقَّاح^(١)
 فقلد الزهر مكان الوشاح
 في طالع الفتح القريب الغريب
 فلا أشتكى من بعدها بالمغيب
 جمالك العين بها يبهـر
 وراية الأنس بها تشهر
 وأنجم الزهر بها تزهر
 وقد شدت تسجع سجع الخطيب
 لما اثنى يهفو بقدر طيب
 برؤجه طالت بروج السما
 ولا الذى شاد ابن ماء السما
 فى مرتقى الجو به قد سما
 أتخفك الدهر بصنع عجيب
 مهدا فى ظل عيش خصيب
 ونفحة الندى به تعبىق
 وجوه من نورهم يشرق
 بلابل عن وجدته تنطق
 فهى تهنيك هناء الأديب
 يلحظه الترجمس لحظ المريب

(١) يرنو : ينظر ، والوقاح — بفتح الواو — ذو الوقاحة ، ويقال للمذكر
 والمؤنث بلفظ واحد ، يقال : رجل وقاح ، وامرأة وقاح

فأجل الأيام عصر الشباب وأجل الإجمال يوم اللقاء
يادرة القصر وشمس القباب وهازم الأحزاب في الملتقى
بَشْرَكَ الرَّبِّ بِحَسَنِ الْمَأْبِ مَتَعَكَ اللَّهُ بِطَوْلِ الْبَقَا
ولا يزال القصر قصر السلام يَخْتَالُ فِي بَرْدِ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ^(١)
يَقْلُو عَلَيْكَ الدَّهْرُ فِي كُلِّ عَامٍ (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ)

وقال من الخلع في الشفاء :

في طالع اليمين والسعود قد كملت راحة الإمام
فأشرق النور في الوجود وابتسم الزهر في الكِمام
قد طلعت راية النجاح وانهمز البؤس والعنا
وقال حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ مؤذِنُ الْقَوْمِ بِالْمَنَى
فالدهر يأتى بالاقتراح مستقبلا أوجه الهنا
تحقق منشورة البرود والسعد يقدم من أمام
والأنس مستجمع الوفود والالطف مستعذب الجِمام^(٢)
وأكؤس الطل مترعات بأعمل السوسن الندى
والطير مفتنة اللغات تشدو بأصوات مَعْبَدٍ
والفصن يذهب ثم يأتى بالسندس الغض مرتدى
والدوح يوى إلى السجود شكرا لذي الأنعم الجسام
والريح خَفَافَةُ الْبَنُودِ تباكر الروض بالغمام
مظاهر للجمال تُجَلَّى قدهز أعطافها السرور
وباهر الحسن قد تجلَّى ما بين نورٍ وبين نورٍ

(١) القشيب : الجديد

(٢) الجمام - بكسر الجيم - جمع جم ، وهو الماء مطلقا هنا ، وأصله معظم المأم خاصة

قد هنأت بالشفاء مولى بعصره تفخر العصور
ما بين بأس وبين جود قد مَهَّدَ الأَمْنُ للأَنَامِ^(١)
فالدين ذو أعين رقود وكان لا يطعم المنَامِ
والكاس في راحة السقا تروح طورا وتفتدى
يهديكها رائق السَّمَاتِ ما بين برق وفرق قد^(٢)
والشمس تذهب للبيات قد لبست ثوب عسجد
والزهر في اليانع المَجُود يقابل الشَّرْبَ بابتسام
والروض من حلية الغمود قد جرد النهر عن حسام
مولاي يا أشرف الملوك وعصمة الخلق أجمعين
أهديك من جوهر السلوك يقذفه بحـرك المَعِينِ
جعلت تنظييمه سلوكي وأنت لى المنجد المَعِينِ
تحية الواحد المجيد ورحمة الله والسلام
عليك من راحم ودود يا منجل البدر في التمام

وقال من الرمل الجزو :

وجه هذا اليوم باسم وشذا الأزهار ناسم
هاتها صاح كؤسا جالبات للسرور
وارتقب منها شموسا طالعات في حُبُور
ما ترى الروض عروسا في حُلَى نَوْرٍ ونُورٍ
وأنت رسل النواسم تجتلى هذى النواسم
قد أهلت بالبشائر أضحكت ثغر الأزاهر

(١) مهد الأرض : ذلها وسهلها ، وحرقيقته أنه صيرها كالمهد الذي ينام فيه الطفل

(٢) السمات : جمع سمة — بكسر السين — وهى العلامة

سَنَحَتْ فِي يُنْ طَائِرٍ وَنَظَمْنَ كَالْجَوَاهِرِ (١)
فَانْشَرَوْهَا فِي الْعَشَائِرِ إِنْ هَذَا الصَّنْعُ بَاهِرٌ
وَأَشْيَعُوا فِي الْعَوَالِمِ الْغَنَى بِاللَّهِ سَالِمٌ
أَيُّ نُورٍ يَتَوَقَّدُ أَيُّ بَدْرِ يَقْتُلَا (٢)
أَيُّ فُخْرٍ يَتَخَلَّدُ أَيُّ غَيْثٍ يَتَوَالِي
إِنَّمَا الْمَوْلَى مُحَمَّدٌ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
كَفَهُ بَحْرُ الْمَقَاسِمِ وَبِهَا حَبِجُ الْمَبَاسِمِ
خَيْرُ أَمْلَاكِ الزَّمَانِ مِنْ بَنَى سَعْدٍ وَنَصْرٍ
مَا تَرَى أَنْ الشَّوَانِي فِي صَعِيدِ الْبَرِّ تَجْرِي
قَدْ أَطَارَتْهَا التَّهَانِي دُونَ بَحْرِيٍّ وَبَحْرِ
مَذْرَأَتِ بَحْرِ النِّعَامِ كُلُّهَا جَارٍ وَعَاطِمِ
فَهْنِيئًا بِالْشَفَا يَا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ
وَلَنَا حَقُّ الْهِنَا وَجَمِيعِ الْعَمَالِينَ
إِنْ جَهَرْنَا بِالْذِّعَا يَنْطِقُ الذَّهْرُ أَمِينِ
دَمَتِ مَحْرُوسُ الْمَكَارِمِ بَطْنًا الْبَيْضُ الصَّوَارِمِ

وقال يهني السلطان موسى ابن السلطان أبي عفان ، وقد وجه إليه الغنى بالله أمه
وعياله عند تملكه المغرب من قبله :

قَدْ نَظَّمَ الشَّمْلَ أَتَمَّ وَلاَحَتِ الْأَقْمَارُ بَعْدَ الْمَغِيبِ
وَأَضْحَكَ الرُّوضُ ثُغُورَ الْغَمَامِ عَنْ مَبْسَمِ الزَّهْرِ الْبُرُودِ الشَّنِيبِ
عَاوَدَ الْغُصْنُ زَمَانَ الصَّبَا وَأَشْرَبَ الْأَنْسَ جَمِيعَ النَّفُوسِ

(١) سَنَحَتْ : عرضت ، وأصله في الطائر يمر من المياسر إلى الميامن ، ويقال له

حينئذ « سَنِحَ » و « سَانَحَ »

(٢) يَتَلَا : أصله يَتَلَا — بهمزيين — إلا أنه لما أراد إقامة القافية سهل

الهمزتين بقلب كل واحدة منهما ألفا

وعم النُّورُ رؤسَ الرُّبَا
 وأطرب الغصن نسيم الصبا
 واستقبل البدر ليالى التمام
 وراجع الأطيّار سجع الحمام
 نواسم الوادى بمسك تفوح
 وبهجة السكان فيه تلوح
 وعرفه بالطيب منه يفوح
 والنهر قد سل كمثّل الحسام
 وثغره قد راق منه ابتسام
 كواكب أبراجهن الخدور
 جواهر أصدافهن القصور
 يا حبذا والله ركب السرور
 ابتهج الكون بموسى الإمام
 وعادة يُخدم مثل الغلام
 أكرم به والله وفد الكريم
 مرضاتها تحظى بدار النعيم
 بشره النصر وفتح جسيم
 لقاءها المبرور مسك الختام
 وقصرك الميمون قصر السلام
 مولاي يهنيك وحق الهنا
 وجلل النور وجوه الشمس
 فالدوح للشكر تحط الرؤس
 وصافح الصبح بكف خضيب
 بكل ذى لحن بديع غريب
 ونفحة الندبه تعبق
 وجوه من نوره يشرق
 كأنه من عنبر يفتق
 حبابه تطفو وطورا تغيب
 يُهني الحُبَّ بقرب الحبيب
 يلوح منها كل بدر لياح^(١)
 نظمها السعد كنظم الوشاح
 يبشر المولى بنيل اقتراح
 واختال في برد الشباب القشيب
 شبابه قد عاد بعد المشيب
 مولى سنا الحرة فى مقدمه
 وتوجب التوفيق من منعمه
 وخيره أجمع فى مقدّمه
 بشرك الله بصنع عجيب
 خط يحفظ من سميع مجيب
 قد نظم الشمل كنظم السعود

(١) الأبراج : جمع برج — بالضم — واحد بروج السماء ، ويجمع البرج أيضا
 على بروج وأبرجة ، واللياح — بفتح اللام بزنة السحاب — الأبيض من كل شيء
 وقال الشاعر :

* يضىء كالقمر اللياح *

قد فزت بألفخر ونيل المنى وأنجز السعدُ جميعَ الوعود
وقرت العين وزال العنا وكلما مر صنيع يعود
ولا يزل ملكك حلف الدوام يحوز في التخليد أوفى نصيب
يتلو عليك الدهر بعد السلام (نصر من الله وفتح قريب)

وقال رحمه الله تعالى في وصف غرناطة والطردها وغيرها :

لله ما أجمل رَوْضَ الشباب من قبل أن يفتح زهر المشيب
في عهد أدركت كأس الرضاب حبابها الدر بثغر الحبيب^(١)
من كل من ينجل بدر التمام إذا تبدَّى وجهه للعيون
ويفضح الغصن بلين القوام وأين منه لين قدَّ الغصون
ولحظه يمضى مضاء الحسام ويذهل العقل بسحر الجفون
أبصرت منه إذ يحيط النقابُ شمساً ولكن ما لها من مغيب^(٢)
إذا تجملت بعد طول ارتقاب صرقتُ عنها اللحظ خوف الرقيب
مَنْ عاذرى منه فؤادا صبا للامسح البرق وخفق الرياح
يطير إن هب نسيم الصبا تعيره الريح خفوق الرياح
ما أولع الصب بعهد الصبا وهل على مَنْ قد صَبَّأ من جنَّاح
فقلبه من شوقه في التهاب قد أحرق الأكباده منه الوجيب
والجفن منه سحبه في انسكاب قد روض الخلد بدمع سكيب
غرناطة ربع الهوى والمنى وقرُبها السؤل ونيل الوطر
وطيها بالوصل لو أمكنا لم أقطع الليل بطول السهر
عما قريب حق فيها الهنا يمين ذى العودة بعد السفر

(١) الرضاب — بضم الراء ، بزنة الغراب — ماء الفم (الريق)

(٢) النقاب — بكسر النون ، بزنة الكتاب — ما تغطي به المرأة وجهها

ويمحمد الناس نجاح الإياب بكل صنع مستجد غريب
ويكتب الفال على كل باب (نصر من الله وفتح قريب)
ما لذة الأملاك إلا القنص لأنه الفال بصيد العدا
كم شارد جرّع فيه الغصص وأورد الحروب وزد الردى
وكم بدّ الفحص لنا من حصص قد جمع البأس بها والندى
ومنها بعد أبيات من الوزن والروى :

مولاي مولاي، وأنت الذي جددت للأملاك عهد الجلال^(١)
والشمس والبدر من العوذ لما رأيت منك بديع الجلال
والروض في نعمته يغتدى بطيب ما قد حُزنته من خلال
بشراك بشراك بحسن المآب تستضحك الروض بشعر شذيب^(٢)
ودمت محروس العلا والجناب بعصمة الله السميع الجيب

انتهى ما انتقيته من كلام ابن زمرك من كتاب ابن الأحرر، رحمه الله تعالى !
وقد عرفت منه ما تسنى للغنى بالله بن الأحرر من الفتوحات والسعود ونفاذ الأمر
على ملوك المغرب ، فهو الأحق بقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى :

ملك إذا عاينت منه جبينه فارقته والنور فوق جبیني
وإذا لثمت يمينه وخرجت من أبوابه لثمت الملوك يميني

وكان الغنى بالله المذكور معتقدا في الصالحين ، حتى إنه كتب وهو بفاس مخلوع
إلى ضريح ولي الله سيدي أبي العباس السبتي بمراكش ، ومن إنشاء وزيره
لسان الدين على لسانه :

* يا ولي الإله أنت مطاع *

(١) الأملاك : جمع ملك ، بكسر اللام .

(٢) شعر شذيب ، وأشب : فم عذب بارد الريق صافي الأسنان براقها .

الآيات والنثر بعدها ، وقد ذكرتهما في الباب الخامس فراجعهُ ، وكان ذلك بفضل الله تعالى عنوان رجوعه إلى ملكه ، ونَظَّمَ تلك الأماكن في سِلْكه ، حتى حصلَ له من السعد ما لم يحصل لغيره حسبا يعلم ذلك من كلام لسان الدين وابن زَمْرَك وغيرهما .

والسبقي المذكور : هو سيدي أبو العباس أحمد بن جعفر ، السبقي ، الخزرجي ، الولي الصالح العالم العارف بالله ، القطب ، ذو الكرامات الشهيرة ، والمناقب (١) الكثيرة ، والأحوال الباهرة ، والفضائل الظاهرة ، والأخلاق الطاهرة ، نزيل مراکش ، وبها توفي سنة إحدى وستائة ، وولادته بسبته عام أربعة وعشرين وخمسمائة ، ودفن خارج مراکش ، وقبره مشهور مقصود بإجابة الدعاء ، وقد زرتَه مرارا كثيرة ، فرأيت عليه من ازدحام الناس مالا يوصف ، وهو تَرياق (٢) مجرب . قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى : كان سيدي أبو العباس السبقي - رضي الله تعالى عنه ! - مقصودا في حياته ، مستغاثا به في الأزمات ، وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة ، ومَبْنَى أمره على انفعال العالم عن الوجود ، وكونه حكمة في تأثير الوجود (٣) ، له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ، ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربته ، وتثبت بلحده ، وانسحب على مكانه عادة حياته ، ووقع الإجماع على تسليم هذه الدعوى ، وتَحَطَّى الناس مباشرة قبره بالصدقة إلى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى ، وانقطاع الأماكن القصص ، تحملهم أجنحة نياتهم فتَهَوَّى إليه بمقاصدهم من كل فج عميق ، فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة . وقال ابن الزيات : كان أبو العباس قد أعطى بَسْطَةً في اللسان ، وقدرة على الكلام ، لا يناظره أحد إلا أخفمه ، ولا يسأله إلا أجابه ، كأن القرآن والحجج

(١) المناقب: المحامد ، واحدها منقبة ، وكثرت في لسان المتصوفة بمعنى الكرامات

(٢) الترياق — بكسر التاء وسكون الراء — أصله دواء السموم

(٣) في نسخة عندب «وكونه مبدأ للوجود»

على طَرَفِ لسانه حاضرة ، يأخذ بمجامع القلوب ، ويسحر العامة والخاصة ببيانه ، يأتيه المنكرون للانكار فما ينصرفون إلا مُسَلِّمين^(١) منقادين ، وشأنه كله عجيب ، وهو من عجائب الزمان .

وحدثني مشايخنا أنهم سمعوه يقول : أنا القطب .

وحدثني أبو الحسن الصنهاجى من خواص خدامه قال : خرجت معه مرة لصهر يج غابة الرمان يوم عرفة ، فجلسنا هناك وصلينا ، فقال لى : إنما سمي هذا اليوم يوم عرفة لانتشار الرحمة فيه لمن تعترف إليه بالطاعات ، وقد فاتنا عرفة ، فتعال نمثل بهذا المكان ونعمل كما يعملون^(٢) ، لعل الله تعالى يتغنمنا برحمته معهم ، فعمل مكانا دائرا بعين الكعبة ومحل عنصر الماء الحجر ، وموضعا آخر مقام إبراهيم ، فطاف بالعين أسبوعا وأنا أطوف بطوافه ، وكبر على العنصر فى كل طواف ، وصلى قِبَلَ المقام ركعتين تامتين ، وأطال فى سجود الثانية ، ثم استند إلى الشجرة ثم قال لى : يا على ، اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقضى ، فإن الله تعالى وعد فى هذا اليوم من تعترف له أن يقضى حوائجه ، فقلت له : ما أريد إلا التوفيق ، فقال لى : ما خرجت معك من باب المدينة حتى وفقت ، فسألته عن حاله من بدايته إلى نهايته ، وبم تفعل له الأشياء ويستجاب له الدعاء ؟ ولم صار يأمر بالصدقة والإيتار مَنْ شكا إليه حالا أو تعذر عليه مطلب فى هذه الدار ؟ فقال لى : ما أمر الناس إلا بمن ينتفعون به ، وإني لما قرأت القرآن وقعدت بين يدى الشيخ أبى عبد الله الفخار تلميذ القاضى عياض ونظرت فى كتب الأحكام وبلغت من السن عشرين سنة وجدت قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) فتدبرته وقلت : أنا مطلوب ، فلم أزل

(١) سلم له الأمر — بتشديد اللام — ترك الخلاف وأذعن لما يراه

(٢) هذا العمل مكروه ، بل قال جماعة من علماء الحنفية : هو مكروه تحريما ، لأن الوقوف والطواف عهد كل منهما قربة فى مكان بعينه ، فلا يجوز فعله فى غيره ، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ولا واحد من أصحابه ، وما نقل عن ابن عباس أنه فعل ذلك بالبصرة محمول على أنه خرج للاستسقاء ونحوه لا للتشبه بأهل عرفات.

أبحث عنها إلى أن وقفت على أنها نزلت حين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وأنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم حكم المواخاة ، فأمرهم بالمُشاطرة^(١) ، ففهمت أن العدل المأمور به في الآية هو المشاطرة ، ثم نظرت إلى حديث «تفترق أمتي على ثلاثين فرقة»^(٢) — الحديث « وأنه صلى الله عليه وسلم قاله صبيحة اليوم الذي آخى فيه بين المهاجرين والأنصار ، وذكر له الأنصار أنهم شاطروا المهاجرين ، فقال لهم ذلك بأثره ، فعلمت أن الذي هو عليه وأصحابه المشاطرة والإيثار ، فعقدت مع الله تعالى نية أن لا يأتيني شيء إلا شاطرت فيه الفقراء ، فعملت عليه عشرين سنة ، فأثمر لي الحكم بالخطاير ، فلا أحكم على خاطري بشيء إلا صدق ، فلما أكملت أربعين سنة راجعت تدبر الآية فوجدت الشطر هو العدل ، والإحسان ما زاد عليه ، فعقدت مع الله تعالى أن لا يأتيني قليل ولا كثير إلا أمسكت ثلثه وصرفت الثلثين لله تعالى ، فعملت عليه عشرين سنة ، فأثمر لي الحكم في الخلق بالولاية والعزل فأولى من شئت ، وأعزل من شئت ، ثم نظرت بعد ذلك في أول ما فرضه الله تعالى على عباده في مقام الإحسان ، فوجدت شكر النعمة ، بدليل إخراج الفطرة عن المولود قبل أن يفهم ، ووجدت أصناف من تصرف إليهم الصدقات لكن الواجبة وسبعة أصناف أخر أصرفها فيها للإحسان والزيادة ، وذلك أن لنفسك عليك حقاً ، وللزوجة حقاً ، وللرحم حقاً ، ولليتيم حقاً ، وللضيف حقاً ، وذكر صنفين آخرين ، فانتقلت لهذه الدرجة ، وعقدت مع الله تعالى عقداً أن كل ما يأتيني أمسك سبعه حق النفس وحق الزوجة وأصرف الخمسة أسباع مستحقها ، فأقت عليه أربعة عشر عاماً ، فأثمر لي الحكم في السماء ، فتى قلت « يارب » قال لي : لبيك ، ثم قال لي : إنها نهايتي بتمام عمري ،

(١) المشاطرة ، هنا : أن تعطى شطر مالك : أي نصفه

(٢) كذا ، والمحفوظ « على ثلاث وسبعين فرقة »

وهو أن تنقضى لى ستة أعوام تكملة العشرين عاما .

قال الصنهاجى : فأرخت ذلك اليوم ، فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ المكتوب ، وحققت العدد ، فنقصت من ستة أعوام ثلاثة أيام خاصة ، فيحتمل أن تكون من الشهور الناقصة ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقال أبو بكر بن مساعد : جاء بعض السلاطين إلى أبى العباس وهو راكب ، وقال له : إلى متى تحيرنا ولا تصرح لنا عن الطريق ؟ فقال له : هو الإحسان ، فقال له : بين لى ، فقال له : كل ما أردت أن يفعله الله تعالى معك فافعله مع عبده . وقال له أبو الحسن الخباز : أما ترى ما فيه الناس من القحط^(١) والعلاء ؟ فقال : إنما حبس المطر لبخلهم ، فلو تصدقوا لمطروا ، فقل لأصحابك الفلاحين : تصدقوا بمثل ما أنفقتم تمطروا ، فقال له : لا يصدقنى أحد ، ولكن مررنى فى خاصة نفسى ، فقال له : تصدق بمثل ما أنفقت ، فقال له : إن الله تعالى لا يعامل بالدين ، ولكن أسئلف ، فاحتال وتصدق بها كما أمره ، قال : فخرجت إلى البحيرة التى عمرتها والشمس شديدة الحر ، فأيست من المطر ، ورأيت جميع ما غرست مشرفا على الهلاك^(٢) ، فأقمت ساعة فإذا سحابة أمطرت البحيرة حتى رويت ، وظننت أن الدنيا كلها مطرت ، فخرجت فإذا المطر لم يتجاوزها ، انتهى .
والحكايات عنه فى مثل ذلك كثيرة .

وقال ابن الخطيب القسطنطينى فى رحلته : حضرت عند الحاج الصالح الورع الزاهد أبى العباس أحمد بن عاشر بمدينة سلا ، وقد سأله بعض الفقراء عن كرامة الأولياء ، فقال له : لا تنقطع بالموت الكرامة ، انظر إلى السبى ، يشير إلى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبى العباس السبى المدفون بمراكش ، وما ظهر عند قبره من

(١) القحط — بالفتح — الجذب

(٢) أشرف على الهلاك : قرب منه ودنا

البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات ، سمعت يهوديا جريا كشف يلبغا لذكركه وينادى باسمه في أمر أصابه مع المسلمين ، فسألته عن سببه ، فأخبر أنه وجد بركته في غير موطن ، فسألته عما بدا له في وقت ، فقال لي : وحق ما أنزل على موسى ابن عمران ما أذكر لك إلا ما اتفق لي ، سرّيتُ ليلةً مع قافلة في مفازة^(١) ، فعرجتُ دابتي ، فما شككت في قتلي وسلب مالي ، فجلست وبكيت ، وبينى وبين الناس بعد ، وقلت : يا سيدى أبا العباس خاطرك ، قال لي : والله ما أتممت الكلام إلا وأهل القافلة أصابهم سبب وقفوا به ، وضربت دابتي ، وخف عرجها ، ثم زال ، واتصلت بالناس ، فقلت له : ولم لا تُسَلِّم ؟ فقال : حتى يريد الله تعالى ، وعجبت من كون ذلك ليهودى ، وهذه شهادة من عدوّ في الدين .

ولقد وقفت على قبره مرات ، وسألت الله تعالى في أشياء يسّر لي فيها سؤلى : منها أن أكون ممن يشتغل بالعلم ويوصفُ به ، وأن ييسر على فهم كتب عينتها ، فيسر الله تعالى على ذلك في أقرب مدة .

وكان السبتي آية في أحواله ، ما أدرك صحبته إلا الخواص من الناس ، وكان أصل مذهبه الحض^(٢) على الصدقة ، وكان أمره عجبا في إجابة الدعاء بنزول المطر ، واختصاصه بمكان دون آخر ، وقال لأصحابه : أنا القطب ، وكان تفقه على أبى عبد الله الفخار ، ووقفت على قبره ، وله بركات وأنوار .

وكان السبتي آية في المناظرة ، وأوذى باللسان كثيراً جداً فصصح وتجاوز . ورأى عبد الرحمن بن يوسف الحسنى النبى صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال له : يا رسول الله ، ما تقول في السبتي ؟ قال : وكنت سيئ الاعتقاد فيه ، فقال لي بعد أن تبسم : هو من الشُّبَّاق ، قال : فقلت بين لي يا رسول الله ، فقال : هو

(١) سرّيت : سرت ليلاً ، والمفازة : الصحراء .

(٢) الحض على الصدقة : الحث عليها وتزيين فعلها للناس .

مَنْ يَمُرُّ عَلَى الصَّرَاطِ كَالْبَرْقِ ، قَالَ : فَخَرَجْتَ بَعْدَ الصَّبْحِ ، فَلَقِيتُنِي أَبُو الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ لِي : مَا رَأَيْتَ وَمَا سَمِعْتَ ؟ وَاللَّهِ لَا تَرَكَتُكَ حَتَّى تَعْرِفَنِي ، فَعَرَفْتِهِ ، فَصَاحَ : كَلِمَةُ الصَّفَا مِنَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، انْتَهَى بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ .

وَقَالَ ابْنُ الزِّيَّاتِ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الصَّنَهَاجِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ رَجُلًا يَعْرِفُ بِابْنِ السَّكَّاءِ ، وَكَانَ غَنِيًّا فَدَارَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَافْتَقَرَ ، حَدَّثَ أَنَّهُ وَصَلَ لِأَبْنَى الْعَبَّاسِ السَّبْتِيِّ ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ خَلَقَ^(١) تَظْهَرُ مِنْهُ عَوْرَتُهُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ حَالَتَهُ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى أَنْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ بَابِ تَاغَزُوتَ ، فَجَاءَ إِلَى مِطْهَرَةٍ هُنَاكَ ، قَالَ : فَدَخَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمِطْهَرَةَ وَتَجَرَّدَ مِنْ أَثَوَابِهِ وَنَادَانِي ، وَقَالَ لِي : خُذْ هَذِهِ الثِّيَابَ ، فَأَخَذْتُهَا ، وَكَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرَى مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ ، فَصَعَدْتُ إِلَى حَائِطٍ هُنَاكَ إِلَى قَرَبِ الْمَغْرَبِ ، فَإِذَا بَقِيَ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ عَلَى دَابَّةٍ مَعَهُ رِزْمَةٌ ثِيَابَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ نَزَلَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : أَيْنَ الْفَقِيهَ أَبُو الْعَبَّاسِ ؟ فَقُلْتُ : هَا هُوَ فِي السَّاقِيَةِ عُزْرِيَّانَ ، فَقَالَ لِي : أَمْسِكِ الدَّابَّةَ ، فَسَمِعْتُ الْفَقِيهَ يَقُولُ لَهُ : أَيْنَ تِلْكَ الثِّيَابُ ؟ فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَخَرَجَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ لِي : وَمَالِكَ هُنَا ؟ قُلْتُ : يَا سَيِّدِي خَفْتُ عَلَيْكَ ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْإِنْصِرَافِ وَأَتْرَكْتُكَ ، فَقَالَ لِي : أَفَتَرَى الَّذِي فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ لَهُ يَتْرَكُنِي ؟ ثُمَّ سَأَلْتُ الْفَقِيهَ عَنْ سَبَبِ وَصُولِهِ إِلَيْهِ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ إِحْدَى الْكَرَائِمِ أَمْرَتُهُ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ تِلْكَ الثِّيَابَ ، وَقَالَتْ لَهُ : لَا تَدْفَعُهَا إِلَّا لِلْفَقِيهِ ، وَلَا يَلْبَسُهَا إِلَّا هُوَ ، وَهَذِهِ قِصَّةٌ صَحِيحَةٌ مَشْهُورَةٌ .

وَقَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ : وَرَوْضَتُهُ بِيَابِ تَاغَزُوتَ أَحَدُ أَبْوَابِ مَرَاكِشَ غَيْرِ حَافِلَةِ الْبِنَاءِ ، رُبَّمَا يَتَبَرَّعُ مَتَبَرِّعٌ بِاحْتِفَالِهَا فَلَا تَسَاعِدُهُ الْأَفْدَارُ ، وَزُرَّتْهَا ، فَرَأَيْتُ فِي دَاخِلِهَا أَشْيَاخًا مِنْ أَهْلِ التَّعَفُّفِ وَالتَّصَوُّفِ يَسَارِقُونَ خَفِيَّةَ النَّاضِرِ إِلَى مَسَاقِطِ

(١) ثوب خلق — بفتح الخاء واللام جميعا — وثوب أخلاق : رث قديم مهلهل

رحمات الله تعالى عليها لكثرة زائريها ، فيقتحم ^(١) ذو الحاجة بابها خالها نعله مستحضراً نيتته ويقعد بإزاء القبر ويخاطبه بحاجته ، ويعين بين يدي النجوى ^(٢) صدقة على قبره ، ويدسها في أواني في القبر معدة لذلك ، ومن عجز عن التقدير تصدق بالطعام ونحوه ، فإذا خف الزائرون آخر النهار عمد القائم إلى التربة إلى ما أودع هناك في تلك الأواني وفرقه على الحاويج الحافين بالروضة ، ويحسون كل عشية ، ويعمهم الرزق المودع فيها ، وإن قصر عنهم كملوه في غده .

قال ابن الخطيب لسان الدين : وترافع خدام الروضة لقاضي البلد ، وتخاصموا في أمر ذلك الرزق المودع هناك ، فسألهم القاضي عن خروجه اليوم ، فقالوا : يحصل في هذه الأيام في اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهباً عينا ، وربما وصل في بعض الأيام لألف دينار فما فوقها ، فروضة هذا الولي ديوان الله تعالى في المغرب لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته ، فالقبر يفيض ، واللجين يسيل ، وذوو الحاجات كالطير تغدو خاصاً وترجع بطاناً ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقال : وأنا ممن جرب المنقول عن القبر ، فاطرّد القياس ، وتزيفت الشبهة ، وتعرفت من بدء زيارته ما تحققت من بركمته ، وشهد على برهان دعوته ، انتهى . وقال الشيخ أبو الحجاج يوسف التادلي في كتابه « التصوف » ، إلى رجال التصوف : كان أبو العباس جميل الصورة ، أبيض اللون ، حسن الثياب ، فصيح اللسان ، مقتدراً على الكلام ، حلماً ، صبوراً ، ينحس إلى من يؤذيه ، ويحلم على من يسفه عليه ، رحماً عطوفاً محسناً إلى اليتامى والأرامل ، يجلس حيث أمكنه الجلوس من الطرق والسوق ، ويحض على الصدقة ، ويذكر في فضلها آيات وأحاديث ، ويأخذها ويفرقها على المساكين ، ويرد أصول الشرع إلى

(١) اقتحم المنزل : هجمه ودخله ، وفي ب « فيقتحم ذو الحاجة »

(٢) النجوى : المسارة ، وأصل هذا قوله تعالى : (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) والعلماء على أن هذه الآية نسخ حكمها قبل أن يعمل بها

الصدقة ، ويفسرها بها ، ويقول : معنى قول المصلي «الله أكبر» أى : من أن نضن عليه ^(١) بشيء ، فمن رأى شيئاً من متاع الدنيا فى نفسه أكبر لم يُحَرِّم ^(٢) ولا كَبَّرَ ، ومعنى رفع اليدين للتكبير : تخلّيت من كل شيء لا قليلاً ولا كثيراً ، وهكذا يتكلم بنحو هذا فى جميع العبادات ، ويقول : سِرُّ الصوم أن تجوع ، فإذا جعت تذكرت الجائع ، وما يقاسيه من نار الجوع ، فتصدق عليه ، فمن صام ولم يعطف على الجائع فكأنه لم يصم ، إلى غير ذلك من كلامه فى مثل هذا .

وكان إذا أتاه امرؤ يأمره بالصدقة ، ويقول له : تصدق ، ويتفق لك ما تريده ، وأخبره فى ذلك كثيرة عجيبة .

قال التادلى : وحدثني ولده الفقيه أبو عبد الله عن أبيه أنه قال : كان ابتداء أمرى وأنا صغير أى سمعت كلام الناس فى التوكل ، ففكرت فى دقيقه ، فرأيت أنه لا يصح إلا بترك شيء ، ولم يكن عندى منه ، فتركت الأسباب ، واطرحت العلائق ، ولم تتعلق نفسى بمخلوق ، فخرجت سائحاً متوكلاً ، وسرت نهارى كله ، فأجهدنى ^(٣) الجوع والتعب ، وقد نشأت فى رفاهية ^(٤) العيش ، ومامشيت قط على قدمى ، فبلغت قرية فيها مسجد ، فتوضأت ودخلت المسجد فصليت المغرب ثم العشاء ، وخرج الناس ، فممت لأصلى ، فلم أقدر من شدة الجوع والتألم بالمشى ، فصليت ركعتين ، وجلست أقرأ القرآن إلى أن مضى جزء من الليل ، فإذا قارع يقرع الباب بعنف ، فاستجاب له صاحب الدار ، فقال له : هل رأيت بقرتى ؟ فقال : لا ، فقال : إنها ضلت ، وقد أكثر نَجْلُها من الحنين فطلبها فلم يجدها فى القرية ، فقال أحدهم : لعلها فى المسجد وقت العتمة ، ففتحوا باب المسجد ودخلوا فوجدوني ، فقال صاحب البقرة : ما أظنك أكلت الليلة شيئاً ، فذهب وجاءنى

(١) نضن عليه : نبخل (٢) لم يحرم : لم يدخل فى الصلاة

(٣) أجهدنى : أتعبنى (٤) الرفاهية : السعة والنعومة

بكسرة خبز وقده ابن ، ثم ذهب ليأتيني بالماء فوجد بقرته في داخل الدار ، فخرج لجيرانه وقال لهم : ما زالت ^(١) البقرة من الدار ، وما كان خروجي إلا لهذا الفتى الجائع في المسجد ، ثم رغبت أن أمشي معه لمنزله ، فأبيت

وكان في أول أمره يسكن في الفندق ويعلم الحساب والنحو ويأخذ الأجرة على ذلك ، وينفقها على طلبه العلم الغريب ، ويمشي في الأسواق ، ويذكر الناس ، ويضر بهم على ترك الصلاة ، ويأتي بالطعام على رأسه

وبات ليلة عند الطلبة فارتفعت أصواتهم بالمذاكرة ، فإذا بالحرس قد قرعوا باب الفندق ، فقام إليهم القيم بخدمته ، فقالوا له : ما تعلمون أن من رفع صوته بالليل يقتل ؟ ثم قعد اثنان من الحرس على باب الفندق ليحملونا إذا طلع الفجر للقصر ، فجاء القيم فأخبرنا فأدركنا خوف عظيم ، وأيقنا بالهلاك ، فأخذ أبو العباس في الضحك ولا يبالي ، ثم خلا بنفسه عند السحر ساعة ثم قال لنا : لا خوف عليكم ، قد استوهبتكم من الله تعالى ، وهذان الحرسيان الواقفان غدا يقتلان إن شاء الله تعالى ، فقليل له : الجزاء عندك على الأفعال من الخير والشر ، وهما لم يفعلوا ما يوجب قتلهما ، بل جزاؤهما ^(٢) يروعان ، فقال : العلماء ورثة الأنبياء ، وترويعكم عظيم لا يقابله منكم إلا القتل ، فما زلنا نعارضه في ذلك حتى قال : عقوبتهما أن يضرب كل واحد منهما مائة سوط ، ثم اجتاز عبد الله الخزاز صاحب الوقت بالجامع الأعظم ، فوجد تابوته مفتوحا ، ورأى الحرسيين على قرب ، فلم يشك أنها حلاه ، فحملا إلى رحبة القصر قبل طلوع الفجر ، فقال لنا أبو العباس : احضروا على ضربهما كما أرادا قتلكم ، فتبعناهما ، وحضرنا حتى ضرب كل واحد مائة سوط .

(١) زالت ، هنا : تحولت

(٢) يروعان : ينزل بهما الروح وهو الخوف

وكراماته ومناقبه كثيرة لا تحصى .

وكان يقول : أصل الخير في الدنيا والآخرة الإحسان ، وأصل الشر فيهما البخل ، قال الله تعالى (فأما من أعطى - الآية) وقال عن إبليس (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم - الآية) وقال (ومنهم من عاهد الله - الآية) وقال (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة^(١)) وقال (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) وقال (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) وقال (ليس البر أن تولوا وجوهكم) وقال (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض - الآية) فهذه الأمانة هي الرزق ، فأعطت السموات ما فيها من الماء وهو المطر ، والأرض ما فيها من الماء النازل من الجبال ، والجبال ما فيها كذلك ، وأنبتت الأرض وأبت إمساكها ، فحزن الإنسان جميعها عنده ومنع المساكين إنه كان ظلوما جهولا ، وفي الحديث « هم الأفلون ورب السكبة ، إلا من قال هكذا وهكذا - الحديث » ولما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه دعا عليهم موسى بالبخل ، فقال (ربنا إنك آتيت فرعون - إلى قوله : دعوتكما) وكان رضى الله عنه في آخر عمره كثيرا ما يقرأ هذه الآية (أفرايت الذى تولى ، إلى قوله : سوف يرى) وكان يقول : من قال إن الله تعالى لا يجازى على الصدقات فقد وافق اليهود في الفرية^(٢) على تعالى لأهم قالوا (يد الله مغلوله ، غلت أيديهم) أى لا يجازى على الصدقات ، قال الله تعالى (غلت أيديهم - إلى آخره) أى يجازى على العطاء كيف شاء ، وكان يقول في قوله تعالى (والذين يكتزون الذهب والفضة - الآية) : إنما كُوِّيت هذه المواضع لأن الغنى يُعرض عن المسكين بوجهه ، ثم يجنبه ، ثم بظهره ، فعوقبت هذه المواضع بالسكى بالنار لإعراضه عن الفقير ، ومنازعه رحمه الله تعالى في أمثال هذا كثيرة ، انتهى ملخصا .

(١) الخصاصة — بفتح الخاء — الحاجة

(٢) الفرية — بكسر الفاء وسكون الراء — السكذب

وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يعمر أنه دخل محبة الشيخ سيدي أبي العباس السبتي إلى الأمير السيد أبي سعيد عثمان يعوده ، فقال له : أدعُ الله تعالى لي أيها الشيخ ، فقال له : أرجع إلى الله تعالى حق الرجوع بحيث تتحقق أنه الممرض والمعافى ، وأخرج عن بعض ما عندك من فضول الدنيا لأبناء الجنس ، لتكون ممن وُقِي شح نفسه ^(١) ، فحينئذ يحصل لك ما ترجوه من الدعاء ، ثم التفت إلى الحاضرين وقال : في المرض فوائد لا ينبغي أن تُجهل : الأولى معرفة قدر العافية ^(٢) ، الثانية تمحيص بعض الذنوب ، الثالثة توقع الثواب ، الرابعة تنقية الجسم من فضول الأخلاط ، الخامسة كثرة ذكر الله تعالى والتضرع إليه ، السادسة حدوث الرقة والشفقة ، السابعة - وهي العظمى - الصدقة والخروج عن رذيلة البخل ، انتهى .

وحدث الكاتب أبو القاسم بن رضوان عن أبي بكر بن منظور عن بعض أعيان مراکش أنه توفي وأوصى ابنه أنه كان من أهل البطالة أن يعمد إلى ألف دينار من متخلفه ، فیدفعها للشيخ سيدي أبي العباس السبتي ، ففعل ، وقال للشيخ : إن أبي توفي وأوصاني أن أدفع إليك هذه الألف دينار تضعها حيث شئت ، فقال له الشيخ : قد قبلتها وصرفتها إليك ، فقال له : يا سيدي ، وما تأمرني أن أفعل بها ؟ قال : خذها ، قال : فأنصرفت من عنده وسؤت ظنا بقوله ، ثم قلت : وأنا أنفق مثل ذلك على عادتي في الوجه الذي يلذ لي ، فلأفعلن بها ما أفعل بغيرها ، فأخذتها في محفظة ، وخرجت ألتبس الزنى ، فإذا امرأة على دابة وغلाम يقودها ، فأشرت إلى الغلام ، فقال لي : نعم ، واتبعني إلى بستان لي ، فنزلت المرأة ، فأدخلتها إلى قبة كانت في البستان ، وأخذ الغلام الدابة وصار ناحية ، وقال : أغلق الباب ، ففعلت ، ثم أقبلت إلى القبة فإذا المرأة تبكي بكاء شديدا حتى طال

(١) هذا من قوله تعالى : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

(٢) من هذا قولهم : الصحة تاج على رؤس الأصحاء لا يقدرة إلا المرضى

بكأوها ، وبكيت لبكائها ، فقلت لها : ما شأنك ؟ فقالت : افعل ما دعوتنى لأجله ، ودع عنك هذا ، ونحيبها^(١) يزيد ، فقلت لها : إن المعنى الذى دعوتك لأجله لا يصلح مع البكاء ، بل مع الأنس وانشراح الصدر وزوال الانقباض ورفع الحجل ، فقالت : نترك البكاء ونرجع للأنس على ما تحب ويوفى غرضك ، فقلت : لا ، حتى أعلم سبب بكائك ، وألححت عليها ، فقالت : أتعرف حاجب الملك الذى سجنه ؟ قلت : نعم ، قالت : فأنا ابنته ، ولم يبق له أحد غيرى ، وقد سجنه الملك وأخذ أمواله ، فما زلت أبيع ما ترك أبى وأنفقه عليه ، حتى لم يبق بيدي شيء ، فلما أعتنى الحيلة فيما أنفقه ألبأت نفسى ووقفت هذا الموقف وأنا بكر ما رأى لى أحد وجهها قط ، فرميت لها بالآلف دينار وقلت لها : والله لا قربت منك على هذا الوجه أبدا ، فأنفقى الدنانير على والدك إلى أن تنفد ، وابعنى لى غلامك أعلمه بمنزلى ، ولازى دارك ، واستمرى على صيانتك وإلا فضحتك ، وترينى والله لا أزال أبيع أملاكي وأنفقه على والدك حتى أموت أو يفنى كل ما أملكه ، ثم خرجت أتمس الغلام وإذا بجماة يطلبون البنت ، وقالوا : إن الملك رضى عن والدها ، ورد عليه ضياعه وأملاكه ، ووصله بعشرة آلاف دينار ، وقعد يلتمس بنته فلم توجد ، فسقط فى يد الغلام الذى كان مع الدابة ، وظن أن الأمر على ما جرى بينى وبين البنت ، فبادرته وقلت له : لا عليك ، فتجاهل فى خبرها حتى ينصرفوا ، ودخلت إلى البنت وقلت لها : إن الملك قد رضى عن والدك ، ورد عليه ماله ، ووصله ، فسيرى إلى دارك ، فركبت دابتها وانصرفت ، فدخلت على والدها فقال لها : أين كنت ؟ وما الذى أخرجك عن دارك ؟ وهمم بها ، فقالت له : أخرج عنى كل من فى الدار ففعل ، فأخبرته أمرها مع الشاب من أوله إلى آخره ، ورمت إليه بالآلف دينار ،

وقالت له : هذا الذى أعطانى لأنفق عليك ، فقال أبوها : هذا والله هو الكبريت الأحمر ، والله لو كان أبوه كنفاً^(١) ما أنفت أن أزوجك منه ، فوجه العبد الذى كان معها إلى الشاب ، وقال له : إن سيدى يدعوك ، قال : فحقت أن يوضع عنده الأمر على غير وجهه ، ثم أقدمت إقدام مَنْ علم براءة نفسه ، فدخلت عليه ، فقام إلى وعانقتى ، وقد عرف لى مقامى ، وقال : أما الآن وأنت من أعيان الناس فقد قرت بك عينى ، وقال : والله لو كان أبوك كنفاً^(٢) ما أنفت لبنتى أن أزوجك منها ، فما قام من المجلس حتى وجه إلى العدول وأشهد على نفسه بأنه زوج ابنته فلانة من هذا الشاب ، وتقدّها عنه الشطر الأول من العشرة آلاف دينار التى وصله بها الملك وأجلّ لها عنه الشطر الثانى ، وأهدى لها من الحلى كذا وكذا ، ومن الثياب كذا وكذا ، حتى أتى على أكثر أملاكه حتى أنفقاها على ذلك ، فحصل من إشارة الشيخ السبتى - رضى الله عنه ! - فى تلك الألف دينار على أضعاف مضاعفة من الأموال ، وظفر بينت حاجب الملك ، انتهى .

رجع إلى ابن زمرك رحمه الله تعالى .

قال الشاطبى فى الإشارات والإفادات ما صورته : إفادة - أفادنى صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله بن زمرك إثر إيباه إلى وطنه من رحلة المدوّة فى علم البيان فوائده أذكر منها الآن ثلاثة : الفقه فى اللغة ، وهو النظر فى مواقع الألفاظ وأين استعملتها العرب ، ومن مثل هذا الوجه «قرم» و«عام» إذا اشتغى ، لكن لا يستعمل «قرم» إلا مع اللحم^(٢) ، ولا يستعمل «عام» إلا مع اللبن^(٣) ، فتقول : عمتُ إلى اللبن ، وكذلك قولهم : أصفر فاقع ، وأحمر قانٍ ، ولا يقال بالعكس ، وهذا كثير . والثانية تحرى الألفاظ البعيدة عن طرفى الغرابة والابتذال ، فلا يستدل بالحوشى من

(١) كنف : عمله فى الكنف ، وهى المراحىض

(٢) قرم الرجل - من باب طرب - اشتدت شهوته إلى اللحم

(٣) عام الرجل يعيم - من باب ضرب - إذا كانت به شهوة إلى اللبن

اللغات ولا المبتذل في ألسن العامة . والثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه ؛ إذ المقصود الوصول في بيان المعنى إلى أقصاه ، والإتيان بما يحصله سريعاً ويمكنه في الذهن ، وتحري كل صيغة تمكن المعنى وتعرض السامع على الاستماع ، وأخبرني أن كتاب المغرب يحافظون في شعرهم وكتابتهم على طريقة العرب ، ويذمّون ما عداها من طريقة المولدين ، وأنها خارجة عن الفصاحة ، وهذه المعاني الثلاثة لا توجد إلا فيها .

وذكر من شرح بديعية الحلي من المغاربة وهو الشيخ النحوي عبيد الثعالبي في شواهد حسن الختام أن منه ختام قصيدة للكاتب البارع أبي عبدالله المعروف بابن زمرك الأندلسي مدح بها ملك المغرب عبد العزيز حين قدم عليه رسولا من صاحب الأندلس ، وهو قوله :

ولو أنشدت بين العذيب وبارق لقال رواة الغرب يا حبذا الشرق
ولم يظهر لي كل الظهور دلالاته لي على حسن الختام ، ولا بد ، فإله سبحانه أعلم .
وقد أطلنا في ترجمة ابن زمرك فلنختم نظامه بموشحة له زهرية مولدية تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهي هذه :

موشحة
لابن زمرك في
مدح الرسول

لو ترجع الأيام بعد الذهاب لم تقدح الأيام ذكرى حبيب
وكل من نام بليلى الشباب يوقظه الدهر بصبح المشيب
ياراكب العجز ألا نهضة قد ضيق الدهر عليك الخال
لا تحسبن أن الصبا روضة تنام فيها تحت فء الظلال
فالعيش نوم والردى يقظة والمرء ما بينهما كالحيال^(١)
والعمر قد مر كمر السحاب والملقى بالله عما قريب
وأنت مخدوع بلمع السراب تحسبه ماء ولا تستريب^(٢)

(١) هذا من قولهم : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا

(٢) السراب : ما تراه في الصحارى كأنه ماء وليس بماء

والله ما الكون بما قد حوى إلا ظلال توهم الغافلا
 وعادة الظل إذا ما استوى تبصره منتقلا زائلا
 إنا إلى الله عبيد الهوى لم نعرف الحق ولا الباطلا
 فكل من يرجو سوى الله خاب وإنما الفوز لعبد منيب^(١)
 يستقبل الرجعى بصدق المقاب ويرقب الله الشهيد الرقيب
 يا حسرة! مر الصبا وانقضى وأقبل الشيب يقص الأثر
 وأخجلتا والرحل قد قوَّضاً وما بقى فى الخبر غير الخبر^(٢)
 وليفتى لو كنت فيما مضى أذخر الزاد لطول السفر
 قد حان من ركب التصايب إياب ورائد الرشدا أطل المغيب
 يا أكمة القلب بعين الحجاب كم ذا أناديك فلا تستجيب
 هل يحمل الزاد لدار الكريم والمصطفى الهادى شفيع مطاع
 فجاهه ذخر الفقير العديم وحبه زادى ونعم المتاع
 والله سمّاه الرؤف الرحيم فخاره المكفول ما إن يضاع
 عسى شفيع الناس يوم الحساب وملجأ الخلق لرفع الكروب
 يلحقنى منه قبول محاب يشفع لى فى موبقات الذنوب
 يا مصطفى والخلق رهن العدم والكون لم يفتق كأم الوجود
 مزية أعطيتها فى القدم بها على كل نبى تسود
 مولدك المرقوم لمـانـجـم أنجز للأمة وعد السعود
 ناديت لو يسمح لى بالجواب شهر ربيع ياربيع القلوب
 أطلعت للهدى بغير احتجاب شمسا، ولكن ما لها من غروب

(١) منيب . راجع إلى ربه تائب من ذنبه

(٢) قوضت الرحل : هدمته ، وذلك عندما أريد الانتقال

ابن المهنا
الطبيب

ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى ، الطبيب العالم ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا :
وشرحه عليها من أبداع الشروح ، وقد نقل فيه عن لسان الدين كثيرا ، واعتمد
عليه في أمور الطب ، وقد طال عهدي به الآن ، وهو من الكتب المشهورة
بالمغرب ، ولم أره بهذه الديار الشرقية .

أبو بكر بن
جزى الكلبي

ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى : الأديب الكاتب العالم العلامة
القاضي أبو بكر بن جُزَى الكلبي ، وأبوه الشيخ أبو القاسم بن جزى شيخ
لسان الدين ، وبيت بنى جزى بيت كبير مشهور بالمغرب والأندلس ، وقد عرفنا
فيمسبق بالشيخ أبي القاسم وابنيه العلامتين^(١) الناظرين الناظرين الكاتب أبي عبد الله
محمد والقاضي أبي بكر المذكور ، فليراجع في الباب الثالث .

ورأيت بخط بعض علماء المغرب أن أبا بكر المذكور روى عن لسان الدين
ابن الخطيب - رحمه الله تعالى ! - جميع تواليقه مع أنه مقاربه في السن ، ولكن
الإنصاف في ذلك الزمان غير معدوم ، وقد عرف به لسان الدين في « الإحاطة »
والذى فهمت من عبارته في الإحاطة أنه إن عبر بصاحبنا فلا يطلقها غالبا إلا على
تلامذته ، وربما أطلقها على غيرهم كما لا يخفى على من مارس كلامه ، رحمه الله تعالى !
وأتقن تاريخ أهل المغرب والأندلس ، رحم الله تعالى الجميع ! .

أبو عبد الله
الشريشي

ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى : مؤدب أولاد الملوك ومعلمهم القرآن
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبد الله الشريشي ، وهو الذى تولى أولا
نقل « الإحاطة » من مبيضتها ، كما سبقت الإشارة إليه في كلام^(٢) حفيد السلطان
ابن الأحمر ، وأحكم نسخه ، فكانت في مجلدات ستة ، وكان لسان الدين أتقى
إليه بالمبيضات اعتمادا منه عليه ، وثقة به ، لاشتغال لسان الدين بأمر الملكة

(١) انظر الجزء الثامن ص ٣٨ ، ٣١ ، ٤٠ وما بعدها

(٢) انظر ص ٣١٤ من الجزء التاسع من هذا الكتاب

ومن تلامذة لسان الدين : القاضى الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله ابن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى .

أبو محمد عطية
بن يحيى ،
المحاربى

قال فى « الإحاطة » : صاحبنا الفقيه الخطيب ، كاتب الأنشاء بالباب السلطانى أبو محمد ، نسيج وحده فى أصالة البيت وعفاف النشأة ، مقصود المنزل ، نبهه الصهر ، مع مخول^(١) فى الأصالة ، بارع الخط ، جيد القريحة ، سيال المداد ، نشيط البنان ، جلد على العمل ، خطيب ناظم نثر ، قرأ بغرناطة ، وولى الخطاية بالمسجد الأعظم والقضاء سنتين ببلده فى حداثة السن ، ثم انتقل إلى غرناطة فجاءت^(٢) به الكتابة السلطانية داحضة بالحق آوته إلى هضبة أمانة مستظهرة ببطل كفاية ، فاستقل رئيسا فى غرض إعانتى وانتشلى من هفوة الكلفة على جلل الضعف وإلغام المرض ، ثم كشفت الخبرة منه عند الحادثة على الدولة وإزعاجها من الأندلس عن سؤا لا تُؤارى ، وعورة لا يرتاب فى أشنوعتها ولا يتماهى ، فسبحان من علم النفس فجورها وتقواها ، إذ لصق بالدهى الفاسق فكان آلة انتقامه ، وجارحة صيده ، وأحبولة كيده ، فسفك الدماء ، وهتك الأستار ، ومزق الأسباب وبدل الأرض غير الأرض ، وهو يزقه فى أذنه زقوم النصيحة ، ويستحله لقب الهداية ، ويبلغ فى شوارزه إلى الغاية ، عنوان عقل الفتى اختياره ، يجرى فى سبيل دعوته طولا ، أخرق يسىء السمع فيسبىء الإجابة ، بدويا قحا جهورا ذاهلا عن عواقب الدنيا والآخرة ، طرفا فى سوء العهد وقلة الوفاء ، مردودا فى الحافرة ، منسلخا من آية السعادة ، تشهد عليه بالجهل يده ، ويقيم عليه الحجج شره ، وتبوءه هفوات الندم جهالته ، ثم أسلم المحروم مصطنعه أحوج ما كان إليه ، وتبرا منه ، ولحقته بعده مطالبة مالية لقي لأجلها ضعفا ، وهو الآن بحال خزى ، واحتقاب

(١) يقال « فلان مع مخول » إذا كان كريم الطرفين من جهة أبيه وأمه

(٢) جاءأت به : دعتة

تبعات ، واستدعيت شيئا من نظمه ونثره حال التصنيف ليترجم به ، فكتب
إلى ما نصه :

يا سيداً فاق في مجد وفي شرف	وفات سبقا بفضل الذات والسلف
وقاضيا عن سبيل الذم منحرفا	وعن سبيل المعالي غير منحرف
وتحفة الزمن الآتي به فلقـد	رباً بما حازه منها على التحفـ
ومعدنا لنفيس الدر فهو لما	حواه منه لدى التشبيه كالصدف
وبجر علم جميع الناس معترف	منه ، ونيل المعالي خير مؤتلف
وسابقا بذ أهل العصر قاطبة	فالكل في ذاك منهم غير مختلف
من ذا يخالف في نار على علم	أويجحد الشمس نورا وهو غير خفي؟
ما أنت إلا وحيد العصر في شيم	وفي ذكاء وفي علم وفي ظرف
لله من مُنتَمٍ للمجد منتسب	بالفضل متمم ، بالعلم متصف
لله من حسب عدّ ومن كرم	قد شاده السلف الأخيار للخلف
إيه أيا من به تبأى الوزارة إذ	كنت الأحق بها في الذات والشرف
يا صاحب القلم الأعلى الذي جمعت	فيه المعالي فبعض البعض لم أصف
يا من يقصر وصفي في علاه ومن	أنسى مدح حبيب في أبي دُلف ^(١)
شرفتني عند ما استدعيت من نظمي	نظما تدونه في أبدع الصحف
وربما راق تُغر في تبسمه	حتى إذا ناله إلمام مرتشف
أجلّ قدرك أن ترضى لمنتجع	بسوء كيّله حظا مع الحشف
هذا ، ولو أنني فيما أتيت به	ناخت بالطيب زهر الروضة الأنف ^(٢)
لكنت أفضي إلى التقصير من خجل	إذ لست بالبعض مما تستحق أفـ

(١) حبيب : هو أبو تمام حبيب بن أوس

(٢) روضة أنف — بضم الهزة والنون جميعا — أي لم يسبق أحد إلى رعيها

فحسبي العجز عما قد أشرت به فالعجز حتماً قصارى كل معترف
 لكن أحبت إلى المطلوب ممتثلاً وإن غدوتُ بمرمى القوم كالمهدف
 فانظر إليها بعين الصفتح عن زلل واجعل تصفُّحها من جملة السكَّلف
 بقيت للدهر تطويه وتشره تسمو من العز باسم غير منصرف
 ثم ذكر نثراً ، وأن مولده بوادي آش آخر عام تسع وسبعائة ، وولى الخطابة
 والإمامة بها عام ثمانية وثلاثين وسبعائة ، ثم ولى القضاء بها وبأعمالها عام ثلاثة
 وأربعين وسبعائة ، ثم انتقل للحضرة آخر رجب عام ستة وخمسين وسبعائة ،
 ومن شعره قوله :

ألا أيها الليل البطيء الكواكب متى ينجلى صبح بليل المآرب
 وحتى متى أرى النجوم مراقبا فمن طالع منها على إثر غارب
 أحدث نفسي أن أرى الركب سائرا وذنبى يقصبنى بأقصى المغارب
 فلا فُزْتُ من نيل الأمانى بظائل ولا قت في حق الحبيب بواجب
 فكم حَدَّثتني النفس أن أبلغ المنى وكم عَلَّتني بالأمانى الكواذب
 وما قصرت بي عن زيارة قبره معاهد أنس من وصال الكواعب
 ولا حُبُّ أوطان نبت بي ربوعها ولا ذكر خل حل فيها وصاحب
 ولكن ذنوب أثقلتني فيها أنا من الوجد قد ضاقت على مذاهبي
 إليك رسول الله شوقى مجدد فياليتني يممت صدر الركائب^(١)
 فأعملت في تلك الأباطح والربا سُرَّاي مجدداً بين تلك السباب^(٢)
 وقضيت من لثم البقيع لُبَّاتِي وجبت القلاما بين ماش وراكب^(٣)
 ورويت من ماء برززم غُلَّتِي فله ما أشهام يوماً لشارب^(٤)

(١) يممت : قصدت (٢) السباب : الصحارى ، واحدها سبب

(٣) جبت : قطعت (٤) الغلة - بالضم - حرارة الباطن من عطش ونحوه

حبيبي شفيعى منتهى غايى التى
 محمد المختار والحاشى الذى
 رؤوف رحيم خَصَّنَا الله باسمه
 رسول كريم رَفَّعَ الله قدره
 وشرفه أصلا وفرعا ومحتدا
 سراج الهدى ذو الجاه والمجد والعلا
 هو المصطفى المختار من آل هاشم
 هو الأمد الأقصى هو الملجأ الذى
 إمام النبیین الكرام ، وإنه
 بشير نذير مفضل مُتَطَوَّل
 شريف منيف باهر الفضل كامل
 عظيم المزايا ماله من مُمَاطِل
 ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن
 جليل جميل الخلق والخلق ماله
 وناهيك من فرع نَمَتَه أصوله
 أولى الحسب العد الرفيع جنابه
 له معجزات ما لها من معارض
 تَحَدَّى بهن الخلق شرقا ومغربا
 فدونها كالأنجم الشهب عدة
 وإحصاؤها مهما تتبعت مُعْغُوز
 أَرْجَى ومن يرجوه ليس بخائب
 بِأَحَدٍ حاز الحمد من كل جانب
 وَأَعْظَمُ بِمَاحٍ فى الثناء وعاقب
 وأعلى له قدرا رفيع الجوانب
 يزاحم آفاق السما بالكواكب
 وخير الورى الهادى الكريم الْمُنَاصِب
 وذو الحسب العد الرفيع المناصب
 ينال به مرغوبه كُلُّ رَاغِب
 لكالبدر فيهم بين تلك المواكب
 سراج منير بَدَّ نور الكواكب ^(١)
 نفيس المعالى والخلقى والمناقب
 كريم السجايا ماله من مناسب
 يلوذ به من بين آتٍ وذاهب
 نظير ، ووصف الله حجة غالب
 إلى خير مجد من لؤى بن غالب ^(٢)
 بدور الدياجى أو صدور الكتائب ^(٣)
 وآيات صدق ما لها من مغالب
 وما ذاك عن حاد عنها بغائب
 ونور سَنَّا لا يَخْتَفِى للمراقب
 وهل بعد نور الشمس نور لطالب

(٢) نمته : نسبته

(١) بد : فاق وغلب

(٣) الدياجى : الظلم ، كأن واحدها دياجاة ، والكتائب : الجيوش ، واحدها كتيبة

لقد شرف الله الوجود بمُرْسَلٍ له في مقام الرسل أعلى المراتب
وشرف شهراً فيه مولده الذي جلا نوره الأسنى دياجي النياهب
فشهر ربيع في الشهور مقدم فلا غرو أن الفخر ضربة لازب^(١)
فلله منه ليلة قد تلالأت بنور شهاب بين الأفق شهاب
ليهن أمير المسلمين بها المنى وأن نال من مولاه أسنى الرغائب
على حين أحياها بذكر حبيبهِ وذكر الكرام الطاهرين الأطايب
وألف شملاً للمحبين فيهم فسار على نهج من الرشد لاحِب
فسوف يُجَازَى عن كريم صنيعة بتخليد سلطان وحسن عواقب
وسوف يُرى به الله في نصر دينه غرائب صنع فوق تلك الغرائب
فيحى حى الإسلام عمن يرُومه بسمر العوالى أو يبيض القواضب^(٢)
ويعتز دين الله شرقاً ومغرباً بما سوف يبقى ذكره في العجائب
إلهى مالى بعد رحماك مطلب أراه بعين الرشد أسنى المطالب
سوى زورة القبر الشريف وإنه لموهبة فاقت جميع المواهب
عليه سلام الله ما لاح كوكب وما رافق الأظعان حادى الركائب

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى : وليس لهذا الرجل انتحال لغير الشعر والكتابة
وغير هذا الشعر قران ، فقل أن ينتهى هذا الشعر فى الضعة والاستبدال إلى
ما دون هذا النمط ، فهو بغير ثان شعراً وشكلاً وبلداً ، لطف الله تعالى بنا
وبه ! انتهى باختصار .

ومن تلامذة لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى الكاتبُ أحمد بن

(١) يقال « هذا الأمر ضربة لازب » أى أنه لا مفر من حصوله

(٢) سمر العوالى : الرماح ، وبيض القواضب : السيوف

أحمد بن سليمان
ابن فركون
سليمان بن فركون ، ومن نظمه على لسان مَنْ يرمى بالداء العضال في فرج عبد
ابن ذمرك الوزير بعد ابن الخطيب :

قالوا كلفت به غلاما حالكا فأجبتهم في فيه ما يرمى المهيج
مهما جنت بحسنه وبجبه علفت فوق منه حرزا من سبيج
ورأيت بخط الوادي آثى ما صورته : وجدت بخط لسان الدين ، وخاتمه أعلام
البيان الجيدين ، ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى في
طرة اسم الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون، المختص به ، المتأدب بما انفرد به من
انتساح تواليف ابن الخطيب ما نصه : يسقط هذا الساقط من الديوان ، انتهى .
ولعل لسان الدين إنما أمر بإسقاطه من الإحاطة لما يُتهم به من معنى بيتيه
السابقين ، ويحتمل أن يكون لغير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب الثامن

في ذكر أولاده

الرافلين في حُلل الجلالة ، المقتفين أوصافه الحميدة وخِلَالَهُ ^(١) ، الوارثين العلم والعمل والرياسة والمجد عن غير كلاله ^(٢) ، ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا ، المستعملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلا تُذْيَا ^(٣) ، المنقذة من أنواع الضلالة ، وما يقبع ذلك من المناسبات القوية ، والأمداح النبوية ، التي لها على حسن الختام أظهر دلالة .

أعلم - وفقني الله تعالى وإياك لمرضاته ! وجعلنا ممن يعتبر بالدهر في معضاته ! -
أن أولاد لسان الدين ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلى ، وكلهم حَدَّثَ عن أبيه وعن ابن الجياب .

أما محمد فقد نال حظه من التصوف ، ولم يكن له إلى خدمة الملوك تشوف ^(٤) ، ولم يحضرنى الآن نص من أنبائه أكتبه لعدم وجود الكتب التي هي مَقَان ذلك ، إذ قد تركتها بالمغرب .

وقد سبق فيما مر من كلام ابن خلدون أن أولاد لسان الدين كانوا من نُدَمَاء السلطان وأهل خلوته ، وأن عليا كان خالصة السلطان ، رحم الله تعالى الجميع !
وأما عبد الله فقد كتب بالعدوتين ، للملوك الحضرتين ، وتولى القيادة والكتابة بالأندلس أيام كان أبوه مدبر الدولة ، وأكثر الناس بها كالحواص حوله ، ولا أعلم الآن ما آل إليه أمره بمد وفاة أبيه ، وقد ألم ببعض التعريف

(١) الحلال : الحصال والسجيا ، واحدها خلة

(٢) ورثه عن غير كلاله : يراد به أنه انحدر إليه من أصوله

(٣) بلا تُذْيَا - بالضم - أى بغير استثناء (٤) تشوف : أى تطالع

ترجمة

لسان الدين
لابنه عبد الله

مبدأ أحواله أبوه لسان الدين في كتاب « الإحاطة ، في تاريخ غرناطة ، فقال في
حقه ما ملخصه : عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن الخطيب التلمساني ، حسن
الشكل ، جيد الفهم ، يُغَطّي منه رمادُ السكون جمرَ حركة ، منقبض عن الناس
قليل البشاشة ، حسن الخط ، وَسَطُ النظم ، كتب عن الأمراء بالمغرب ، وأنشدهم ،
وأقبض صكوكهم بالإقطاعات والإحسان ، واختال في خِلَعهم ، ثم لما كانت الفتنة
كتب عن سلطان وطنه معزز الخطة بالقيادة ، قرأ على قاضي الجماعة الخطيب أبي
القاسم الحسني ، والخطيب أبي سعيد فرج بن لب الثعلبي ، واستظهر ببعض المبادئ
في العربية ، واستجيز له مَنْ أدركه ببلاده من أهل المشرق والمغرب ، وشعره
مترفع عن الوسط إلى الإجابة ، يكلِّله عذرُ الخدانة .

فنه قوله في مولد أربع وستين وسبعائة :

بحق الهوى يا خُدَاةَ الحول	قفوها قليلا بتلك الطلول
معاهد مرت عليها السحاب	ببرق خَفُوقٍ ودمع همول
أحن إليها حنين العِشار	وأبكى عليها بشجو طويل ^(١)
فيا سعد عَرَّجَ عليها الركاب	ففيها لقلبي شفاء الغليل
سقاها من المزَن صوبُ الغمام	وحَيًّا بعَرَفِ النسيم العليل
ولا زال فيها يحمر الذبول	فيحيي النفوس بحجر الذبول
لئن حُلْتُ يارب عن عهدنا	فعهد الهوى ليس بالمستحيل ^(٢)
ومما شجاني وميض الخفوق	كقلبي غداة النوى والرحيل
وميضٌ إذا بَلَّه المزَن وهنا	يضيء سناه كعضب صقيل
أطار القواد فؤاد المشوق	وأغرى الشهاد بطرف كليل

(١) العِشار : جمع عشراء ، وأراد النوق ، والشجو : الحزن

(٢) حلت : تغيرت ، حال يحول : تغير ، واستحال وأحال أيضا

فبت أطاول ليل التمام بوجد جديد وصبر مُحِمِّل
ودمع يساجل دمع الغمام وشجو الحائم عند الهديل
فيا ليت شعري وهل من سبيل على الوجد يوما بصبر جميل
وهل يسمع الدهر بعد العناد بجبر الكسير وعز الذليل
وهل راجع عهدنا بالحى على رغم دهر ظلوم جهول
فيا حسن مأوى عزاء جميل ويا طيب مأوى بطل ظليل
وفى ذمة الله ركب سَرَوَا يحدون والليل مَرَحَى السدول
نشاوى بكاسين كأس الهوى وكأس من الأمن مثل الشمول^(١)
يؤمنون بالعيس أم القرى وقبر النبي الشفيع الرسول^(٢)
ديار بها الوحى وحى السما تنزل ، أكرم به من نزول
بها أشرق الدين كالشمس نورا وآن من الشرك وقت الأفول
فيا حادى العيس يطوى الفلا بوخذ القلاص ونصّ الذميل^(٣)
سفائن آل طواها الشرى وشقّ الحزون وقطع السهول
نشدتك بالبان بان الحى وبالمورد العذب والسلسيل
إذا ما حلت لدى طيبة وجئت محل الرضا والقبول
وقبرا نوى فيه خير الورى وبشرى الكليم وفخر الخليل^(٤)
فأبلغ تحية صب مشوق عدته عوادى الزمان الخذول
وقل يا رسول الهدى والشفيع إذا ضاق صدرُ أب عن سليل
عليك الصلاة وطيب السلام يحبيك عند الضحى والأصيل
نبي كريم رؤف رحيم بنص الكتاب وحكم العقول

(١) الشمول - بفتح الشين - الحمر (٢) العيس : الإبل

(٣) الوخذ : ضرب من السير السريع ، والذميل مثله ، والقلاص : جمع قلوص هى

الشابة الفتية من النوق (٤) الكليم : موسى ، والخليل : إبراهيم ، عليهما الصلاة والسلام !

إمام الهدى المجتبي المصطفى
 به أظهر الله دين الهدى
 وقام بأعباء دين الإله
 فأكرم ببليّة ميّـلاده
 لك الله من ليـلـة فضّلها
 وأيد بالنصر مـوـلى أقام
 أعاد بها الليل مثل النهار
 وأبدى الرضا نحوها والقبول
 سمى النبي الكريم الرسول
 محمد المرتضى المستجار
 من النفر الغر أسد الكفاح
 ترام لدى السلم أطواد حـلم
 مبيد العداة ومحبي العفاة
 فبأس حكي النار عند احتدام
 فيضلي عداة لدى الحرب نارا
 إذا فلت البيض يوم الوغى
 ملك كفيل لمن يرتجيه
 وفرع كريم حميد الخلال
 فدام لذا ما سرى في الرياض
 وحن مشوق لأرض الحجاز
 بأزكى شهيد وأهدى دليل
 وعلم كيف سواء السبيل
 أتم القيام بفعل وقيل (١)
 على كل وقت وعصر وجيل
 يجر على النجم فضل الذبول
 مواسمها فعـل بـرّ ووصول
 بوجه كريم وفعل جميل
 وأكرم به من حفيّ كفيل
 وسيف الإله العلى الجليل
 مبيد العدا ومنيل الجزيل (٢)
 وأهل السماح عشيّ النزول
 ويوم الكريهة آساد غيل
 وماوى الغريب ومدنى الدخيل
 وجود حكي السحب عند الهمول
 ويروى نداء زمان المَحْـوْل
 فلت تـرى عـزمه ذا فُلُول
 بكل مَرَام بعيد وسول
 نماه إلى المجد طيبُ الأصول
 نسيمُ الصَّـبَا ومهب القَبُول
 إذا لاح إيماض برق كليل

(١) القيل - بالكسر - القول ، يريد بفعله وبقوله

(٢) المبيد : المهلك ، أباده يبيده : أهلكه ، والمنيل : المعطى

وقال يمدح السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر من مدينة فاس :

لمن طلل بالرقتين ^١مُحِيلٌ عَفَتْ دمنيه شمال وقبول
يلوح كباقي الوشم غيره البلى وجادت عليه السحب وهى همول
فيا سعد مهلا بالركاب لعلنا نسائل ربعا فالجب سؤل
قف العيس بنظر نظرة تذهب الأسى ويشفى بها بين الضلوع غليل
وعرج على الوادى المقدس بالحى فطاب لديه مَرَبِعٌ ومَقِيل
فيا حبذا تلك الديار وحبذا حديث بها للعاشقين طويل
دعوت لها سقى الحى وربوعه وميض وعَرَفَ للنسيم عليل
وأرسلت دمعى للغمام مساجلا فَسَالَ على الخدين منه مسيل
فأصبح ذاك الربع من بعد محله رياضها الغصن الروح يميل
لئن حال رسمُ الدار عما عهدته فعهد الهوى فى القلب ليس يحول
ومما شجاني بعد ما سكن الهوى بكاء حماماتٍ لهنَّ هديل
توسّدنَ فرع البان والنجم مائل وقد آن من جيش الظلام رحيل
فيا صاحبي دع عنك لومى فإنه كلام على سمع الحب ثقيل
تقول: اضطرابا عن معاهدك الألى وهيهات صبرى ما إليه سبيل
فلله عينا من رآنى وللأسى غداة استقلت بالخليط حول
يطاول ليل التم منى مُسَهَّد وقد بان عنى منزل و خليل
فياليت شعرى هل يعودنَّ مامضى وهل يسمحنَ الدهر وهو بخيل
وهل راجع عهد الحى ؟ سقى الحى وظل بعين الدمع فيه ظليل
وأيام أنس كم نعمنا بقرها وقد غاب عنا حاسد وعذول

(١) الطلل : ما بقى شاخصا من آثار الديار ، والمحيل : المتغير ، والدمنة - بالكسر - الموضع القريب من الدار ، والشمال - بالهمز - ربيع الشمال ، والقبول : الريح التى تقابلها

حلفت برب الراقصات إلى مَنى
 (١) جُودُ أمير المسلمين محمد
 ملك أتاه الله في الملك عَزْمَةٌ
 هو الملك المنصور والبطل الذي
 إذا فُلتَ البيض الرقاق وجدته
 يقصر باعُ المدح دون صفاته
 من النفر البيض الوجوه لدى الوغى
 هُمومًا هُمومًا والحرب قد شب نارها
 إذا سئلوا يوم الندى فنوالهم
 بهم عَزَّ دين الله شرقًا ومغربًا
 هُم السادة الأنصار والعرب الألى
 لهم يوم بدر والرسول أميرهم
 فأصبح أصحابُ القلب كَأَنَّهُمْ
 وقد أمن الإسلام كيد عدوه
 وعدّوا رواحًا للمدينة والرضا
 فمن ذا يجارى أويدي عصابة
 لكم يا بنى نصر من المجد هضبة
 فياسيد الأملاك والواحد الذي
 لقد قرع الأعداء منك مؤيدا
 فلم يدركوا ما أملوا غير ساعة
 لهن إلى البيت العتيق ذَمِيلٌ (٢)
 بكل مرام في الزمان كفيل
 يروع الأعادي بأُسُها ويهول
 يهون عليه الخطبُ وهو جليل
 أخوا عزمات ما هن فلول
 ويرجع عنها الفكر وهو كليل
 لهم غرر وضاعة وحجول
 وللخيل في جنح العجاج صهيل
 تفيض شأيبُ له وسيول
 وأصبح دين الكفر وهو ذليل
 حَمَى الدينَ حَىَّ منهم وقبيل
 تصول به أرماحهم وتطول
 كتيب لوطاء المرهفات مهيل (٣)
 وغودر ربع الكفر وهو محيل
 لهم منه فوز عاجل وقبول
 جزاؤهم عند الإله جزيل
 تزول الرواسي وهي ليس تزول
 إذا عد فخر ليس عنه عدول
 له الذعر نصر والحسام دليل
 كذاك مَتَاعُ الأخسرين قليل

(١) الراقصات : أراد بها النوق التي تحمل الحجاج ، والذميل : ضرب من
 السير السريع (٢) أصحاب القلب : قتلى المشركين يوم بدر ، لأنهم طرحوا في
 قلب (بئر) هناك

تعاونين في باب البنود بسحرة
أبي الله إلا أن يموتوا بغيظهم
فأضحوا حديثا في البلاد ويومهم
بسعد إمام ينزل العُصم سَعْدُهُ
وفرع كمال في الخلافة ثابت
حكى وجهه شمسُ النهار إذا بدا
أعاد لنا بالعدل أيامه التي
فدام لنا ماهبٌ عرف من الصبا
وحَن مشوق للحجاز إذا بدت
وأشرق نجم مثل قلبي خافق
وما زالت الأقدار تجري بأمره
كلاب عليهم بعد ذلك عويل
فويلٌ لهم من مكرهم وأليل
وساء صباح عندهم وأصيل
ويروى نداء الزمان محول
نَمَتَهُ إلى المجد الزكي أصول
ورِيَّاهُ عرفُ الروض وهو بليل
عهدنا، فدارت للسرور شمول
وأومض برق في الظلام كليل
لعينه منه شامة وطفيل
وحان له عند الغروب أفول
وصنع إله العرش فيه جميل

وقال في إغذار ابن السلطان رحمه الله تعالى ورضى عنه :

أَرِهَا عَزْمَةً تُنْضِي الرُّكَابَا
لعل الوجد تطفأ منه نار
أما بعد الألى ترجو قلوب
فيا أَخَوَيَّ كفا عن عتابي
تذكرتُ العقيق فسال دمعِي
أقول لنَسْمَةٍ مرت صباحا
ألا يا هذه كوني رسولي
نشدتك بَلَّغْنِي صبحي سلامي
وإن دميت لها العين انسكابا^(١)
أبت إلا زفيرا والتهابا
تسارع نحو أرضهم انقلابا
فلست بسامع أبدا عتابا
عقيقا من تذكره مذابا
يعطر عَرْفُهَا القفر الينابا
وكوني إن رجعت لي الجوابا
إذا جئت المعاهد والقبابا

يلومني العواذل في اشتياقي
وكم بين الأباطح من مهمة
رمتني ثم قالت وهي تزي
إذا ما الشهب للغرب استمالت
أوجه إن رقدت إليك طيفي
فقلت: لقد نخلت على مشوق
وكيف له بنوم بعد وجد
سينصره من الأنصار ملك
كريم الذات من ملائ كرام
تواضع رحمة وعلاً محلاً
فليس يُصدَّ عن جدواه راج
له عطف على الراجي جميل
وملك آمن الأرجاء حتى
أمولاي الذي أحيا المعالي
مددت على البلاد جناح عدل
وتاب الدهر مما قد جناه
وسكن عز دولتك الدواهي
ويا لله إغذار سعيد
عجبت لمقدم والروع يهفو
ومن شبل أطاع أخا سلاح

إذا ما القلب من وجدى تصاب^(١)
تروع بلحظها الأسد الغضابا
ولم تحذر بفكتها العقابا
وفؤد الليل بالإصباح شابا
كلع البرق يخرق السحابا
أني إلا غراما واكتئابا
يذيب لهيبه الصم الصلابا
إذا ناداه مظلوم أجابا
لقد طابت سجاياهم وطابا
وسهل منه للناس الحسابا
وليس يسد عن عافيه بابا
يقول من الردى ظفراً ونابا
تري الغزلان لا تخشى الذئابا
وقد بليت وألخت الترابا
وكف الجور تستلب استلابا
فجدت له بعفوك حين تابا
فكانت رحمة دفعت عذابا
دعوت السعد فيه فاستجابا
بأفئدة الكماة وما استرابا
وحكمه اضطبارا واحتسابا

(١) في ب « يلوموني العواذل » وفيه إلحاق علامة الجمع في الفعل المسند إلى الظاهر ، على لغة « أكلوهم البراغيث » وفيه — مع ذلك — حذف نون الرفع لغير ناصب أوجازم ، وما أثبتناه موافق لما في خ

وهل عذر لعاذر ليث غاب
 فلولا سُنَّةُ حَكَمْتِ وَهَدَى
 لَحَامَتِ عَصْبَةُ الْأَنْصَارِ عَنْهُ
 مِنَ الصَّيْدِ الَّذِينَ لَهُمْ نَفُوسٌ
 تَنْبِيرُ اللَّيْلِ أَوْجُهُهُمْ إِذَا مَا
 دَعَوْتَ بِهِ الْأَيَّامُ لِيَوْمِ حَشَرٍ
 رَأَوْا مِنْ زَخْرَفِ الدُّنْيَا مَقَامَا
 وَأَبْهَتَهُمْ فَمَا عَاطَوْا حَدِيثًا
 وَلَوْ مَكْتُوبًا بِهِ دَهْرًا طَوِيلًا
 وَطَارَدَتِ الصُّوَارُ بِكُلِّ ضَارٍ
 ضَرَبَتْ بِهِ عَلَى الْأَذَانِ مِنْهَا
 وَمَعْصُوبِ الْجَبِينِ بِتَاجِ رُوقٍ
 تَعَرَّفَ أَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ ثُورًا
 وَكَلَّتْ بِهِ هَضِيمُ الْكَشْحِ أَجْنَى
 تَبَاعَدَ مَجْمَعُ الشُّدْقَيْنِ مِنْهُ
 فَاقْبَثَتْهُ كَوْخَى الطَّرْفِ حَتَّى
 وَصَّاحَ بِهِ الصُّوَارُ وَقَدْ رَأَى
 (فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ تَمِيرٍ
 وَأَرْسَلْتَ الْجِيَادَ إِلَى اسْتِبَاقِ
 فَمِنْ وَرَدَ أَقْبَى وَمِنْ كَمَيْتٍ
 وَسَاقِيَةِ الْعِمَادِ إِذَا أَطْلَتْ

أَظُنُّ فَوَّادَهُ وَالْعَقْلُ غَابَا
 أَصَبْتُ وَقَدْ سَلَكَتُ بِهِ الصَّوَابَا
 بِأَسْيَافٍ تَقْدُّ بِهَا الرِّقَابَا
 لَغَيْرِ الْفَخْرِ لَا تَصِلُ الطَّلَابَا
 أَرَادُوا السَّيْرَ أَوْ حَمُّوا الرِّكَابَا
 وَلَمْ تَدْخُرْ لَهُمْ إِلَّا الثَّوَابَا
 يَذْكُرُ بِالْجَنَانِ لِمَنْ أَنَابَا
 وَلَا عَرَفُوا السُّؤَالَ وَلَا الْجَوَابَا
 لَمَّا ذَكَرُوا الطَّعَامَ وَلَا الشَّرَابَا
 كَمَا اتَّبَعْتَ غَفْرِيَةً شَهَابَا
 فَلَمْ تَسْطِعْ حَرَاكَ وَاضْطَرَابَا
 يَرُوعُ خَوَارُهُ الْأَسَدَ الْغَضَابَا ^(١)
 فَرَامَ بَأْسَ يَشْقٍ لَهُ التَّرَابَا
 حَدِيدَ النَّابِ تَحْسِبُهَا حَرَابَا ^(٢)
 وَسَالَ الْمَوْتُ بَيْنَهُمَا لَعَابَا
 تَوَثَّقَ مِنْهُ جَازِرُهُ غَلَابَا
 حَبِيسُ الْكَلْبِ قَدْ مَنَعَ الْإِيَابَا
 فَلَا كَعْبًا بَلَغَتْ وَلَا كَلَابَا
 كَأَنَّ بَوَارِقًا شَقَّتْ سَحَابَا
 وَأَشْهَبَ يَلْهَبُ الْأَرْضَ التَّهَابَا
 إِلَى الْأَدْوَاكِ تَنْسَابُ انْسِيَابَا

(١) الروق : القرن ، والحوار — بضم الحاء ، بزنة القرباب — صوت البقر

(٢) الأجنى : الذى ذهب قرناه أخرا ، وأصله أجتأ بالهمز

تحوم بها العصي فَرَّاشَ لَيْلٍ تروم بسمعه منه اقتربا
 تحف بها خيول القوم منا فترسل نحوها الجُرْدَ العرابا
 عجائب أبدعت عليك فيها ومثلك يبدع الأمر العجبا
 محمد لا عدمت الدهر حمدا فقد أحسنت في الملك المنايا
 وزكى نفسك الرحمن لما رآك ملكك للعبد النصبا
 تداركت البلاد ومن عليها فأمنت التنائف والشعابا^(١)
 لقد أوليتنا بيض الأيادي لقد طوّقتنا المنن الرغابا^(٢)
 روت عنك العوالى فى المعالى حديث الفخر حق لا انتسابا
 ستفتح من بلاد الشرك أرضا قد اعتملت عقائلها اغتصابا
 وتعمل فى العدا بيض المواضى إلى أن ينكر السيف القربا
 فما كأس من الصهباء صرف تعيد الشيخ من طرب شبابا
 وطاف بها من الرهبان بدر يهتك من دجى الليل الحجابا
 تجد الأنس عودا بعد بدء وربع الهم تتركه خرابا
 بأعذب من ثنائك حين يطوى به الركب الأباطح والهضابا
 أمولاي استمعها بنت فكر تحيرها فأبرزها لبابا
 وغاص على فرائدها العوالى وشق على نفائسها العبابا
 وهناك الإله بكل نعمى تقود لك الأمانى الصوابا
 ودمت لعزة الإسلام ركنا إلى أن يشمل الشيب الغرابا
 وقال ، وقد أنشدها السلطان ليلة الميلاد عام خمسة وستين وسبعائة :

نفس الصبّا أهدي إلى نسيما قد رام ممتنعا ورام عظيما

(١) التنائف : جمع تنوفة - بفتح التاء - وهى الصحراء

(٢) الرغاب : جمع رغبة ، وهى الواسعة

ياهل يبلغني السرى خير الورى فأرى معاهد للهوى ورسومها
 وأسابق الركبان فوق نجبية تقرى من اليد العراض أديما^(١)
 وأحط رحلى فى كريم جواره أرجو نعيما فى الجنان مقيا
 حتى إذا بلغوا الذى قد أملوا ورأوا مقاما بالرضا موسوما
 وتزاحوا فى الترب يستلمونه أرايت فى الورد الظاء إلهيا^(٢)
 قبلت ذاك الترب من شوقى إلى من حله وأقت فيه لزيما
 وبكيت من دمع المآقى زمزما وتركت جسمى كالخطيم خطيما
 صلى عليه الله ما هبت صبا تهدى من الطيب الذكى شميا
 لله مولده الذى أنواره صدعت ظلاما للضلال بهيما
 شرعت من التأيد سيف هداية أردت ظباه فارسا والروما
 كسر الأكراس بالعرء ولم يدع أن رد قيصر فاصرا مهزوما
 لله منها ليلة أضجى بها شمل الهدى لأولى الهدى منظوما
 أبدا أمير المسلمين أعدها بدعا من القصر الكريم جسيما
 ملك أقام الله منه خلقه مولى رؤفا بالعباد رحيا
 يحمى ذمار المسلمين من الردى ويبيح ربعا للعدا وحرما
 بمحمد قد عاد دين محمد غض الرياض وكان قبل هشيا
 أحيا به الله الخلافة بعدما كانت بأطباق التراب رميا
 من آل سعد الخزرج بن عبادة طابوا فروعا فى العلا وأروما
 تلقاه فى يوم الكريهة والوغى وانخيل عاسة أغر وسما
 وتخال كفيه إذا شحّ الحيا أفقا بعامية الغيوث غيوما

(١) النجبية : الناقة السريعة ، وتقرى : تقطع ، واليد : الصحاري ، واحدا

بيداء ، والأديم : وجه الأرض

(٢) الهيم : جمع هيماء ، وهى الشديدة العطش

تأبى خلال العدل والشيم العلا من أن يرى في دهره مظلوما
كهف العباد وغرها وثناؤه ترك المديح على الطروس رقيما
لا زال يلقي العيش طلقاً والعلا مرقى وصرف الحادثات خديما
ما اهتز غصن في الحديقة ناعم لما أحسَّ من الشمال شميما
مولده بغرناطة ، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين وسبعائه .
انتهى .

ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ولده عبد الله المذكور مافي «النفاضة»
من قوله : أنشدت ابني عبد الله وقد وصل لزيارتي من الباب السلطاني حيث جرايته
ووظيفته ، وانجز حديث ما نقد بغرناطة في شجون الكلام :

يا بني عبد الإله احسبا عن أناث ومنزل وعقار
كيف يأسى على خسارة جزء من يرى الكل في سبيل الخصار^(١)
اهدَفْ لانتِي سهام الليالى عن سباق تجاهه وبدار^(٢)
واحد طائش وسهم مصيب ليس ينجى منها اشتمال حذار
غير ذى الدار صرف الهم فيها فمناخ الرحيل ليس بدار
وقال أيضا رحمه الله تعالى : مما أنشدته ولدى عبد الله ، وأمرته بحفظه والتأدب
به واللهج بحكمته :

إذا ذهبتَ يمينك لا تُصَيِّع يسارك في البكاء ولا المصيبة
ويُسْرَاك اغتمم فالقوس ترمى وما تدرى أرشقتها قريبه
وما بغريبة نوب الليالى ولكن النجاة هي الغريبة

قال : ومن المنظوم في قريب من هذا قولي :

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر دهيت فدلوني لمن برفع الأمر

(١) يأسى : يحزن (٢) لانتى : لا تفتر ولا تضعف ، والبدار : المبادرة والمصارعة

تشاغل بال الدنيا ونمت منوطاً وفي شغلي أو نومي سرق العمر
وقال رحمه الله تعالى : ومما قلته وقد انصرف غنى الولد عبد الله إلى مدينة فاس
لإقامة رسمه من الخدمة ، وأشجاني انصرافه لوقوع قرحه على قرح ، والله المستعان :
بان يوم الخميس قرّة عيني حسبي الله أي موقف بين (١)
لوجني موقف النوى حين حيّا حان يوم الوداع والله حيني (٢)
ضايقتني صروف هذى الليالي وأطالت همي وألوت بديني (٣)
وطن نازح وشمل شتيت كيف يبقى مُعَذَّب بعد ذن
يا إلهي أدرك بطفك ضعفي إن ما أشتكيه ليس بهين
وقال رحمه الله تعالى : أشدت يوما ولدى عبد الله وقد رأيت منه نشاطاً ومرحاً
انتقل مني إليه بعد السن :

سرق الدهر شبابي من يدي وفؤادي مُشعر بالكمد
جملة الأمر إذا أبصرته باع ما أفقدني من ولدي
وقد سبق هذان البيتان عند ذكر بعض نظم لسان الدين رحمه الله تعالى .

وأما علي بن لسان الدين رحمه الله تعالى فهو شاعر البيت بعد أبيه النبيه ،
وكان مُصاحباً للسلطان أحمد المريني المستنصر بالله ابن السلطان أبي سالم ابن السلطان
أبي الحسن المريني ، رحمهم الله تعالى ! .

وحكي بعضهم أنه حضر معه في بستان ، سحّ فيه ماء المذاكرة الهتان ، وقد
أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزعج النهار لما قدم الليل على الفرار ، فقال
للمستنصر لما لان جانبه ، وسالت بين مراحات البستان جداوله ومدّانه (٤) :

يا فاس إني وأيم الله ذو شغف في كل ربع به مغناه يسيني

(١) بان : بعد ، والبين : البعد (٢) حان : قرب ، والحين : الهلاك

(٣) لواه بدينه ، وألواه : مطله

(٤) المذائب : جمع مذنب — بزنة منبر — وهو سيل الماء إلى الأرض

(١١ — ضح ١٠)

وقد أنست بقرب منك يا أملي ونظرة فيكم بالأنس تحييني

فأجابه أبو الحسن علي بن الخطيب ، بقوله المصيب :

لا أوحش الله ربعا أنت زائر يا بهجة الملك والدنيا مع الدين

يا أحمد الحمد ، أبقاك الإله لنا فخر الملوك وسلطان السلاطين

وقد رحل رحمه الله تعالى إلى مصر ، ولم يحضرني الآن من أحواله بعد دخوله مصر ما أعول عليه ، وقد كان وقف بالقاهرة على نسخة « الإحاطة » التي وجهها أبوه إلى مصر ووقفها بخانقاه سعيد السعداء كما أشرنا إليه فيما مر ، فكتب بالخواشي كتابات مفيدة ، وقد ذكرنا بعضها فيما أسلفناه من هذا الكتاب ، فليراجع : إما تكميل لما أغفله أبوه ، وإما إخبار عما شاهده هو ، أو رواية له عن المترجم به ، أو جواب عن أبيه فيما انتقد عليه ، ولنذكر شيئا منها غير ما تقدم بعد إيراد نص « الإحاطة » فنقول :

تذييلات له
على كتاب
« الإحاطة »

قال في الإحاطة في حرف الميم في ترجمة شمس الدين الهواري الضرير شارح ألفية ابن مالك وصاحب البديعية المشهورة بالأعشى والبصير ، ما صورته :

محمد بن أحمد بن علي الهواري ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر ، من أهل المرية .

من ترجمة
محمد بن أحمد
الهواري
(ابن جابر)

حاله - رجل كفيف البصر ، مدل على الشعر ، عظيم الكفاية والمنة على زمانته رحل إلى المشرق ، وتظاهر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري ، صار روحين في جسد ، ووقع الشعر منهما بين لحيتي أسد^(١) ، وشمرا العلم وطلبه^(٢) ، فكان وظيفة الكفيف النظم ، ووظيفة البصير الكتب ، وانقطع الآن خبرهما . انتهى .

فكتب المذكور على أول الترجمة ما صورته : نعم الرجل ورفيقه أبو جعفر ،

(١) كذا في خ ، ووقع في ب « وقع الشعر منهما بين نجيع أسد » تحريف

(٢) شمرا العلم : اجتهدا فيه

أحسن الله تعالى إليهما ، فلقد أحسنا الصعبة ، في العربة ، وانفردا بالنزاهة والفضل وعلو الهمة ، إلا أن المصنف قصرَ فيهما بعض قصور ، ومنها يُطلب الإغضاء والصفح ، فالرجل مات ، وذكرُ الأموات بالخير مشروع ، وهما والله الشرف الباهر بقطرهما علماً وعملاً ، أمتع الله تعالى بهما ! قاله ولد المؤلف على بن الخطيب بالقاهرة ، انتهى .

وكتب على قول أبيه « وانقطع الآن خبرهما » ما نصه : هما الآن بالبيرة من حلب ، تحت إنعام ولطف ، تحت إليهما الرواحل ، وتضرب إليهما آباط النُجُب ، انتهى .

رجع لتكميل ترجمة الشمس ابن جابر من « الإحاطة »
قال لسان الدين بعد ما مضى ما نصه : وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : محسوب من طلبتها الجليلة ، ومعدود فيمن طلع بأفقها من الأهلة ، رحل إلى المشرق وقد أصيب ببصره ، واستهان في جنب الإفادة بمشقة سفره ، على بيان عذره ، ووضوح ضره .

شعره — وشعره كثير ، فمنه قوله :

سلاوا حسن ذلك الخال في صفحة الخد
وقولوا لذلك الثغر في ذلك اللبى
ومن هز غصن القدم منها لفتنتي
ومن متع القضب اللدان بوصفها
فتاة تفت القلب متى بمقلة
تمنيت أن تهدي إلى نهودها
فقلت الأرمئان بدّ من الجنى
فناهت وقالت : بالوا حظ لا الأيدي

متى رَقُوا بالمسك في ناعم الورد
متى كان شأن الدر يوجد في الشهد
وأودع رمانتي ذلك النهدي
إلى أن أعز الحسن من ذلك القد
لها رقة الغزلان في سطوة الأسد^(١)
فقال رأيت البدر يهداه أو يهدى
فناهت وقالت : بالوا حظ لا الأيدي

فقلت أليس القلب عندك حاصلًا فقلت أليس القلب عندك حاصلًا
 فقلت اجعليني من عبيدك في الهوى فقلت كفاني كم لحسن من عبد
 إذا شئت أن أرضاك عبدًا فمتَّ جَوَى ولا تشتكي واصبر على ألم الصد
 ألم تر أن النحل يُحمَلُ ضرها لأجل الذي تجنيه من خالص الشهد
 كذلك بذل النفس سهل لدى النهي لما يكسب الإنسان من شرف الحمد
 ألتست ترى كف ابن جانة طالما أضاع كريم المال في طلب المجد^(١)
 وكتب ابن المؤلف على هذه القصيدة ما صورته : عارضة قوية ، وزعة خفاجية ،
 وكيف لا والشيخ أبو عبد الله صدر صدور الأندلس علماً ونظماً ونحواً ، زاده
 الله تعالى من فضله ! انتهى .

رجع إلى الترجمة — قال لسان الدين : وقال ، يعني ابن جابر :

عرج على بان العذيب ونادى وأنشد فديتك أين حل فؤادى^(٢)
 وإذا مررت على المنازل بالحمى فاشرح هنالك لوعتي وسهادى
 إيه فديتك يا نسيمة خبرى كيف الأحبة والحمى والوادي
 يا سعد ، قد بان العذيب وبأنه فانزل فديتك قد بدا إسعادى
 خذ في البشارة مُهَجَّتِي يوما إذا بآن العذيب ونور حسن سعاد
 قد صبح عيدي يوم أبصرُ حسنها وكذا الهلال علامة الأعياد
 ومما نقلته من جزء قيده لى صاحبنا الفقيه الأستاذ أبو على الزواوى مما ادعاه لنفسه :

على لكل ذى كرم ذمام ولى بمدارك المجد اهتمام
 وأحسن ما لدى لقاء حر وصحبة معشر بالمجد هاموا
 وإني حين أنسب من أناس على قمم النجوم لهم مقام

(١) في خ « أضاع كريم المال في طلب الحمد » فتكرر القافية

(٢) انشد : من قولهم « نشد فلان الضالة » أي طلبها

يميل بهم إلى الجحد ارتياح كما مالت بشاربها المدام
هُمُ لبسوا أديم الليل بردا لبُسُفر عن أديمهم الظلام
هُمُ جعلوا متون العيس أرضا فذ عزموا الرحيل فقد أقاموا^(١)
فن كل البلاد لنا ارتحال وفي كل البلاد لنا مقام
وحول موارد العلياء منا لنا مع كل ذى شرف زحام
تصيب سهُامُنا غرضَ المعالي إذا ضلت عن الغرض السهام
وليس لنا من الجحد اقتناع ولو أن النجوم لنا خيام

ثم سرد لسان الدين القصيدة بتمامها ، وذكر بعد ما سبق اثنين وستين بيتا ، ولم نثبتها لطولها ، ثم قال بعدها : نجزت وما كادت ، ثم قال بعدها أيضا : وقد وطأ لإمطاء قروحها ، وأعيا لإكثار سروحها ، ثم قال بعده : والله ولي النجاة بفضلها ، انتهى .

وكتب ابنه على أول القصيدة وهو : * على لكل ذى كرم ذمام * مانضه : نزعته معرية ، قاله ابن المؤلف ، رحمه الله تعالى ! . انتهى .

وكتب الشيخ ابن مرزوق على قوله « نجزت إلى آخره » ماصورته : ما أنصف المصنفُ هذا الفاضل في ترجمته ، وقدره شهير ، ومكانه من الفضيلة كبير ، وعلمه غزير ، ولعله لم يطلع إلا على ما أودعه .

وكتب إثره ابنُ لسان الدين ما صورته : نعم ياسيدي أبا عبد الله ابن مرزوق لم ينصف المترجم به المؤلف ، ولولا أنهما بالحياة ما صدر منكم التنبيه ، ولو حصلا تحت الصفيح لم تُعمِلوا فيهما قلما ، هكذا شأن الدنيا بقلّة الوفاء شنشنة معروفة ، والحقّد على الأموات شأن المغاربة ، قاله على ابن المصنف رحمه الله تعالى ! انتهى .

(١) العيس : الإبل ، ومتونها : ظهورها ، يريد أنهم ملازمون للسفر مقيمون

على ظهور الإبل لا يفارقونها

ولا خفاء أن لسان الدين لم يستوف حقوق الشمس ابن جابر الهواري المذكور مع أن له محاسن جمة .

ومن محاسنه رحمه الله تعالى :

هناؤكم يا أهل طيبة قد حَقَّ
فلا يتحرك ساكن منكم إلى
فكم ملك رام الوصول لمثل ما
فبشراكم نلتُم عناية ربكم
ترون رسول الله في كل ساعة
منى جثمت لا يعلق الباب دونكم
فيسمع شكواكم ويكشف ضرركم
بطيبة مثواكم وأكرم مرسل
فكم نعمة الله فيها عليكم
أمنتم من الدجال فيها فحولها
كذلك من الطاعون أتم بآمن
فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم
حياة وموتاً تحت رحمة أتم
فيا راحلاً عنها لدنيا يريدُها
أُخرج عن حرز النبي وحوزه
لئن سرت تبغى من كريم إعانة
هو الرزق مقسوم فليس بزائل

فبالقرب من خير الوري حُزتمُ السبقا
سواها وإن جار الزمان وإن شقا
وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فها أتم في بحر نعمته غرق
ومن يرّه فهو السعيد به حقا
وباب ذوى الإحسان لا يقبل الغلقا
ولا يمنع الإحسان حرا ولا رفا^(١)
يلاحظكم فالدهر يجري لكم دقا
فشكراء وشكر الله بالشكر يُستبقي
ملائكة يحمون من دونها الطرقا^(٢)
فوجه الليالى لا يزال لكم طلقا
وإن جاءت الدنيا ومرت فلا فرقاً
وحشراً فستر الجاه فوقكم ملقى
أطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
إلى غيره ؟ تسفيهه مثلك قد حقا
فأكرم من خير البرية ما تلقى
ولو سرت حتى كدت تحترق الأفقا

(١) الرق : العبودية ، وأراد به الرقيق : من إطلاق المصدر وإرادة الوصف

(٢) أشار بهذا البيت وما بعده إلى ماروى في فضائل المدينة — على ساكنها

الصلاة والسلام ! — من أن الدجال لا يدخلها والطاعون لا يحل بها .

فكم قاعد قد وسَّعَ اللهُ رزقه ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعرش في حمى خير الانام ومث به إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى
إذا قتت فيما بين قبر ومنبر بطيبة فاعرف أين منزلك الأرقى
لقد أسعد الرحمن جار محمد ومن جار في ترحاله فهو الأشقى

ومن محاسنه رحمه الله تعالى المقصورة الفريدة ، وهى قوله :

بادرَ قلبي للهوى وما ارتأى لما رأى من حسننها ما قد رأى
فقرّب الوجْدُ قلبي حبها وكان قلبي قبل هذا قد نأى
يا أيها العاذل في حبي لها أقصر فلى سمع عن العذل بآى^(١)
لو أبصر العاذل منها لحمة^(٢) مافض باب عدّله ولا فآى^(٣)
سرحت طرفى طالبا شأوا العلا وتابعا فى حبها ما قد شأى
إنى لأرعاها على تنبيعهما عهدى ، ومثلى من وفى إذا وأى^(٤)
من منصفى من شادن لم أرجه لحاجة من وصله إلا زأى^(٥)
وإن قبضت النفس عن سلوانه مدّ أديم حجره لى وسأى^(٦)
لأقطعن البيد أفرى حاذها بضامر يفرى الحصا إذا جأى^(٧)
حتى أزور ربة الخدر وقد ذاد الكرى عنى الوشاة وذأى^(٨)
ياربّ ليل قد تعاطينا به حديث أنس مثل أزهار الربا
فى روضة تعانقت أغصانها إذ واصلت ما بينها ريح الصبا
نادمت فيها من بنى الحسن رشاً يصبو له من لم يكن قط صبا
حلو رخيم الدلّ فى أعطافه لين وفى ألحظه لين القلبيا
أيام كان العيش غضا حسنه عذب الجنى ريان من ماء الصبا

(١) بأى : ترفع . (٢) فأى : فتح . (٣) وأى : وعد

(٤) زأى : تكبر . (٥) سأى : عدا وأسرع فى سيره

(٦) جأى الفرس : اغبر فى حمرة . (٧) ذأى : طرد وساق

أى زمانٍ ومحل للمنى ما ضاق مغناه بنا ولا بنا
 يا مَرَبَعًا ما بين نجد والحى ويا زمانا قد حبانى ماحبا
 الله يرعاه زمانا لم يحلُ عن بذل ما نأمله ولا أبى
 فأى مَعْنَى أهل يممته لتقصّد حلت لنا فيه الحبّا
 هل ترجع الأيام عيشا باللوى فراقه كان اللهم الأربى
 تالله لا أعبا بعيش قد مضى ولا زمان قد تعدى وعتا
 مذ علقت كفى بالهادى الذى ساد الورى طفلا وكهلا وفقى
 كالبحر لا يغيض يوما ورده لوارد إذا أضاف أو شتا
 متصل البر لمن قد أمه لا يكره العودة بمن قد أتى
 ولا ينفاجى نفسه فى ضيقة أى نهار سر هذا ومتى
 إن رسول الله مصباحٌ هُدى يهدى به من فى دجى الليل متا^(١)
 كف بنى الجور بعدل واضح كما تكف اليد كفاً من فتى
 كم ذو هوى قد راضه بهديه فانقصد كالعبد إذا العبد قتا^(٢)
 قد خالط الحلم سجايا طبعه كمثل ماقد خالط الثوب السقا^(٣)
 أقسمت لا زلت أولى مدحهُ ما اشتد بالناس زمان ورتا^(٤)
 لولا اشتياقى لديار كرمتم لبعدها يرئى لنا من قدرئى
 ومدح من أرجو بأمداحى له إصلاح ما قد عاث منى وعنا^(٥)
 لم أجعل الشعر لنفسى خلة ولم يحش فكرى به ولا غنى^(٦)
 فما أرى الأيام تبدى منصفاً ولو حكمت الدر من حسن النثا^(٧)
 يا ضيعة الأبواب فى دهر غدا فيه فتيت المسك يعاوه الخنى

(١) متا : مشى ، والمستعمل أمتى (٢) قتا : خدم

(٣) السقا : سدى الثوب (٤) رتا : اشتد (٥) عنا : أفسد كعاث

(٦) غنى الوادى — كرمى — كثر فيه الغناء (٧) النثا : الثناء

- يا ويلَ أمِّ ليس تزجى ضيمها
هل مارست إلا أخا عزم إذا
تسيل من جهد السرى أعطافه
له اعتصام بالرسول المجتبى
من ليس للدينيا محل عنده
أنا الفتى لا يطبيني طمع
لكن إذا اضطر زمان جائر
لا أسأل النذل ولو أنى به
حسبى بنو عبد مناف بهم
أولئك القوم الألى من أمهم
يلقاك منهم كل وجه مشرق
إنى منذ أملتهم لم يثنى
إن أنا قد نكرنى دهر عدا
يطوى العدا ذكرى ومجدى ناشرا
أنا الذى أعلمت للمجد السرى
كم سرت فى البيداء لا يقلقى
أرسلها غر الذرا تسرى بنا
يطيح مفتوت الحصا من دونها
فكم بذتُ الجهد فى كسب العلا
أرغم أعداى بحزم نافذ
- مثلى بما تبديه من منع الحشا^(١)
ما قعد الناس عن الخطب جشا
كمثل ما سال من الدوح اللتى^(٢)
أجود من أضفى العطايا وحشا
ولا ينيل المال إلا بالحشا
فأبذل الوجه لنيل يرتجى
أملت من ليس يرؤد من رجا
أملك ما حاز الهار والدجا
يغنى من استغنى وينجمون نجا
أمن ممن لام يوما وهجا
كأنه البدر إذا الليل سجا
عن طلب المجد زمان قد شجا^(٣)
فطلما عرفنى فضلُ الحجا^(٤)
آليت لازال لهم منى شجا
لأسام الأين ولا أشكو الوجى^(٥)
حرُّ الهجير لا ولا برد الضحا
كل عو يص السير صعب المفتى
كأنه سهمٌ عن القوس طحا^(٦)
وجدت بالنفس لحانى من لحا^(٧)
يعرِّكهم عرِّك الثقال بالرحا^(٨)

(١) الحشا : التراب (٢) اللتا ، كالفتى ، ما يسقط من شجر السمرة .
(٣) شجا : أحزن (٤) الحجا : العقل (٥) الوجى : الحفا أو أشد منه
(٦) طحا : مال (٧) لحا : لام وعذل وسب (٨) الثقال : الجلد يوضع تحت الرحا

أزود عن عرضي وأحى حسبي
أقسم بالبيت ومن طاف به
وكل من أعمل الله الخطا
ومعشر تجؤا وعجبوا فلهم
لا زلت أزجيها لإدراك العلا
يا عجباً من حاسد لي قد زها
كأنني لم أعرف العز ولا
وإني الدهر له تقلب
إن الذي لا ينثنى عن جوده
خير الوري طراً من الله به
شرفه الله وحلى جيده
زيتنه تواضع على علأ
فكم حى بهديه وكم وقى
خلص من أسر الخطايا جاهه
خفف عنا ثقل ما نحملة
إن تحسب الرسل سماء قد بدت
وإن يكن كل كريم قد مضى
وإن يكونوا أنجما في فلك
واسطة السلاك إذا ما نظموا
كالبحر بل كالبدر جوداً وسنى

بكرم جزل وتجدي قد ضحا
ومن نحا وجهته فيمن نحا^(١)
محابها من الخطايا ما محا
بمرتقى المروة ذكر ووحي^(٢)
حتى ترى من جهدها مثل اللحا^(٣)
بعيشه الغض على وانتخى^(٤)
صاحبت دهرى في سرور ورخا
إن ارتخى شد وإن شد ارتخى
إن يخل الدهر لنا وإن سخا
أذهب عنا كل غنى فامتخى^(٥)
بجوهر من كل مجد موتخى^(٦)
فما ازدهى بعزة ولا نحا^(٧)
وكم أفاد آملا وكم نحا^(٨)
فما على قلب امرئ منها طخا^(٨)
فلم نبت من ثقله نشكو السخى
فإنه في أفقهها نجم هدى
طلا فقد أضحي لنا غيثاً جدأ
فإنه من بينهم بدر بدا
وملجأ القوم إذا الخطب عدا
فخبذا من اجتدى أو اقتدى

- (١) نحا : قصد (٢) الوحي ، كالفق : الكلام الخفى ، والإلهام ، مثل
الوحي بفتح فسكون (٣) اللحا : قشر الشجر ، وأصله المد ككساء
(٤) انتخى : افتخر ، ومثله نحا (٥) امتخى : بعد (٦) موتخى : مقصود
(٧) نحا : مدح (٨) الطخا : السحاب ، وأصله ممدود

أحسن أخلاقاً من الروض إذا ما اختال في برد الصبا وأارتدى
وساقط القطر عليه دمه فابتل برد الزهر منه وانتدى
تفديه نفسى من شفيع للورى وقلّت النفس له منى فدا
هو الذى أنعشنا من بعد ما قد بيس الغصن وأذواه الصدى^(١)
وكنّت في ليل الهوى ذا حيرة فجاء بالحق وأنجى وهدى
فكم كسا من ثوب نعمى قد ضفا وكم هدى بعلمه وكم غذا
من اقتدى بغيره فإنه لم يتبع سبل الهدى ولا حذا^(٢)
هل هى إلا سنة الحق التى أرشد من لاذها أو احتذى
كف اللسان وانبساط الكف بالخير وطيب الذكر عرف قد شذا
أحسن ما نال الفتى من كرم أن لا يرى من أجله من انتدى^(٣)
والصمت عما لا يفيد قوله من كلم يهذى به فيمن هدى
لا شيء كالصمت وقاراً للفتى يوما ولا أنجى له من الأذى
من عيبه يشغله عن غيره بات سليم العرض نقاح الشذا^(٤)
ومن يعب عيب ومن يحسن إذن لان له كل عصى وخذا^(٥)
ومن تكن دنياه أقصى همه لم يرو من ندى الحجا ولا اغتدى
لا تنفق العمر سوى في حب من هو الذى فى سن الحق جرى
يهديك من رشد ومجد واضح روضين من علم وذكر قد سرى
أجاد هديا وأفاد نائلا وجاد حتى عمم الجود الورى
ترى بنى الحاجات نحو بابه قد أعملوا العيس بحزن فى البرى^(٦)
لهم إلى رؤيته تشوق تشوق السارى إلى نار القرى

(١) الصدى : العطش (٢) حذا واحتذى : تبع (٣) اثندى : أودى
(٤) نقاح الشدى : عاطر الأريج (٥) خذا : استرخى (٦) البرى : التراب

ذا يبتغى علما وهذا نائلا
 كأنهم إذا رأوا غرته
 وجه لديه يحمد السير، كذا
 هذا إذا ما أخلف الناس وفى
 إذا شددت الكف فى أمر به
 أنهضنى بهديه إلى التقى
 هو الشفيع المجترى بجاهه
 مذزرت لم أشك من شخط النوى
 وما وجدت غربة ولم يجد
 متصل البشر غضوب للهدى
 أصبح من أيامه فى مامن
 تحذته كهفا فبت آمنا
 أدبنا بسنة أفلح من
 يجزى أخا الحسنى على إحسانه
 لست أجازى الشر بالشر، ولا
 لم تر عين كرسول الله ذا
 إذا ملأت الأمور أفلقت
 بخلقه فليقتد المرء فما
 كن حذرا وإن رأيت ثمرة
 لا تياسن إن تنامى أمل

وخائب من قصده ليس يرى
 وفد حجاج عاينوا أم القرى ^(١)
 عند الصباح يحمد القوم الشرى
 نأى المدى فى مجده سامى الذرا
 فليس بالوانى ولا الواهى العرا
 بعد قصور العزم والباع الوزى ^(٢)
 بمثل ذاك الجاه حقا يجترى ^(٣)
 إذ كان لى فيه غنى ومجترى
 مس اغتراب من إلى الجود اعترى ^(٤)
 إذا رأى من زاع عنه أوزا ^(٥)
 من قد لجأ يوما إليه أو رزى ^(٦)
 جزاه رب العرش خير ماجزى
 نعى إليها النفس يوما أو عزا
 شكر امرئ راض الأمور وحزى
 أغزو لناوى السوء مثل ماغزا
 حزم ، ولا أحلم إن دهر غزا
 ألقىته كأنه طود رسا
 أكرمها من مقتدى ومؤسى
 فثلها توقد جمره الأسا
 وكلما عشا زمان قد عسا

(١) أم القرى : مكة (٢) الوزى : القصير

(٣) المجترى : المكتفى ، وأصله المجترأ بالهمز (٤) اعترى : انتسب

(٥) نزا : وثب (٦) رزى - كرمى - قبل البر

وإن بدا صبح المشيب فاطرح
ولا تظن الشيب يرجى طبه
إذا الفتى قوس واعتد العصا
فأذكر زمان الشيب في حال الصبا
ما أقبح اللهو على المرء إذا
لا تحسب الراحة راحا قرّفا
إذا أداروها وقد جن الدجى
قد حجبت في دنها دهرها إلى
لم يبق من جوهرها إلا أسى
كأنها والكأس قد خفّت بها
يديرها مختلف الحسن إذا
يحكى القطا والطّي والغصن إذا
وإنما الراحة زهد المرء في
والجد إيقادك نيران القرى
والجود أن تعطى قباء للندى
خاب امرؤ لم ير أرضا حلّها
أرسله الله هدى ورحمة
وخلص الأنفس من أسرهاوى
ذوراة تلقاه يوم العرض قد
صلى عليك الله يامن جَاهُهُ

ما كان إذ ليل الشباب قد غسا^(١)
بزور صيغ أو مدام يحشى^(٢)
لقوسه عن وتر أعيا الأسا^(٣)
عسى يلين للثقى قلب قسا
ما اشتعل الرأس مشيبا واكنسى
للشرب منها قبس ومنشى
وشى بهم نيرها فيمن وشى
أن برزت كأنها صبح فشا
ينشى أفراس الفتى إذا انتشى
متيم أصبح مضروم الحشى
أقبل بدر وإذا تاه رشا
ما قد ثنى أو تجنى أو مشى
أعراض دنيا تورث العين غشا
يعشوها في الأزمات من عشا
لا لافتخار أو لجاء يحشى^(٤)
من اصطفى رب السماء وافتصى^(٥)
أوصى ووالى الخير فينا ووصى
في يوم هول فاز فيه من فصى^(٥)
مال بنا عن الجحيم ومصى
يوم الحساب ملجأ لمن عصى

(١) غسى : أظلم ، والمشهور أنه من باب رضى

(٢) يحشى : يشرب (٣) الأساة : الأطباء ، جمع آس ، وحذف التاء

(٤) افتصى : خلصه ، والمستعمل في هذا المعنى فضاء تفصية

(٥) فصى : تخلص من الشر

يا من جرى من كفه الماء ومن
 بك اعتصامى يوم يدنو من دنا
 هل غير إحسانك يرجو مذنب
 يا مَنْ سَمَا في يوم بدر بدره
 أحصاهم رب السماء عددا
 يا مجتبي من خير قوم حسبا
 يا من تدانى قاب قوسين ومن
 ومن أنى والناس من ظلمهم
 فكان كالصبح جلا جناح الدجى
 رضيت للإرسال إذ آدم يمين
 اختارك الله رسولا هاديا
 يا أكرم الناس على من قد جنى
 يا مصغر الألف إذا ما جاد أو
 يا ناصحا أحكم تشييد الهدى
 يا مضافيا للناس ظل رحمة
 ادفع الشر بحسنى فإذا
 وأنف لنفس كرهت أعمالها
 إن يدرك الهوى الفتى في بيته
 وإن خيرا من صديق سيء
 ولا ترؤم ما لا تطيق نيله
 فحجلة الخلية شرر ممتطى (١)

(١) انتصى : كأنه أخذ بناصيته (٢) نضا السيف : أخرجه من غمده

(٣) ممتطى : مركوب ، امتطاء بمتطيه : ركه

وبت من الدنيا مبات خائف فليلي عذوات وسطاً
 وخلصها عنك ولا تعباً بها تبوأ الكثير منها وعطاً
 وجنب الحرص تعش ذا عزة أفلح من إن شدة الحرص نطاً^(١)
 ولا تجد للنفس حظاً وأطرح من امتطى الكبر فبئس ما امتطى
 لا تطرين صاحباً بغير ما فيه فإطراء القتي كسر المطأ^(٢)
 لا يحسن المدح سوى لمن يرى مادحه بمدحه قد احتطى
 خير عباد الله ذو العز الذي لظله يأوى الشريف والشطي^(٣)
 كم آمن ببابه وقبل أن يلقاه لاقى ما عجباً وما عظاً^(٤)
 أصبح من حرمة في حرم يرفل في ظل هبات وحطاً
 في منزل سيان فيه ربه وضيئه فيما اقتنى وما حظاً
 إن رسول الله غيث واكف إذا لهيب الضيف داج والتظي
 إذا أعد للمؤمن القرى لم يدخر عن ضيفه ولا حظاً
 لما علمت جوده الجزل وما هناك من علم وحلم وبظاً
 يعمته فوق طير ضامر منتظم الأعضاء مأموم الشظا^(٥)
 ليس يمس الأرض من سرعته كأنما يخشى بها مس اللفي
 يأموسع الألف بصاع شبعاً ومن مشى الدوح إليه وسعى
 وأخصب الضرع بلس كفه وبادر المزب له لما دعا
 وسلم الظبي عليه كراماً وكلم الميت فقام ورعى
 واستشهد الضب فحيا معلنا بصدقه ومثبنا لما ادعى
 إليك أعملت المطايا في القلا تنساب ما بين أراك ولعا

(١) نطا : أعطى وجاد ، كأنطى (٢) المطا : الظهر

(٣) الشطي : أتباع القوم والدخلاء عليهم

(٤) عجاظاه : فتحة ، وعجا وجهه : زواه وأماله ، وعظاه : ساءه

(٥) الشظا : عظيم لازق بالركبة أو بالذراع ، أو عصب صغير

مسرعا جَاهَكَ عَلَيَّ فِي غَدٍ
 أَزْكِي صَلَاةً وَسَلَامًا أَبَدًا
 وَسَبِّحِ الرَّعْدُ بِحَمْدٍ مِنْ سَقَى
 فَاشْتَمَلَتْ بِالنَّوْرِ كُلَّ فِدْفِدٍ
 وَبَاكَرَ الْبَيْدَاءُ غَيْثٌ مُسْبِلٌ
 وَدُقْ سَحَابٌ تَحْسِبُ الْبَرْقَ بِهِ
 وَاخْضَرَّتِ الدُّوْحُ وَمَدَّتْ قُضْبَهَا
 وَسَاقَطَتْ لَهَا السَّحَابُ حَمَلَهَا
 تَرَى خَرِيرَ الْمَاءِ فِي قَصِيْبِهِ
 فَسَكَنَ الْقَيْظُ لَهَيْبِ حَرِهِ
 غَيْثٌ حَمَى الرَّمْضَاءَ عَنَّا مِثْلَ مَا
 نَاهٍ عَنِ الْفَحْشَاءِ دَاعٍ لِلْهَدَى
 هَذَا إِذَا اسْتَكْفَيْتَ فِي أَمْرٍ بِهِ
 تَهْفُو بِهِ رِيحُ الْعَلَا إِلَى النَّدَى
 مَحْيَى الْهَدَى وَالْعَدْلُ فِي زَمَانِهِ
 أَخْفَى الْهَدَى قَوْمٌ فَأُضْحَى وَهُوَ قَدْ
 إِنْ يَقْضَى يَعْدِلُ أَوْ مَتَى يُسْأَلُ يَهْبُ
 وَإِنْ يَجْذُ يُجْزَلُ وَإِنْ جَادَ يُعْدُ
 بِحَرْطَمًا ، بِدَرْسَمًا ، غَضِبَ حَمَى ،
 لِمَجْدٍ أَوْ مَقْتَدٍ أَوْ مَعْتَدٍ

أكون ممن قد أجار ورعى
 عليك ما ارتاح الظليم وارعى
 صَوْبَ الْحَيَا فَقَالَ لِلْأَرْضِ لَهَا
 لَمْ يَكْ لِلْسَارِحِ فِيهِ مَرْتَعَى
 فَأَخْلَفَ النَّبْتَ الْهَشِيمَ وَرَعَى
 أَسِنَّةً قَدْ أَشْرَعَتْ يَوْمَ وَغَى
 فَبَيْنَهَا حَسَنَ التَّنَامِ وَصَفَاً^(١)
 إِذْ خَوَّفَ الرَّعْدُ تَسَاقُطَ الْفَعَا^(٢)
 كَأَنَّهُ مَيِّتٌ ذَوْدٌ قَدْ رَغَا^(٣)
 وَفَرَّ لَمَّا أَنْ رَأَى الْمَاءَ طَفَا
 حَمَى رَسُولَ اللَّهِ جَوْرَ مَنْ بَغَى
 وَلَمْ يَفِهِ بِيَاطُلٌ وَلَا لَفَاً^(٤)
 أَجْدَاكَ فِيمَا تَنْتَحِيهِ وَكُنْفَى^(٥)
 كَأَنَّهُ نَاعِمٌ غَصْنٌ قَدْ هَفَا^(٦)
 مِنْ بَعْدِ مَا أَلْفَاهَا عَلَى شَفَا
 أَظْهَرَ بَعْدْلَهُ فَمَا اخْتَفَى
 وَإِنْ يَقْلُ يَصْدُقُ وَإِنْ يَعْدُ وَفَى
 وَإِنْ تَسَى يَحْسَنُ وَإِنْ تَجْنُ عَفَا
 رَوْضَ نَمَا ، طَبَّ أَفَادَ وَشَفَا
 أَوْ مَجْدُبٍ أَوْ مَشْتَكٍ خُطْبَا جَفَا

(١) الصفا : الميل

(٢) الفعا : نور الحناء

(٣) رغا : صوت

(٤) لفا : قال اللغو والباطل

(٥) أجداك : أغظاك

(٦) هفا : مال واهتز

مالي لا أضفي له المدح وقد
أسس خلق الجود فينا فاغتندي
الجودُ يعلى المرء والبخلُ لقد
والعز ما أحسنه لـكنه
والجهل للانسان عيب قادح
والعلم في حال الغنى والفقر لا
ولا ألوم المال فالمل حى
قد جُبِلَ الناس على حب الغنى
ومالذى الفقر لديهم رتبة
إن الغنى طب لعلات الفتى
والحزم أخرى مابه المرء اقتدى
من لم يبت مع الليالى حازما
أضيت طرفى كى يرى طرفى ما
فَصَدَّقَ الخاكى ما أبصرته
فسهلت رؤيته جهد السرى
عجبت للأيام من عَزَّ بها
فكم لها من كَرَّة على فتى
تجتنب الأسد سَطَاه فى الوغى
وكم صريع غادرت ليس له
عَدَتْ على نفس عَدِي وسقت

أضحى به الحق علينا قد ضفا^(١)
به لنا ورَدُ العالى قد صفا
يَحْطُ عن رتبته من ارتقى
إن كان هذا مع علم ونقا
ولو حوى مالا ككشبان نقا^(٢)
يزال يَرُقَى بك كل مرتقى
من جاهل يلقاك شر ملتقى
فَرَبُّه فيهم مُهَابٌ متقى
ولو أفاد وأجاد واتقى
والفقر داء لا تداويه انرقى^(٣)
فى أمره ومابه النفس وقى
لغدرها غادرته فيها لقى
أخبرته من طيب مجد قد زكا
وفاق ما عاينته ما قد حكى
وأسكت الأنعام من كان شكى
ذل ، ومن يضحك لها يوما بكى
جَلْدٍ إذا ما لَهَبُ الحرب ذكا
فذل حتى صار قصواه بُكَّى
من ملجأ يوما ولا من مشكى
منها ابن خُجَرٍ كأس سم كالذكا

(١) ضفا يصفو : زاد وصار سابقا ، وأضافه يضيفه : زاده وأضيفه

(٢) الكشبان : جمع كشي ، وهو ما اجتمع وتراكم من الرمل

(٣) الرقى : جمع رقية - بالضم - وهى العوذة

(٤) شى لقى - بالفتح مقصورا - أى مهمل مطروح

واستقلت ملك بني ساسان لم
لم يأمن المأمون من صولتها
وأبعت جعفر الفضل وكم
وغالت الزباء في منعها
وأفذت في آل بكر حكمها
وكم سبت من سبأ من نعمة
وأهلك عادا وأفنت جرهما
فرعون موسى أو لجت في لجة
وأظفرت بابن زياد مثل ما
وسيف استلته من عُمدانه
ثم أعادته حفز الجيش عن
هي الليالي ليس يرعى صرفها
ولا رسول الله فينا لم يزل
لله ما أكرمه من سيد
سلم صدر ذو وفاء لم يحش
أوسعنا فضلا فما خاب امرؤ
يا من غدا للخلق كهفا وحى

تترك له على الليالي مرتكا^(١)
ولا ابن هند من عواذها خلا^(٢)
بات الطلا يسقيهما صريف الطلا^(٣)
فأظفرت غمرا بها فما ألا^(٤)
وجرعت مهلهلا كأس البلى
ففرقوا في كل قفر وفلا
وزودت منها تميما بالصلى
فمات قهرا بعد عز وعلا
أفنت يزيد حسرة لما اعتلى^(٥)
من بعد ما قد خضعت له الطلى
حوزته حز النبات المحتلى
لا خاملا فيها ولا من قد سما
كهفا حى فهو لنا نعم الحمى
ينمى من المجد لأعلى منتمى
في صدره غش أمرى، ولا غمى
أوى إلى ذاك الجنب وانتمى
فأكرم المئوى وأوى وحى

(١) كذا ولا أعرف له وجهها

(٢) المأمون : هو الخليفة العباسي ، وابن هند : معاوية بن أبي سفيان

(٣) الطلا الأول : ولد الظبية ، والطلا الثاني : الحمر

(٤) الزباء : ملكة الجزيرة ، وعمرو : هو ابن عدى الذى طالبها بثأر خاله

جذيمة الأبرش ، وألا : قصر (٥) ابن زياد : عبيد الله بن زياد قاتل الحسين

السيط ، ويزيد : ابن معاوية بن أبي سفيان

إنا أتينا من ديار دونها موحشة بيضاء أو بحر طما
 وإني من قبج ما أسلفته ذو كبد رُضْتُ ودمع قد هي
 فلا تخيني مما لك من شفاعه رجي وفضل قد نما
 إنك من قوم بهم يشفى العنا ويذكرُ الشأو البعيد المرتنى
 أعرض عن الجاهل مهما قد أسا وحسبه من جهله ما قد حوى
 ولا تلم ذا سلفه فإنه إن لمته لم يتند ولا أرعوى
 وإن رأيت من كريم عثرة فقل لعا ولا تعب بما احتوى
 وإن ترعك من زمان فرقة فاصبر لها فالصبر أشفى للجوى
 لم أشكر البعد على خير حمى قد صدني عن أنسه شخط النوى
 يامنزلا ما بين نجد والحى وياد يارا بين كئيب اللوى
 هل لى إلى تلك المعالي عودة أو جرعة من ذلك الماء الروى
 لا تعجبوا من لعب الدهر بنا فأى إنسان على حال سوى
 إن عشت لأقيتهم وإن أمت فأما الدنيا فنساء وتوى
 إن رسول الله مذ أملت به فالدهر قد أضمر نصحى ونوى
 إى والذى مازال يسرى جاهدا حتى أتى ميقاته وماونى
 فقدم الغسل وصلى ونضى أثوابه مستغفرا مما جنى
 ثم نوى مكيبا ثم مضى حتى رأى ذات السناء والسنى
 ثم أتى باب بنى شيبة قد أبصر ما أمل قدما مذكنا
 فقبل الركن وطاف وسعى ثم مضى مرتحلا نحو منى
 ثم أتى الموقف يدعو راغبًا حتى إذا ما نفر القوم انثنى
 ثم رمى ثم أفاض وانبرى معتمرا قد نال غايات المنى
 ثم مضى مرتحلا فيمن مضى ميمما طيبة لا يشكو العنا
 يبغي التي شرفها الله بمن شاد به الدين القويم وابتنى

فلم يكن ممن إذا حج جفا
خلق علا لم يحوها إلا امرؤ
فإن يقل: من حازها؟ قل: الذي
معتمسٌ الراجين إن خطب دنا
المرشد الناصح لله فما
من جد في إدراك ما رام يحد
فلا يقصر بك خوف خيبة
واكتسب الحمد بما تبديه من
واحرص على المجد ودينك اطرح
والمرء من إن فاته لم يكتئب
من لازم الكبر على الناس اغتدى
أنى تخيب اليوم آملى ولى
يدنى التقى إلى مدى آماله
إن أهزل القوم زمان معوز
وإن أمات الجذب كلَّ مخصب
أرسل سخب هديه جارية
أوقع فى الأنفس من ماء لدى
لم تعنى من فعل جميل كفه
مالى لا أبلغ أقصى غاية
لكل شخص غاية يبلغها

بل يمم القبر وزار واعتنى^(١)
نهاه عن نبذ الملا رعى النهى
له تسامى كل مجد وانتهى
وكفهم إن راع أمر ودهى
قصر فى نصر الهدى ولاها
ولم يصب من قد توانى وسها
من خيل الخيبة فى البدء وهى
فتح الله ما بمستدامات الله^(٢)
فأمرها أمر زهيد المشتى
وإن ينل لم يفتخر ولا ازدهى
متضجع القدر ولو نال الدهى
من كفه أكرم من صوب الحيا
ولو غدا من دونها الأرض الليا
أنعشهم حتى يرى لهم حيا
بدا لنيران القرى منه حيا
بالحق حتى حى الدر حيا
ظام إذا ما اشتد بالشمس الحيا
ولا له فى المسكرات معتيا
فى مدح من بالغ جودا واغتيا
وماله فى المعالوات مقتيا

(١) يشير إلى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حج ولم يزرني فقد جفانى »
(٢) الله - بفتح اللام - جمع لهة ، وهى هنة مشرفة على
الحلق ، وأراد هنا الفم . فتحه بالثناء ، والله - ضم اللام - العطايا

تعيأ يد السائل من معروفة
والآن قدأ كملتها في مدحه
ضممتها من كل فن دررا
حليتها جيد معاليه وما
جعلتها منى وداعا فاعتجب
مَنْ فارب الرحلة عن ذاك الحمى
أرسلتها من خاطر خامره
وكيف لا آسى على بعدى عن
أنصار دين الله والهادى الذى
فالقلب بين مشرق ومغرب
إذا ذكرت الغرب حنت مهجتي
وإن ذكرت حُبَّ من فى مشرق
إن يصف من وجه لشخص مورد
فإن ترَحَّلتُ فقلبي عندكم
ولا تزال رُسُلُ شوقى أبدا
ولن تمر ساعة إلا هفا
فليس عندى للنجاة مخلص
بكم ملاذى وحماكم ملجئى
وما ذخرنا عُدة سواكم
لا أوحش الله دياراً أتم

ولم يقصر كرما ولا اعتيا
مقصورة يقصر عنها مَنْ حَزَّ (١)
نظما فأضحت من نفيسات الحلى
أملح حَلَى الحمد فى جيد العلا
لنظمها الخلو الجنى كيف حلا
كيف أجاد النظم يوما أودرى
وَجَدَّ جلا عن مقلتي طيب الكرى
قوم جرى من جودهم ما قد جرى
لولا وضوح هَذِيه ضل الورى
مُتَسَمِّمٌ اللوعة مجذوب العرا
وبَلَّ دمعى من جوى الشوق الترى
أبطأ بى حبهْم عن السرى
كدر من أخرى فلا صقوىرى
لم يرتحل عن بابكم ولا سرى
تترى على مجدكم الجزل الندى
بذكركم مُفَصِّحٌ نظمى وشدا
إن لم يكن منكم نَوَالٌ وَجَدَا (٢)
ليس سوى ذاك السماح المجتدى
مثلُكم مَنْ يرتجى ويحتدى
فيها ولا أزرى بمرعاها الصدى (٣)

(١) من خلا : أراد من سبقه وكان فى القرون الخالية : أى الماضية .

(٢) الجدى - بالفتح مقصوراً - العطاء (٣) الصدى : الظمأ والعطش

ولا نأت داركم ولا خلا ربيعكم ما راح يوم واغتدى

ومن محاسنه أيضا البديعية المشهورة ، وهى المعروفة ببديعية العميان ، ولولم يكن من محاسنه إلا قصيدته التى فى التوراة بسور القرآن ومدح النبى صلى الله عليه وسلم لكفى ، وهى من غرر القصائد ، وكثير الناس ينسبها للقاضى الشهير عالم المغرب أبى الفضل عياض ، وكنت أنا فى أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك النسبة ، حتى وقفت على شرح البديعية الموصوفة لرفيقه أبى جعفر ، فإذا هى منسوبة للناظم ابن جابر ، وهى :

فى كل فاتحة للقول معتبره	حق الثناء على المبعوث بالقره
فى آل عمران قدما شاع مبعثه	رجالهم والنساء استوضحوا خبره
من مَدَّ للناس من نعام مائدة	عمت فليست على الأنعام مقتصره (١)
أعراف نُعماء ما حل الرجاء بها	إلا وأفال ذلك الجود مبتدره
به توسل إذ نادى بتوبته	فى البحر يونسُ والظالماء معتكره
هود ويوسف كم خوف به أمنا	ولن يروّع صوتُ الرعد من ذكره
مضمون دعوة إبراهيم كان ، وفى	بيت الإله وفى الحجر التمس أثره
ذو أمة كدوى النحل ذكرهم	فى كل قطر فسبحان الذى فطره
بكهف رحماه قد لاذ الورى ، وبه	بشرى ابن مريم فى الإنجيل مشتمره
سماه طه ، وحض الأنبياء على	حج المسكان الذى من أجله عمره
قد أفلح الناس بالنور الذى عمروا	من نور فرقانه لما جلا غرره
أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا	كالنمل إذ سمعت آذانهم سورَه
وحسبه قصص للعنكبوت أتى	إذ حاك نسجا بباب الغار قد ستره

قصيدة
لابن جابر
تضمن التوراة
بسور القرآن

(١) يريد أن مائدته (جوده وعطاءه) لا تقتصر على دعوة ذوى النعمة ، بل إنه يدعو الجفلى ولا ينحس قوما دون قوم .

في الروم قد شاع قَدِّمًا أمرُهُ وبه
 كم سجدت في طلي الأحزاب قد سجدت
 سبَّاهم فاطر السبع العلا كرما
 في الحرب قد صفت الأملاك تنصره
 لغافر الذنب في تفضيله سور
 شُورَاهُ أن تهجر الدنيا فزخر بها
 عزت شريعته البيضاء حين أتى
 فجاء بعد القتال الفتح متصلا
 بقاف والداريات الله أقسم في
 في الطور أبصر موسى نجم سؤدده
 أسرى فمال من الرحمن واقعة
 أراه أشياء لا يقوى الحديد لها
 في الحشر يوم امتحان الخلق يقبل في
 كف يسبح لله الحصة بها
 قد أبصرت عنده الدنيا تغابنها
 تحريمه الحب للدنيا ، ورغبته
 في نون قد حقت الأمداح فيه بما
 بجاهه سال نوح في سفينته
 وقالت الجن جاء الحق فاتبعوا
 مدثرًا شافعا يوم القيامة هل
 لقمان وفق للدر الذي نثره^(١)
 سيوفه فأراهم ربه عبده
 لمن يباين بين الرسل قد شهره
 فصاد جمع الأعادي هازما زُمَرَهُ^(٢)
 قد فُصِّلَت لمعانٍ غير منحصره
 مثل الدخان فيُعْشَى عين من نظره
 أحقاف بدر وجند الله قد نصره
 وأصبحت حُجُرَات الدين منتصره
 أن الذي قاله حق كما ذكره
 والأفق قد شق إجلالا له قره
 في القرب ثَبَّتَ فيه ربه بصره
 وفي مُجَادَلَةِ الكفار قد أزره
 صَفَّ من الرسل كُلَّ تابع أثره
 فأقبل إذا جاءك الحق الذي قدَرَهُ
 نالت طلاقا ولم يصرف لها نظره
 عن زهرة الملك حقا عند ما نظره
 أثنى به الله إذ أبدى لنا سِيرَهُ
 سفن النجاة وموج البحر قد غمره
 مُزَمِّلًا تابعا للحق لن يذرَهُ
 أتى نبي له هذا العلا ذخره

(١) اشهر لقمان بالحكمة ، وفي القرآن الكريم : (ولقد آتينا لقمان الحكمة) .

(٢) الزمر : الجماعات ، واحدها زمرة - بضم الزاي وسكون الميم - أى الجماعة

في المرسلات من الكتب انجلى نبأ
الطافه النازعات الضيم في زمن
إذ كورت شمس ذاك اليوم وانفطرت
وللسماء اشقاق والبروج خلت
فسبح اسم الذى فى الخلق شقعه
كالقنجر فى البلد المحروس غرته
والليل مثل الضحى إذ لاح فيه ألم
ولو دعا التين والزيتون لا ابتدرا
فى ليلة القدر كم قد حاز من شرف
كم زلزلت بالجياذ العاديات له
له تكاثر آيات قد اشتهرت
ألم تر الشمس تصديقا له حبست
أريت أن إله العرش كرمه
والكافرون إذا جاء الورى طردوا
إخلاص أمداحه شغلى ، فكم فلق
أزكى صلاتى على الهادى وعترته
صديقهم عمر الفاروق أحزمهم
سعد سعيد عبيد طلحة وأبو
وحزة ثم عباس وآلهما
أولئك الناس آل المصطفى وكفى

عن بعثه سائر الأخبار قد سطره^(١)
يوم به عبس العاصى لما دعره^(٢)
سماؤه ودعت ويل به الفجره
من طارق الشهب والأفلاك مُنتثرة^(٣)
وهل أذاك حديث الحوض إذ نهره
والشمس من نوره الوضاح مستقره
نشرح لك القول فى أخباره العطره
إليه فى الحين واقرا تستبين خبره
فى الفخر لم يكن الإنسان قد قدره
أرض بقارعة التخويف منقشره
فى كل عصر فويل للذى كفره
على قریش ، وجاء الروح إذ أمره
بكوثر مرسل فى حوضه نهره
عن حوضه فلقد تبت يدا الكفره
للصبح أعممت فيه الناس مفتخره
وصحبه ، وخصوصا منهم عشره
عثمان ثم على مهلك الكفره
عبيدة وابن عوف عاشر العشره
وجعفر وعقيل سادة خيرة
وصحبه المقتدون السادة البرره

(١) انجلى : انكشف وظهر . (٢) دعره : أخافه .

(٣) منتثرة : متفرقة ، يشير إلى قوله تعالى : (وإذا الكواكب انتثرت) .

وفي خديجة والزهرا وما ولدت
عن كل أزواجه أرضى ، وأوثر من
أقسمت لازلت أهدبهم شذاً مدحى
كالروض ينثر من أكمامه زهره

انتهت القصيدة :

وقد عارض منعها جماعة فما شقوا لها غبارا ، ومن معارضاتها قول بعضهم :
بسم الإله افتتاح الحمد والبقرة مصليا بصلاة لم تزل عطره
على نبي له الرحمن ممتدح في آل عمران أيضاً والنسا ذكره
كذا بمائدة الأنعام فضله ووصفه التم في الأعراف قد نشره (١)
أنفاله نزلت أيضاً براءة من يحبه وهو مشغول بما أمره
به نجا يونس من حوته ونجا هود ويوسف من سجن به عبره
أقسم برعد إبراهيم أن له في حجر نخل ترى الآيات مشتهره
سبحان جاءله كهفا لأمته ومريم زوجة في جنة نظره
طه به الأنبيا للحج قد وفدوا والمؤمنون على النور اقتفوا أثره (٢)
آيات فرقانه ذات لها الشعرا وسورة النمل قد قصت لنا سيره
والعنكبوت على غار له نسجت والروم ولت برغب منه منكسره (٣)
لقمان حكمته من بعض حكمته فاسجد لرَبِّ على الأحزاب قد نصره
كرم في سبا عبرة للقلب قد فطرت فلذ بياسين تنجو يا أخا البرزه
قد صُفَّت الأنبيا والرسل قاطبة خلف النبي بأمر الله مؤتمره

(١) نشره : أذاعه ، وضده « طواه يطويه » وأصله طي الثوب ونشره

(٢) اقتفوا أثره : تبعوه (٣) يشير إلى ما كان في هجرته صلى الله عليه وسلم

إذ دخل غار ثور فجاء العنكبوت فخيم على باب الغار حتى إذا رآه المشركون قالوا : لا يمكن أن يكون قد دخل هذا الغار ؛ إذ لو دخله لما بقى هذا العنكبوت على بابه

إن صاد قلبي الهوى تنزيل منقذه
 كم خلعة فصلت للطائعين له
 لا تاههم زينة الدنيا وزخرفها
 إذا جثا الخلق والأحقاف قد شرفت
 محمد خص بالفتح المبين وقد
 قاف الوفاق وذو الطور نجم هدى
 رَحْن واقعة كل الحديد بها
 من يمتحن صفنا في يوم جمعنا
 مطهر من نفاق ليس بينهم
 وحرموها وفي ملك لها زهدوا
 إن تسألوني عن نوح نبى هدى
 مزمل اسمه مدثر ، وله
 للرسالات نبأ في يوم نازعة
 مظف الكيل قد بانت خسارته
 كم طارق سبج الأعلى بغاشية
 والليل قُمة ولا تترك صلاة ضحي
 بسورة التين اقرأ أنها نزلت
 ولم يكن مثل خير الرسل أحدا
 بعاديات لها قرع بهامته
 من كان في عصره هامة لُمزا
 ويل لما منع ماعون تراه غدا
 الكافرون إذا جا نصر خالقنا

وغافر الذنب كم ذنب له غفره
 وأمرهم بينهم شورى بلا نكره
 كانوا يروها كدخان له قَتَرَةٌ^(١)
 فذاك يوم على الكفار قد نصره
 أناء في الحجرات الوحي بالخبره
 وشق رب السما للمصطفى قره
 كم من مجادلة في الحشر محتذره
 فليس يلقي به غش ولا كدره
 تغابن طلقوا دنياهم القدره
 كزهد صاحب نون حَقَّقَ خبره
 والمصطفى سامع الجن الذى جهره
 يوم القيامة للانسان ما ضمره
 عبوس تكوير شمس فيه منفطره
 يوم تشق السما أبراجها النضره
 والفجر بلدته بالشمس مستوره
 يشرح لك الصدر والخيرات مُدْخره
 في ليلة القدر ، والأنوار منتشرة
 منه تزلزلت الكفار والفيجرة
 أعشى التكاثر من قلب له بصره
 يلقاه قبل قريش قاهر قهره
 مباعدا كوثر الهادى الذى أثره
 تباه لهم لعنوا هم أمة كفره

(١) قَتَرَةٌ — بفتح القاف والتاء جميعا — هى العبرة وقد حذف النون من « يروها » لغير ناصب ولا جازم

أخلص رب فلق الناس تَنْجُ إذا يوم المعاد غدا من شره عسره
وصل رب على الهادي وعترته وآله وعلى أصحابه العشرة

معارضة

القلقشندي

لابن جابر

ومن سلك هذا المنهج الشيخ القلقشندي إذ قال :

عوذت حَيَّ رب الناس والفلق المصطفى المجتبي الممدوح بالخلق^(١)
إخلاص من وجدى له والعذر يقلقني تبت يدا غاذل قد جاء بالملق
يهدى لأمته والنصر يعضده والكافرون وعذالي على نَسَق
هذا له كثر والدين شرعته والمصطفى من قريش دَيَّ وتَقَى
ألم تر الماء قد سحت أصابعه ويل لكل جهول بالنبي وشقى
في كل عصر ترى آياته كثرت أضحى تكاثُرُها في سائر الأفق
وعند قارعة فهو الشفيع لنا والعاديات من الأجفان في طَلَق
وزلزلت من غرامى كل جارحة وكل بينة تحكى لكم علقى
يا على القدر رفقا مسنى ضرر فالله قد خلق الإنسان من علق
ولو دعا التين والزيتون جاء له والشرح عنه طويل غير مختلق
يبدو كشمس الضحى والليل طرته كالشمس في بلد والفجر في أفق
إني بغاشية لولاك يا أملى أنت الشفيع إلى الأعلى وخير تقى
كم طارق منك بالإحسان يطرقني مثل البروج أتى في أحسن الطرق
وفي انشقاق فؤادى عبدة ، وبه ويل من الصد ، والأجفان في أرق
والانفطار به مما يكابده والشمس قد كورت في القلب ذى الحرق
والصب في عبس والنازعات به وقد أتى نبأ من دمه الغدق
ومرسلات دم الإنسان جارية إلى القيامة من دمعى ومن حرقى

(١) عودته : حصنته ، وحرفيته جعلت له هذا معاذة ، والحب - بالكسر -

الحبيب ، والمجتبي - بزنة المصطفى - أى المختار المنتخب

وبالمدر إني ماسك أبدأ
فالجن والإنس في خير بيعته
وفي المعارج معراج الرسول علا
والله مرسله في نون بشره
وجاء بالحل والتحريم أمته
وفي التنجيب نجر به ربخوا
يا صاحب الجمعة الغراء يا أمل
وأنت في الحشر عوفى في مجادلتى
وعند واقعة إن كان لى رَمَق
لم أَرع يا قمرى للنجم فى سهر
قلبي السكيم غدا للطور مرتقيا
وقاف يعجز عن حمل الغرام بكم
إنافتحنا قتالا للعدول فى
دخان زخرف ما العذال فيه هبا
وعز من فصلت فى مدحه سور
فغافر الذنب كم أهدى به زُمرا
وليس غيرك فى الصافات أقصده
يا فاطرا قد سبا الأحزاب طلعتة
لقمان يشهد أن الروم تعرفه
هذا ولى قصص بالمثل قد كتبت

وبالمزمل إن أَلِجْتُ بالعرق^(١)
هذا ونوح به أنجى من الفرق
حقا ، وفى حاقة كنز لخـرق
والمُلك خـيره حتى رأى وقى
وبالطلاق من الدنيا لمنطق
إذ المنافق فى خسرو فى نفق
فى الصف عند امتحانى أنج من زلقى
عسى تزيل حديد النار من عنقى
فاشفع إلى ربك الرحمن من رَمَقى
إلا لعلك من نار الجحيم تقى
ودُر دمي غدا بالذاريات سقى
وليس فى حجرات الدمع من رمق
أحقاف جائية فى الغيظ والحق
شورائى تتركه فى أنف محترق
نبينا المصطفى الهادى إلى الطرق
وكم سقى كفه صاِد بمنسدفق
وأنت ياسين لى من سائر الفرق
كم سجدة لك فى الأسحار والعسق
والعنكبوت فقد سدت عن الغلق
هامت بها الشعرا فى خـده اليَقَقى

(١) المدر : المتغنى ، والمزمل : المتلف فى ثيابه ، وأصلهما بتشديد الدال فى الأول وتشديد الزاى فى الثانى ، إلا أنه خففهما هنا لإقامة الوزن ، و « أَلِجْتُ بالعرق » إشارة إلى يوم المحشر حين يشتد الحر على الناس ، وقد ورد فى الحديث

تبارك الله من بالنور جملة
يا أيها الأنبياء طه ختامكم
لاذوا بكهف لهم سبحانه خالقه
فالركن والحجر حقا قد أضاء له
والله ربى رب الرعد ينصره
فيوسف مع هود والخليل إذا
لتوتى أرتجى الأنفال منه غدا
أعراف أنعام أنعام له اشتهرت
كل النساء لم تلد مثل الرسول إذا
أعطيت خاتمة من سورة البقرة
فأنت فاتحة الأنبياء وخاتمهم
والقلقشندى محب قال سيرته
فاقبل هدية عبد أنت مالكة
صلى عليه إله العرش ما طلعت
وهذه القصيدة وإن لم تلحق بلاغة قصيدة ابن جابر فهي مما يتبرك به ،
والأعمال بالنيات .

ووقفت على أخرى من هذا النمط هي بالنسبة إلى هذه كنسبة هذه إلى قصيدة معارضة أخرى
لابن جابر وهي :

بحمد إله العرش أستمح القولا
وفي آل عمران بدا ذكر أحمد
وفي آية الكرسي أستمح الطولا^(٢)
نساؤهم بالعقد قد أنعموا القولا

(١) الفرق - بفتح الفاء والراء جميعا - شدة الخوف

(٢) الفلق : الاضطراب

(٣) أستمح ، هنا : أطلب ، والطول - بالفتح - الفضل

بأعراف رحماه بأنفال جوده
 له يونس نادى وهود ويوسف
 ودعوة إبراهيم كان محمد
 له أمة كالنحل قد صح فضاهم
 علا فضله والناس في كهف نيله
 وطه له فضل على الخلق كلهم
 ولولاه ما حج للمقام وكعبة
 ومن نوره الوهاج كل منور
 ترى الشعرا كالنمل حول محمد
 علا ديننا روما ولقمان عالم
 والأحزاب يسيهم بحكمة فاطر
 وصاد جميع الكافرين بزمره
 وشوراه في الدنيا بها كل زلفة
 لقد رأوا الدخان حول بيوتهم
 محمدنا لم يخلق الله مثله
 وقد أنزل الجبار قافا بذكره
 بطور سما والنجم ماضوء أحمد
 به الله رحمن وفي وقمة جرى
 وقد سمع العقار دعوة أحمد
 صففنا بجمع للأعدى فمنهم
 يرى غبنه في الخير منهم مطلق
 شرفنا وفضلنا وتبنا إلى المولى
 وذاكره في الرعد لا يسمع الهولا
 وفي الحجر خير الخلق قد فضل الرسلا
 فسبحان من أسرى بأحمدنا ليلا
 ومريم في الأخرى يكون لها بعلا
 ولكن جميع الأنبياء علا فضلا
 فأفلح من قد طاف فيها ومن حلا
 وفرقانه قد أخذ الكفر والبطلان^(١)
 إذا قصص في العنكبوت لهم تتلى
 بأن السيوف أسجدت كل من ضلّا
 وياسين قد صفت له الملائ الأعلى
 له غافر في الحرب قد فصلت فصلا
 وقد زخرف الكفار في دينهم جهلا
 بجائية الأحقاف قد قتلوا قتلا
 وفي الحجرات فضله أبدا يتلى
 كما تذر الكفار ربح بها تبلى
 كما قمر بل نور خير الورى أجلى
 حديد به الكفار يجدهم جدلا
 بحشر، ولكن بامتحنان به تبلى
 منافق إن الكفر في درك سفلى
 ولكن من يحرم نعيما فقد ضلا

لأحمد ملك لا يوازيه سيد
بحق لقد سالت أباطح مكة
صحيح بأن الجن جاءت لأحمد
لمدثر فضل القيامة واضح
وعمَّ بجدواه فلا من منازع
لقد كوّرت شمس بها انفطر السما
ولكن بروج الجوّ تزهو بأحمد
وغاشية كالقنجر حلت ببلدة
وفاق الضحى حقاً جبين محمد
فأقسم بالتين الذي عم نفعه
ألم يكن الكفار قد ضل سعيهم
وقارعة جلت وألهام الهوى
ألم تر أن الله فضل أحدا
أريت بأن الكوثر العذب خصه
لقد نصر الرحمن ربى محمدا
فيا أحد إني بفضلك عاّد
ولم أقف على غير هذه الأبيات من هذه القصيدة ، وقد سقط منها كما رأيت سورة
الناس ، فقلت مكملًا على نمطه :

ويا مالكا للناس إني لا أؤذ
وبغفوك فاغفر عمد عبدك والجهلا
ويا رب عاملنا بما أنت أهله
من الجود والرحمى وإن لم نكن أهلا

(١) لا يوازيه : أراد لا يساويه

(٢) أردى : أهلك ، و « أبا لهب » تقرأ بسكون الهاء لإقامة الوزن

وَصَلَّ عَلَى مَسْكِ الْخَتَامِ مُحَمَّدٌ أَتَمَّ صَلَاةَ تَمَلُّأِ الْحَزْنِ وَالسَّهْلَا

خطبة
للقاضي عياض
تضمن التورية
بأسماء سور
القرآن

وتذكرت بهذا الموضع خطبة القاضي أبي الفضل عياض التي ضمنها سور القرآن على المهيح الماضي آنفاً ، وهي : الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه ، وبين في سورة البقرة أحكامه ، ومد في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ل يتم إنعامه ، وجعل في الأعراف أنفال توبة يونس وأر كتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق في دار الكرامة ، وسبح الرعد بحمده ، وجعل النار بردا وسلاما على إبراهيم ، ليؤمن أهل الحجر أنه إذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه ولا يظلمون قلامه^(١) ، وجعل في حروف كهيعص سرا مكنونا قدم بسببه طه صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء ليظهر إجلاله وإعظامه ، وأوضح الأمر حتى حج المؤمنون بنور الفرقان والشعراء صاروا كالنمل ذلا وصغارا لعظمته ، وظهرت قصص العنكبوت فآمن به الروم ، وأيقنوا أنه كلام الحى القيوم ، نزل به الروح الأمين على زين من وافى القيامة ، وأوضح لقمان الحكمة بالأمر بالسجود لرب الأحزاب فسبا فاطر السموات أهل الطاغوت ، وأكسبهم ذلا وخزيا وحسرة وندامة ، وأمدَّ ياسين صلى الله عليه وسلم بتأييد الصافات فصَادَ الزمرَ يوم بدره وأوقع بهم ما أوقع صناديدهم في القلب مكدوس ومكبوب حين شَأَلَتْ بهم النعماء ، وغفر غافر الذنب وقابل التوب للبدرين رضى الله عنهم ما تقدم وما تأخر حين فصلت كلمات الله فذل من حقت عليه كلمة العذاب وأيس من السلامه ، ذلك بأن أمرهم شورى بينهم وشغلهم زحرف الآخرة عن دخان الدنيا فجتوا أمام الأحقاف لقتال أعداء محمد صلى الله عليه وسلم يمينه وشماله وخلفه وأمامه ، فأعطوا الفتح وبوئوا حجرات الجنان وحين تلوا قاف والقرآن المجد وتدبر واجواب قسم الذاريات والطور لاح لهم نعيم الحقيقة واشق لهم

(١) الكهف : الغار في الجبل يتحصنون به ، والملجأ : المكان تلجأ إليه وتتل نفسك فيه ، والقلامة - بضم القاف - أضلها ما يقع من الظفر إذا طال .

قر اليقين فنافروا السامه ، ذلك بأنهم أمنهم الرحمن إذا وقعت الواقعة واعترف بالضعف لهم الحديد وهزم الجادلون وأخرجوا من ديارهم لأول الحشر يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين حين نافروا السلامه .

أحمد حمد من امتحنته صفوف الجموع في نفق التغابن فطلق الحرمت حين اعتبر الملك وعامه ، وقد سمع صريف ^(١) القلم وكأنه بالحق والمعارج يمينه وشماله وخلفه وأمامه ، وقد ناح نوح الجن فتزمل وتدثر فرقا من يوم القيامة ، وأنس بمرسلات النبأ فنزع العبوس من تحت كور العامه ، وظهر له بالانفطار التطفيف فانشقت بروج الطارق بتسييح الملك الأعلى وغشيت الشهامة ، فو رب الفجر والبلد والشمس والليل والضحي لقد انشاحت صدور المتقين ، حين تلوا سورة التين ، وعلق الإيمان بقلوبهم فكل على قدر مقامه يبين ، ولم يكونوا بمنفكين دهرهم ليله ونهاره وصيامه وقيامه ، إذا ذكروا الزلزلة ركبوا العاديات ليطفؤا نور القارعة ، ولم يلهم التكاثر حتى تلوا سورة العصر والهمزة وتمثلوا بأصحاب الفيل فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أرايتهم كيف جعلوا على رؤسهم من السكور عامه ، فالكوثر مكتوب لهم والكافرون خذلوا وهم نصروا وعدل بهم عن هلب الطامه ، وبسورة الإخلاص قروا وسعدوا وبرب الفلق والناس استعاذوا فأعيذوا من كل حزن وهم وغم وندامه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة نال بها منازل الكرامة ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما غردت في الأيك ^(٢) حامة ، انتهت .

ومن نسبها للقاضي عياض الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس

(١) صريف القلم : صوته

(٢) الأيك : أراد الشجر الملتف

أحمد بن أبي جمعة الوهراني ، وفي نفسه من نسبتها له شيء لأن نفس القاضي في
البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم .

وكنت رأيت بتلمسان المحروسة بخط عبي ومفيدى ولي الله تعالى العارف
المعروف بشيخ الشيوخ الإمام المفتي الخطيب سيدى سعيد بن أحمد المقرئ -
صَبَّ الله عليه سجال الرضوان ! - خطبة من هذا النمط نصها :

خطبة
لعم المؤلف
تعارض خطبة
القاضي عياض

الحمد لله الذى افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ليصطفى من آل عمران
رجالا ونساء وفضلهم تفضيلا ، ومدّ مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال
كرمه وحقه على أهل القوبة وجعل ليونس فى بطن الحوت سبيلا ، ونجى هودا
من كربه وحزنه ، كما خلص يوسف من سجنه وجبه ، وسبح الرعد بحمده ويمنه ،
واتخذ الله إبراهيم خليلا ، الذى جعل فى حجر الحجر من النحل شرابا نوع
باختلاف ألوانه ، وأوحى إليه بنحى لطفه سبحانه ، واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه ،
وأرسل روحه^(١) إلى مريم فتمثل لها تمثيلا ، وفضل طه على جميع الأنبياء فأتى بالحج
والكتاب المكنون ، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون ، إذ جعل نور
الفرقان دليلا ، وصدق محمدا صلى الله عليه وسلم الذى عجزت الشعراء فى صدق
نعته ، وشهدت النمل بصدق بعثه ، وبين قصص الأنبياء فى مدة مكثه ، ونسج
العنكبوت عليه فى الغار سترامسدولا ، وملئت قلوب الروم رعباً من هيئته ، وتعلم
لقمان الحكمة من حكيمته ، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته ، وهزم الأحزاب
وسباهم وأخذهم أخذاً ويلا ، فلقبه فاطر السموات والأرض بياسين كما نفذ حكمه
فى الصافات ، وبين صاد صدقه بإظهار المعجزات ، وفرق زمر المشركين وصبر
على أقوالهم وهجرهم هجراً جميلا ، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،

(١) الروح : جبريل ملك الوحي ، وأخذ هذا من قول الله تعالى : (أرسلنا إليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا)

وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم وزخرف منار الإسلام
وخفي دخان الشرك وخزّت المشركون جاثية كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتدون
سبيلا ، وأذل الذين كفروا بشدة القتال وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز ،
وحجر الحجرات الحريز ، وبقاف القدرة قتل الخراصون تقتيلا ، كلم موسى على جبل
الطور ، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادئ السرور ،
وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور ، فتمعجب الحديد من قوته ، وكثرة
المجادلة في أمته ، إلى أن أعيد في الحشر بأحسن مقبلا ، امتحنه في صف الأنبياء
وصلى بهم إماما ، وفي تلك الجمعة ملئت قلوب المنافقين من التغاين خسرا وإرغاما ،
فطلق وحرّم تبارك الذي أعطاه الملك وعلم القلم ورتل القرآن ترتيلا ، وعن علم
الحاقة كم سأل سائل فسأل الإيمان ، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان ،
وأنت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن فأنزل عليه : يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ،
فكم من مدثر يوم القيامة شفقة على الإنسان إذا أرسلَ رسلاتِ الدمع فعم يتساءلون
أهل الكتاب ، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبس عليهم مالك^(١) وتولاهم
بالعذاب ، وكوّرت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كشيامهيلا^(٢) ، فويل
للمطففين إذا انشقت السماء بالغيام ، وطويت ذات البروج وطرق طارق الصور بالنفخ
للقيام ، وعزاسم ربك الأعلى لغاشية الفجر فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا ،
فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم إذا عاينوا التين والزيتون وأشجار
الجنة فسجدوا باقرا اسم ربك الذي خلق هذا النعيم الأكبر لأهل هذه الدار
ما أحيوا ليلة القدر وتبتلوا بتقيلا ، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل
الزلزلة من صديق ولا حميم ، وتسوقهم كالعاديات إلى سواء^(٣) الجحيم ، وزلزلت

(١) مالك : خازن النيران (٢) السكتيب : مجتمع الرمل ، والمهيل : المنهال

(٣) سواء الجحيم : وسطها ، وفي القرآن الكريم : (فاطلع فرآه في سواء الجحيم)

بهم قارعة العقاب وقيل لهم : أهاكم التكاثر ، هذا عصر العقاب الأليم ، وحُشِر
 الهمزة وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتيلا ، وقالت قريش : ما أمتن من
 هول المحشر ، أرايت الذي يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر ، وسيق
 الكافرون إلى النار وجاء نصرُ الله والفتح فثبت يدا أبي لهب إذ لا يجد إلى سورة
 الإخلاص سبيلا ، فنعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ونعوب برب الناس ملك
 الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي فسق ، وتتوب إليه ، ونتوكل عليه ،
 وكفى بالله وكيلًا . انتهى

ومن إنشاء الفقيه الجليل الشريف الكامل أبي المجد عبد المنعم ابن الشيخ
 الفقيه العدل أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي رحمه الله
 تعالى ونفعنا به وبسلفه الطاهر (١) :

ومن نظم ابن جابر المذكور قوله :

من نظم
 ابن جابر

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
 نور النبوة في كريم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وفي هذا المعنى يقول شمس الدين الدمشقي :

في معناه
 لشمس الدين
 الدمشقي

أطراف تيحان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
 والأشرف السلطان خصَّهم بها شرفا لتفرقهم من الأطراف

والأشرف المذكور هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون
 الصالحى الأتقى ، رحمه الله تعالى !

وقال الرحالة بن بطوطة في رحلته عند ذكر سلطان ماردين ابن الملك الصالح
 ابن الملك المنصور ما نصه : وله المكارم الشهيرة ، وليس بأرض الشام والعراق

(١) سقط من جميع أصول هذا الكتاب ما أراد أن يثبت المؤلف من إنشاء
 الشريف الطنجالي ، ولعله ييض له ليكتبه ، ثم عدت العوادي دون إتمام ما شرع فيه

ومصرأ كرم منه ، يقصده الشعراء والفقراء فيجزل عطايهم جريا عل سنن أبيه ،
قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الأندلسي الهواري الكفيف مادحا فأعطاه
عشرين ألف درهم ، انتهى .

ومن شعر ابن جابر رحمه الله تعالى :

وفي الخيام ومن لي بالخيام رثًا لا أحسب البدر في حسن يقاومه
مثل الغزالة إن تاهت وإن طلعت فكيف يصرف عنه الصبّ لأمه
وقوله رحمه الله تعالى :

في القلب من حبكم بدر أقام به فالطرف يبصر نورا حين يبصره
تشابه العقد حسنا فوق لبته والشعر نظا إذا ما لاح جوهره^(١)
وقوله :

ردف أقام لنا بها فتن الهوى وإذا أنت لتقوم قال لها اقمدي
أبصرتها ما بين ذاك وبين ذا فوقعت منها في المقيم المقعد
وقوله :

سامح بالوصل على بخله وقال لي أنت بوصلي حقيق^(٢)
فقلت ما رأيك في زهوة ما بين كسات وروض أنيق^(٣)
فقال يعني خده واللى : هذا هو الروض وهذا الرحيق^(٤)
غبت من دمعى ومن خده ما بين نعمان وبين العقيق
وإذ تذلت على حبه قال : أما تحشى ؟ أما تستفيق ؟
قدى وخدى خفهما يافتي هذا هو الرمح وهذا شقيق

(١) اللبة - بفتح اللام وتشديد الباء - النحر ، يقول : إن عقده وثغره (يريد

أسنانه) قد تشابها ، كل منهما لؤلؤ أبيض ناصع البياض .

(٢) بوصلى حقيق : جدير . (٣) روض أنيق : موق معجب .

(٤) الرحيق : الحمر ، شبه به ريقه .

وقوله :

وَقَفَّتْ لِلوداعِ زَيْنَبُ لَمَّا رَحَلَ الركبُ والمدامعُ تسكب
مسحت بالبنانِ دُمْعِي ، وحلوا سكب دُمْعِي على أصابعِ زَيْنَبِ

رجع لأولاد رجع إلى أولاد لسان الدين رحمه الله تعالى .

لسان الدين ومن قصيدة موشحة لابن زمرك يخاطب بها شيخه ومخدومه الوزير لسان

الدين بن الخطيب قبل أن يظلم الجوّ بينه وبينه ، جواباً عن رسالة خاطب بها
لسان الدين بن الخطيب أولاده صدر نظم لم يحضرني ذلك الآن قوله :

مالي بحمل الهوى يَدَانِ من بعدما أعوزَ القَدَانِ
أصبحت أشكوه من زمان ما بت منه على أمان
ما بال عينيك تَسْجَمَانِ والدمع يرفضُ كالجَمانِ^(١)
ناداك والإلف عنك وانِ والبعد من بعده كَوَانِي^(٢)
يا شقة النفس من هوانٍ لجج في أبحر الهوان
لم يثنه عن هواك ثانٍ يا بغية القلب قد كفاني

من ترجمة على وقال بعض الحفاظ في ترجمة أبي الحسن علي بن لسان الدين بعد أن ذكر روايته
بن لسان الدين عن أبيه وابن الجياب وابن مرزوق : إنه أخذ عن جماعة غيرهم ، كالشريف

القاضي الفقيه أبي علي الحسن بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسني السبتي نزيل
تلسان ، والفقيه الإمام العلامة قاضي الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبي عبد الله
محمد المقرئ التلمساني القرشي ، والشريف العالم أبي القاسم محمد بن الفقيه العالم المعلم
لكتاب الله تعالى أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن
موسى بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن إدريس بن الحسن بن محمد بن الحسن

(١) تسجمان : ينسكب دمعهما ، والدمع يرفض : ينزل ويهيم ، والجمان - يضم

الجيم - الفضة . (٢) الإلف - بالكسر - الأليف ، ووأن : اسم الفاعل من

« وني نبي » أي فتر .

بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم ، وليس إدريس المذكور هنا بملك المغرب وجد الأدارسة .

قال : وروى أيضا عن القاضي ابن شبرين الإشبيلي ثم السبتي نزيل غرناطة ، والقاضي أبي البركات البلقى ، والكاتب صاحب القلم الأعلى أبي جعفر بن صفوان القيسى المالكي ، وابن خاتمة ، والفقير الحاج أبي القاسم محمد بن الفقيه الصالح العالم أبي عمرو يحيى ابن الفقيه الصالح أبي القاسم محمد الغساني الرحبي نزيل فاس ، وغيرهم ممن يطول تعدادهم من الأئمة الأعلام ، نجوم الإسلام ، ١ هـ .

وقد وقفت للكفعمي رحمه الله تعالى في شرح بديعته على خطبة وقصيدة من هذا النمط . قال رحمه الله تعالى ما نصه :

ولنختم الخاتمة بخطبة وجيزة ، في فيها عزيزة ، وجعلناها في مدح سيد البرية ، وتورياتها في السور القرآنية ، فكان لسورها قاريا ، ولمعارجها راقيا ، وعلل وانهل من شرابها السكري ، وفكه نفسك بتسجييعها العبقري ، وهي هذه :

الحمد لله الذي شرف النبي العربي بالسبع المثاني وخواتيم البقرة من بين الأنام ، وفضل آل عمران على الرجال والنساء بما وهب لهم من مائدة الأنعام ، ومنحهم (١) بأعراف الأنفال وكتب لهم براءة من الآثام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي نجى يونس وهوداً ويوسف من قومهم برّعد الانتقام ، وغذى إبراهيم في الحجر بلعاب النحل (٢) ذات الإسراء فضاهى كهف مريم عليها السلام ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو طه الأنبياء وحجج المؤمنين ونور فرقان الملك العلام ، فالشعراء والنمل بفضلته تخبر ، ولقصص العنكبوت الروم تذكر ، ولقمان في سجدة يشكر ، والأحزاب كأيدى سبا تقهر (٣) ، وفاطر يس لصافاته ينصر ، وصاد مقلة زمره

خطبة
الكفعمي في
نسق سور
القرآن

(١) منحهم : أعطاهم . (٢) لعاب النحل : الشهد .

(٣) يقال « تفرق القوم أيدي سبا » و « أيدي سبا » أي تفرقا لا يرتجى بعدهم النشام واتصال .

تنظر الأعلام ، قال حم بقتال فتحه في حجرات قافه قد ظهرت ، وذاريات طوره
ونجمه وقره قد عطرت ، وبالرحمن واقعة حديده يوم المجادلة قد نصرت ، وأبصار
معانديه في الحشر يوم الامتحان حسرت ، وصف جمعته فائز إذ أجساد المنافقين
بالتغابن استعرت ، وله الطلاق والتحرير ومقام الملك والقلم فناهيك به من مقام ،
وفي الحاقة أعلى الله له المعارج على نوح المتطهر ، وخصه من بين الإنس والجن
ببنايها المزملة وبنايها المدثر ، وشتمه في القيامة إذا دموع الإنسان مرسلات
كالماء المتفجر ، ووجهه عند نبأ النازعات وقد عبس الوجه كالهلال المتنور ، ويوم
التكوير والانفطار وهلاك المطففين وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير متضرر ،
وقد حرست لمولده السماء بالطارق الأعلى وتمت غاشية العذاب إلى الفجر على المردة
اللثام ، فهو البلد الأمين وشمس الليل والضحي للخصوص بانسراح الصدر ، والمفضل
بالتين والزيتون المستخرج من أمشاج العلق الطاهر العلى القدر ، شجاع البرية يوم
الزوال إذ عاديات القارة تدوس أهل التكائر ومشركي العصر ، أهلك الله به الهمة
وأصحاب الفيل إذ مكروا بقريش ولم يتواصوا بالحق ولم يتواصوا بالصبر ، الخصوص
بالدين الحنيفي والكوثر السلسال والمؤيد على أهل الجحد بالنصر ، صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه ماتت يدا معاديه ، ونعم بالتوحيد مواليه ، وما أفصح فلق الصبح
بين الناس وامتد الظلام :

قصيدة له
في نسق سور
القرآن

ولنشفع هذه الخطبة بقصيدة على سور القرآن ، في مدح سيد ولد عدنان ، يحسن
هنا أن ننضى عن فرائد نفائسها لطلابها ، ما أغدق من خمرها وستورها^(١) ، ونجلى
عن خرائد عرائسها لخطابها ، ما أسدق من غررها في خدورها ، فانظر إلى سور
أبياتها وصور تورياتها ، ثم ادعهن يأتينك سعيا ، فحفظا لها ووعيا ، وهي هذه :

(١) تقول « أغدق الليل » أى أرخى ستوره ، و « أغدق المرأة قناعها على
وجهها » أى أرسلته ، والخمر - بضم تين - جمع خمار ، وهو القناع .

يا من له السبع المثاني تنزل وخواتم البقره عليه أنزل
 في آل عمران النساء لم يلدن نظيره أعياد ذلك تفعل
 مولى له الإنعام والأعراف والأنفال والحكم التي لا تجهل
 بعلاءه توبة يونس قبلت كذا هود ويوسف رعدهم يتجلجل
 وكذلك إبراهيم في حجر له والنحل في الإسرا عليه تعول
 يا كهف مريم أنت طه الأنبيا والحج ثم المؤمنون الأفضل
 يا نور يا فرقان يا من مدحه نطق به الشعراء وهو المرسل
 والنمل في قصص الحديث به دعت وعليه نسج العنكبوت مسدل
 والروم تعلقوا اسمه ولكم به لقمان حقا في المضاجع يسأل
 وبعزمه الأحزاب جمعهم سبأ وبه الملائكة الكرام تفضل
 يس سمى الله الإله بذكره وكواكب بسعوده لا تأفل
 يا ليتني صاد شربت بكأسه وعليه في زمرد وردت فأنهل^(١)
 كم مؤمن قد فصلت أعلامه من زخرف بجدها يا من يعقل
 ودخان جائية على أحقادها بقتاله أطفى وفتح أدخل
 حجرات قاف ذاريات سمائه في طورها نجم منير يكمل
 ودنا له القمر المنير وشقه الرحن واقعة له لا تجهل
 زغف الحديد بحربه أصواتها رعد مجادلة لقوم أبسلوا
 وله لدى الحشر العظيم شفاعاة في أمة بالإمتحان تسربلوا
 عن صف جمعه المنافق نائيا يوم التغابن من حديد يفعل
 يا من به شرع الطلاق ومن له التحريم والملاك العظيم الأجل

(١) صاد : اسم فاعل من « صدى يصدى » أي ظمى وعطش ، والزمر :

جمع زمرة - بالضم - وهي الجماعة ، و « أنهل » أشرب

يامن به ذو النون لاذ يمينه
 يامن سأل نوح بطاهر اسمه
 مدثر يوم القيامة شافع
 يامن نزول المرسلات يبعثه
 والنازعات نزعن نفس عدوه
 وهو الشفيع إذا المنيرة كوّرت
 ولدى ذوى التطفيف ويل والسما
 والله قد حرس السماء بطارق
 وأزال غاشية العذاب ونوره
 بلد أمين ثم شمس أشرقت
 شمس الضحى من وجهه ولصدره
 يامن أتى فى التين حقا ذكره
 يامن لىالى القدر بينة له
 بالعاديات أزال قارعة العدا
 ولقد أتى من قبل عصر نبينا
 هو صاحب الإيلاف والدين الذى
 والكافرون لنصره فى جيدهم
 يا خاتما فلق الصباح كوجهه
 أياتها ميقات موسى عدة
 صلى عليه الله مع أصحابه
 لما أصيب بحاقة لا تعدل
 يامن أتمه الجن يامزمل
 ومخلص الإنسان وهو الموثل
 يا أيها النبأ العظيم الأكل
 هذا ، وقد عبس الجبين وأذهلوا
 والإنفطار من السماء يعجل
 فى الانشقاق إذا البروج تبدل
 لولادة الأعلى به يتفضل
 كالقجر إذ أنواره تهلل
 والشعر ضامى الليل بل هو أليل
 الانشراح وقلبه لا يغفل
 فاقراً ولا يرتاب فيه واسألوا
 وعداء بالزلزال منه تزللوا
 وبقوله ألهامكم ما تجهل
 ويل لأهل القيل منه وقتلوا
 يسقى غدا من كوثر يتسلسل
 مسد إذا التوحيد عنه تعدل
 والناس منه مكبر ومهلل
 والكفعمى بمدحه يتجمل^(١)
 ما زال طير العندليب يعندل

(١) فى ب « والكفعمى فى مدحه يعجل » وكتب بهامشها : « هكذا فى الأصل ، ولا يخفى ما فيه ، فلعن الأولى * والكفعمى بمدحه يتوسل » ا هـ ، وأثبتنا ما فى خ .

والكفعمي هو إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كفر عتمة^(١) قرية من قرى أعمال صفد ، كما تقول في النسبة إلى بني عبد الدار : عبدري ، وإلى حصن كيفا : حصكني ، وشرحه لبديعته سماه « نور حذقة البديع ، ونور حديقة الربيع » وما رأيت مثله في سعة الحفظ والجمع .

ومن نظمه في أسماء الكتب :

يا طريق النجاة بحر فلاح أنت دفع الموم والأحزان^(٢)
أنت أنس التوحيد عدة داع ثم روح الإحيا وفلك المعاني
نهج حي ونثر در نبیه ورياض الآداب ذكرى البيان
فائق رائع مسرة راض منتهى السؤل جامع للأمانی
نزهة عدة ظرائف لطف روضة منهج جنان الجنان
فصحاح الألفاظ فيه تلقى وشذور العقود والمرجان
وهو قوت القلوب نهج جنان وكنوز النجاح والبرهان

فناسب بين أسماء الكتب وقصده غير ذلك ، وأكثر هذه الكتب التي وري بها غير موجودة بأيدي الناس ، بل ولا معروفة لديهم ، وهذا دليل على صحة اطلاعه . ومن بدائع الكفعمي المذكور رسالة كتب بها إلى قاضي القضاة العالم العلامة أبي العباس بن الفرفورى في شأن أستا دار قاضي القضاة المذكور الأمير علاء الدين ، ويخرج من أثنائها قصيدة منها : يقبل الأرض وينهى (سلام) عبد لكم (محب) وعلى المقة مكب (لوبدا) للناظرين (عشر) معشار (شوقه) * وغرامه (لطبق) ذلك (ما بين) آفاق (السموات) السبع (والأرض) لشدة هيامه (تراه) حقاً (لكم) حافيا (بالأمن) والسرور (والسعد) والخبور (داعيا) * لا جرم (وهذا) الثناء

(١) كذا في أصول هذا الكتاب ، والذي في ياقوت « كفر غما بالغين المعجمة واليم المشددة والألف مقصورة - وهو صقع بين خساف وبالس من نواحي حلب .
(٢) في ب « يا طريق النجاة »

المتوالى و (الدعا) للمقام العالى (لاشك من لازم الفرض) ملكه الله تعالى أَرْزَمَةً^(١)
 البسط والقبض (وأنجاءك) ربى من المصاعب (فى) دينك و (دنياك) وأنقذك
 (من) شر (كل) صغير (شدة) وكبيرها (وأرضاك) وجعلك أمينا (فى) الأرض ،
 إلى (يوم القيامة) والنشور (والعرض ، كما أنت) أمن (لى) من المخاوف و (عون)
 فى كل شدة (وغوث) وملجأ (وعدة*) وأنجحت آمالى (ووفرت) بإخداكم
 (لى مالى) وأحسنست قرضى (ووفرت) بإجلالك (لى عرضى ، ويُنْهَى المملوك (إلى)
 سيده^(٢) (قاضى القضاة) وكافى الكفاة (بأن) المتولى الأمين (ذا*) (الفخر المبين
 (على ابن) المرحوم (فخر الدين) قوله (فى أمركم) العالى (مرضى) وفعله مقضى
 (ومدحكم) عليه (فرض) واجب (يراه) أبدا (لسانه*) (ويذكر المناقب (وحكمكم)
 له واختياركم (إياه) دال بأنه أمير حكيم (شاهده) حقا (يقضى) بجمعه على خزائن
 الأرض إنه حفيظ عليم (حديث) مدح (سواكم) ليس من مدائحهم ، و (لايمر)
 أبدا (بقلبه*) وجوارحه (وإن مرّ) فى خاطره (لايخلو) قطعا (وحكمكم) عليه
 شرعا ، ومرسومكم (يمضى) وأمركم يقضى (يتيه) سرورا (به) رؤساء الشام ، و (من
 فى القبيبات) من الأنام ، (عزة*) وعلوا (لخدمته) الشريفة (إياك) ولأنه (ياقاضى)
 قضاة الدين و (الأرض) لا يريد سواك ، (فإن يك) الخادم المذكور (فى) بعض
 (أفعاله) غافلا (أو) فى (مقاله*) غير كامل و (عصاكم) فى بعض الأمر (فعين
 العفو) والستر (عن ذنبه) لاجرم (تُقضى) ، وهو بتوبته إليه يُقضى ، و (سلام) الله
 (عليكم) ورحمته لديكم (كلما) نطق ناطق أو (ذر) فى المشارق (شارق)*
 ومادارت الأفلاك ، (وسبحت) بلغاتها (الأملاك ، فى) فسيح (الطول) و (رحب
 (العرض) ، دوما ما بين السماء والأرض

وهذه أبيات القصيدة المتولدة من هذه الرسالة :

(١) الأزمة : جمع زمام ، وهو فى الأصل ما تقاد به الدابة .

(٢) ينهى إليه : يبلغه ويخبره

سلام محب لو بدا عُشْرُ شوقه لطبق ما بين السَّموات والأرض
 تراه لكم بالأمن والسعد داعيا وهذا الدعا لا شك من لازم الغرض
 وأنجأك في دنياك من كل شدة وأرضاك في يوم القيامة والعرض
 كما أنت لي عون وغوث وعدة ووفرت لي مالى ووفرت لي عرضي
 هذا ، ويصح أن يقرأ « عوناً » بالنصب على الحالية ، وهو الذى رأيت به بخطه ،
 أعنى الكفعمى ، ثم قال :

وينهى إلى قاضى القضاة بأن ذا على بن فخر الدين فى أمركم مرضى
 ومدحكُم فرض يراه لسانه وحبكم إياه شاهده يقضى
 حديث سواكم لا يمر بقلبه وإن مر لا يحلو وحبكم يمضى
 يقيه به من فى القبيبات عزة لخدمته إياك يا قاضى الأرض
 فإن يك فى أفعاله أو مقاله عصاكم فعين العفو عن ذنبه تغضى
 سلام عليكم كلما ذر شارق وسبَّحتِ الأملاك فى الطول والعرض

قلت : وهذه طريقة بديعة ، وقد تبارى فيها السلف ، فبعضهم يعتمد إلى أحاديث
 أو آيات وينسج على منواله مثلها ، ويفرقها فى أبيانه أو سجعانه ، ويكتبها بلون
 مخالف للأصل ، وقد ذكرت فى روضة الورد من « أزهار الرياض » من كلام ابن
 عاصم مالا مزيد وراءه ، فليراجعه مَنْ أراد ، وذكرت فى غيره أيضاً نبذة .

رجع إلى نظم
 ابن جابر

رجع إلى نظم ابن جابر - فمن ذلك قوله :

ناديت مَنْ أُسْرِى به بحياة من أُسْرِى به ^(١)
 سل مدعما تجرى به بَلَّوَاه فى تجريبه

(١) « أُسْرِى به » الأولى مؤلفة من « أسر » مصدر أسر يأسر ، وياء المتكلم
 ثم الجار والمجرور ، و « أُسْرِى به » الثانية فعل مضارع مبنى للمجهول والجار والمجرور
 يقول : ناديت محبوبى الذى أُسْرِى بسببه مقسماً عليه بحياة الرسول الذى أُسْرِى به من
 المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

وقوله :

أيها العاذل في حبي له خل نفسي في جَوَّها تحترق
ما الذي ضرك منه بعد ما صار قلبي في هواء تحت رق

وله :

برد الصباح على برد الصبا سحرا ما زال يُذْكرني أوقات نعان
لهفي لعيش قضينا في معاهدها ما بين حسن من الدنيا وإحسان
وله رحمه الله تعالى من حسناته المقبولة المضاعفة أيضاً :

جعلت ملاك العين والقلب في الهوى بناطقة القرطَيْن صامته القلب^(١)
تصحف لي ألحاظها لينَ قدها وتقلبه كيما تصيد به قلبي
قال بعض علماء المشرق : أجاد والله هذا العالم المغربي المقال ، وأراد أن لفظ لين
إذا قلب صار نيلا ، وإذا صحف صار نَبْلاً ، وهذا زيادة على ما فيه من
التحريف ، انتهى .

وقريب منه لرفيق المذكور قوله :

يفتر عن بَرَدٍ يثير ببرده حرَّ الغرام ولا سبيل لرشفه
أخذ الرشا من حسنه طرفاً لهذا نَسَبَ الورى طرف الجمال لطرفه

من شعر
أبي جعفر رقيق
ابن جابر

وله :

تجر فرعيها على إثرها رافلة في حبل الحسن
فتطلع البدر لنا في الدجى وترسل البدر على الغصن

وله :

قد نعمنا بجزع نَعْمَانِ لكن عقنا البعد والعقوق قبيح

(١) ناطقة القرطين : أي أن لقرطيهما صوتاً ، وإنما يكون لهما صوت إذا تدليا
ولم يصلا إلى مستقر ، وذلك يدل على طول عنقها ؛ فهذه العبارة كناية عن طول
العنق ، والقلب - بالضم - سوار للمرأة غير ملوى ، وصمت القلب إنما يكون لعبالة
الساعد ؛ فهذه كناية عن ذلك .

قل لأهل الخيام أما فؤادى فجريح لكن ودى صحيح

وقوله :

مُقَدَّمَات الرقيب كيف غدت عند لقاء الحبيب مقصـله
تمنعنا الجمع وأخـلـو معاً وإنما ذاك حـكم منفصله^(١)

وله يمدح سيد الخلق وخاتم المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين :

رحمة أرسله الله لنا وشفيعا قد غدا فينا غدا
وهب المال لمن مال له وفداً من ذنبه من وفداً
ليس يُحصي فضله إلا الذى هو أحصى كل شيء عدداً

وله :

حسّن النية ما استطعت ولا تتبع فى الناس أسباب الهوى
إنما الأعمال بالنيات من ينو شيئاً فله ما قد نوى

وله :

قالت وقد حاولت نيل وصالها من غير شيء لا تجوز المسألة
بالله قل لى أين نحوك يا فتى أرايت موصولا يجيء بلا صله

وهذا معنى قد تلاعب الشعراء بكـرته ، وقضية ابن عنين فى ذلك مع المعظم دالة
على توقد فكرته ، وما ذاك إلا أنه مرض فكتب إلى الملك المعظم :

أنظر إلى بعين مولى لم يزل يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه فاغنم دعائى والثناء الوافى

(١) هذا من اصطلاح المناطقه ، وعندهم أن القضية المنفصلة هى التى تمنع اجتماع طرفيهما وتمنع أيضاً أن يخلو الموضوع عن أحدهما ، وذلك فى كل ما كان حرف الانفصال - وهو إما - واقعا بين نقيضين ، مثل قولك « محمد إما أن يكون ساكنا وإما لا » ألا ترى أن محمدا لا يمكن أن يكون ساكنا وغير ساكن فى آن واحد ، كما لا يمكن أن يكون غير ساكن وغير متحرك .

فعاده المعظم وأعطاه ألفاً ، وقيل : ثلثمائة ، وقال له : هذه الصلة ، وأنا العائد .
وقال ابن جابر المذكور :

يا دار ليلي لا صمتك يد البلي وسقائك درّ الغيث كلُّ مسجاب^(١)
أصبو إلى تلك الربوع وكيف لا أصبو وهن منازل الأحباب
من شعر وقال من قصيدة :
ابن جابر أيضاً

وأطلب تشويق الأنام بحسنه فأذكر من أسمائه كل طيب
ومنها :

وإني لم أمدحه إلا تشوقاً وإن كان مشهوراً بشرق ومغرب
وقال :

شاه وجهه الرقيب إذ شاء وصلي قرى والأنام عنـا نيام^(٢)
زارني بالتهار في الليل لسن ليلُ فرع يحار فيه الظلام
وقال :

يا أيها الجائر في حكمه إني فيما قد جرى حائرُ
قدك من أعدل شيء يرى وأنت في أهل الهوى جائر
وقال :

قد زعم العاذل لي أنه يهدي لي الرشد بما يصنع
ما هو هادٍ لي ولكنه هادٍ فسمعي قال لا تسمعوا
وقال :

شفي فزادي من شقاً هجره وبتُّ من لقياه في عيد
وزارني يحكي غزال النقي في الحسن لولا الخللُ في الجيد

(١) صمتك : ماض مقترن بقاء التأنيث من قولهم «صمى الأمر فلاناً» إذ اخل به

(٢) شاه وجه فلان فلا يشوه شوها وشوّهة : قبيح

وقال :

سلب القلب غزالَ قَدُّهُ قد حكى البان لنا والسَّلَمَا^(١)
ساحر العين إذا أبصره كاتب ألقى لديه القلما

وقال :

يكفى الأنام بسيفه وبسببه عقد المكاره والمكارم دائما

وقال :

تحلت بما يحكى محاسن ثغرها وحتَّتْ عقودَ الصبر منى عقودها
ثقيلة أرداف فَصَّصُ قِيامها بما حملت منها وسهل قعودها

وقال :

أبى حسنهما إلا افتتان قلوبنا فكم قد أباد الحسنُ فيها من الناس^(٢)
وقالت تحمل طول هجرى إن تُرِدْ وصال ذوات الحسن قلت على الراس

وقال :

أراد إنسان أراد الرضا منهم رجا ما ليس بالممكن
سيان أن يعطوا وأن يمتنعوا قد ضاع فيهم كرمُ الحسنِ

وقال :

يا جيرة الحى حيا الله واديكم فكم سرور به للقلب قد عَرَضَا
فكم أنال حياة أستلذ بها إذا أنا لم أنل من وصلكم غرضا

وقال :

شبَّ حرَّ الفؤاد ماء رصابٍ منه قد حار فيه ماء الغمام^(٣)
زان بالحلى جيده قلت ماذا قال شيء نظمته من كلامي

(١) البان والسلم : من أشجار البادية ، شبه قوامه بهما في الاعتدال والتثنى

(٢) أباد : أهلك (٣) شب : أوقد ، والرصاب - بالضم - الريق

وقال :

صاد قلبي وصدّ عني صدودا وانثني يسحب الذوائب سودا
فرايت الصباح في الليل يبدو وشهدت الرشا يصيد الأسود^(١)

وقال :

إني سئمت من الزمان لطول ما قد صد عن حسن الوفاء رجاله
ومن النوادر في زمانك أن ترى خِلّا به حمدت لديك خِلّا^(٢)

وقال :

إب قابل الغصن بأعطافه فقلّ أن تبصر من فرق
قلت قد استعبدت كل الوري فقال ذاك البعض من حق

وقال :

صَحَّ أن الصباح من وجنتيها وغصون الرياض من معظفيها
قاتل الله عاذلي قل يوم ليس يسعى بالعدل فيه إليها

وقال :

شدّوا محاملهم يوم الرجال وقد محارسوم اصطباري فقد من رَحَلَا
هزوا الغصون على الكتبان حين مضوا وأسبلوا فوق أقرار الدجى كِلَلَا

وقال :

خذ ترى الورد بعضا من محاسنه تبارك الله ما أحلى شمائله
لصارم اللحظ قد أرخى هائل من عذاره فحى عنا خائله

وقال :

قام حادى الركاب ليلا فغنى فاستقام السرى وثار الغرام

(١) أراد بالصباح وجهه ، وبالليل شعره ، على طريق الاستعارة

(٢) الخل - بالكسر - الصديق كالحليل ، والخلال : الطباع والسجيا

قيل نام الأنام فاهجع قليلا قلت دون الحبيب لست أنام وقال :

ترامى بنا في البيد شوق إلى الحمى ترى عنده الأجفان منهلة الدمع
فلما رأينا ربع من سكن الحشا نزلنا فقبلنا ترى ذلك الربع وقال :

يراودني الواشي على حب غيرها وإن محالا أن يرى مثل حسنها
موفرة الأرداف مهضومة الحشا يريك التفات الظبي فاتر جفنها وقال :

سلت علينا سيوفا من لواظها وما لنا من سيوف اللحظ من واق
أضحت لسفك دم العشاق هادرة فأتري دية في قتل عشاق^(١) وقال :

في خدها شبه للخال أوشية بماحوى الحسن من الطاف أسرار
وشى من الحسن لم يحتج لصنع يد تبارك الله هذا صنعة الباري وقال :

بين الجوانح لو علمت من الجوى نار عليها سكب عيني بهمع
فدع المدامع في مدى جريانها فالدمع بعد فراقهم لا يمنع وقال :

قالوا بدارين قد قالوا وقد وردوا ماء العقيق وبالزوراء قد باتوا
بانوا عن العين لكن بالقلوب ثووا وفي البعاد عن الأحباب آفات

(١) دم هدر - بالتحريك - ليس له مطالب ، ويقال « هدر فلان دم فلان » من باب ضرب ، ويقال « أهدر فلان دم فلان » يستعمل ثلاثيا مجردا ومزيدا فيه ، ويقال « هدر دم فلان » من باب جلس - فالثلاثي لازم ومتعد

وقال :

مليحة الخمد به شامة كالورد قد نُقِطَ بالغالية^(١)
قلت لها ما اسمك قولى لنا قالت فما تعرفنى غاليه

وقال :

جارية جارية فى مدى شبابها من أُمْلَح الخلق
ما بين فرق الصبح لما بدا ووجهها للناس من فرق

وقال :

لصبه منه امتداد النوى فلا يلام الدمع فى صبه
فى قده لين فهلا قضى بقلبه منه إلى قلبه
يريد بالقلب الأول التحويل والنقل : أى فهلا قضى بنقل اللين الذى فى قدمه
إلى قلبه :

وقال :

يا لابس اللام والأسياف عارية قد انعطفت على الأعطاف واللام
ويا ضجيع رماح الخط يرسلها فى كل هام لها باللحظ فى الهام
الهام الأول : جمع هامة^(٢) ، والثانى اسم فاعل من همى^(٣) يهمى .

قال رفيقه : لو قال « من الهام » لكان أليق بالمعنى وألطف .

وقال :

من مال يبنى كسب مال له من حرمه إن جاء أو حله
فلا تثق يوما به واحترز منه فما يبقى على خله

(١) الشامة : العلامة ، والغالية : أخلاط من الطيب ، وغالية فى البيت الثانى اسم علم أو وصف من الغلاء وهو ارتفاع القدر .

(٢) الهامة : الرأس . (٣) همى المطر يهمى : انصب وتتابع .

وقال يتشوق إلى وطنه بالمرية :

لله عيش بالمرية قد ذهب أخباره بالحسن تكتب بالذهب
وهبت لنا تلك الليالى مدة ثم استرد الدهر منا ما وهب

وقال :

أن من شوقه فئار الضرام ودري الناس أنه مستهام^(١)
لا تسل ما جرى من الدمع لما قيل هذى النقا وهذى الخيام

وقال :

صلاة إله العالمين على الذى أقل العطايا منه وإد من النعم^(٢)
يجود على الراجى وإن كان مذنباً وما قوله للسائلين سوى نعم

وقال :

قد سبأ قلبى غزال فاتن سل به كيف اعتدى فى سلبه
أنا لا أعتب فيما قد جرى صفح الله له عن ذنبه

وقال :

صبرت له فمادى به هواه فكانت هى الفاصلة
وأنكر برى ويا طالما أتانى يوماً فألقى صله

وقال :

وليل نظمنا به شمانا كما انتظم البيت بالقافية
وفرقنا الدهر من بعد ذا فلست من اليوم ألقى فيه
أى فئة ، ولم يكمل التجنيس فيه إلا بتسهيل الهمة كما قال رفيقه ، ولما أنشده قال :

(١) أن يثن أنينا : حن ، والمستهام : المحب الذى هيمه هواه .

(٣) النعم - بفتح النون والعين جميعاً - الإبل .

ومن هذا النوع قولُ بعض الأندلسيين :

وقائل قال ألا صف لنا بستاننا هذا ونارنجنا
قلت لهم بستانكم جنّة ومن جنى النارج ناراً جنى
وقال ابن جابر المذكور :

قُلْ بحق الهوى سمحت بوصل ربة القلب أم نهاك الرقيب
رُمْتُ نيل الوصال منها فقالت لك وصل غداً فقلت قريب
وقال :

زين الخلد منه صدغ كنون قد بدا تحته عذار كلام
قلت هذى محاسن ابن هلال فأنثى وهو ضاحك من كلامي
وقال :

لها حسن لها عن كل واشٍ به قلبي فما أنا أستفيق
على وجنتها نعيان يبدو لنا وشفاهها هنّ العقيق
وقال :

يمر بي ذكركم والله أحياني ولو سرى طيفكم ليلاً لأحياني
لا يعذب العيش لي بعد العذيب ولا نعيم مثل لياليها بنعمان
وقال :

مدارة هذا الخلق أوليك بينهم صفات هي الأبقار والنظم دَارَاتُ
وشارات حمد المرء أن لا ترى له على الناس مما لازم الحلم دارات
وقال :

أرأيتي كم أسمى إلى خامل ، ولو أراك مدى في فرد بلع السما^(١)

(١) وقع في ب « أرى كم أسمى إلى خامل - إلخ » ولا يستقيم معه وزن البيت ، وأثبتنا ما في خ

وما الخير يوما من آئيم بممكن وإن كان منه الخير يوما فقد سها
وقال :

أرى حيدى عن كل طارىء نعمة أراح يدى من أن يقيدها الذل^(١)
فمن أخذ المعروف من غير أهله تروح الليالى وهو فى عنقه غل

وقال :

شبا لحظها الماضى وحسن شبابها هما حملا نفسى من الوجد ما بها^(٢)
كثيب النقا من ردفها ، وقضيه لمعطفها ، والبدر تحت نقابها

وقال :

حل عقد الصبر منى عقدها إذ سبت قلبى بما فى قلبها
تحسب الدر على لبنتها أنجما قد كلل البدر بها

وقال :

شعر كالليل يبدو تحته قمر قد حار شعرى فى صفاته
نقل المسواك عن مبسمه أن ماء الورد يجرى من لثاته

وقال :

من سن تلك اللحاظ فاتبعته من سنة الحب كل متبع
تقتل عشاقها بلا سبب وذاك فى الحب غير مبتدع

وقال :

وما شجو صال لوعة الهجر قد قضى زمان وصال لم تكدر مشاربه
كشجو محب لم يذق لذة الرضا ولا بات والغيد الحسان تلاعبه

(١) حاد يحيد - من باب ضرب - مال عنه وعدل ، والمذكور فى كتب اللغة أن المصدر « حيد » بسكون الياء ؛ فلعله حرك الياء حين اضطر لإقامة الوزن
(٢) الشبا : جمع شبة - بفتح الشين - وهى فى الأصل حد السيف

وقال :

سَرَتْ في رحال العيس منه أهلة فأيسر حال أن أزودها قلبي
بعيشك قل لي هل دروا كيف علتي وفيض دموعي بعد منصرف الركب

وقال :

من جنى باللحاظ زهر المعاني من جناب الحمى إذا الناس ناموا
هو قد نال كل ما يتمنى وسَعَتْ في مراده الأيام

وقال :

لطائف حسننها بر بوع قلبي لطائف ألبأتني للغرام
تريك تكاسلا في اللحظ منها لتحسبه تنبه من منام

وقال :

إذا زُرْتَ حَيًّا بالعقيق فخيرهم وذَكَرَهُمْ عهدى وحق ودادى
حرام فراق العيس حتى تحلنى بواديه من تلك الوجوه بوادى

وقال :

من فرط ما في الطرف من فتنة قد غلب الحب على الناس
قالت نسيت العهد قلت اكفى عني فما عبدك بالناسى

وقال :

بين نعمان وسلع ملأ ليس منهم لمحب ألم^(١)
كلني منهم بيدر حل في فلك العليا فاعرف من هم

وقال :

أراقبها وحين أرى سيلا أقاربها فتقفر كالغزال^(٢)

(١) نعمان وسلع : موضعان يكثر ذكرهما في شعر المشاركة

(٢) بين « أراقبها » و « أقاربها » ضرب من الجناس

وقالت أنت مرتقب لماذا فقلت لها ارتقابي للهلال
وله من قصيدة مطوّلة في فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت ، فما يختص منها
بأبي بكر رضى الله تعالى عنه قوله :

فمنهم أبو بكر خليفة الذى	له الفضل والتقديم فى كل مشهد
وصديق هادى الخلق والمؤثر الذى	لإنفاقه للمال فى الله قد هدى
وصهر رسول الله وابنته التى	يبرئها أى الكتاب المجد
وصاحبه فى الغار إذ قال لا تخف	فثالثنا ذو العرش أوثق منجد
وسد على المختار تخرج حية	هناك برجل منه فازت بأسعد
وفيه وفى خير الأنام تسامعوا	بمكة صوت الهاتف المتقصد
(جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتى أم معبد) ^(١)
وعتق بلال حسبه فهو سيد	تأمل فى الإسلام إعتاق سيد
وقال رسول الله إن آمنكم	على أبو بكر وأوفى بموعده
فصدّق إذ كذبتم ، وأطاع إذ	عصيتم ، ووافانى موافاة مُسْعِدٍ
ولو أننى من أمتى كنت آخذاً	خليلاً تولى خلتي وتوددى
لكان أبو بكر ولكن أخوة	فى الأسلام مهماتنقص الناس تزد
فلما أراد الله قبض نبيه	وصار إلى دار النعيم الخلد
تقدم فى نيل الخلافة بعده	بإجماعهم لا بالحسام المهند
وقد فارقت يوم السقيفة فرقة	فلما رأته الحق لم تتردد
وقام على بعد ذلك مبايعا	فأثنى ثناء الخالص المتوود
وأظهر عذرا فى تأنيبه صادقا	وبايع طوعاً لا لفقدان مسند) ^(٢)

(١) هذا بيت من الشعر يذكر أصحاب السير أن أهل مكة أصبحوا يوماً - بعد

هجرة الرسول - يسمعون منشدا ينشده ولا يرونه

(٢) يريد أن علياً كرم الله وجهه لم يبايع لأنه فقد الأعوان والأَنْصار ، وإنما

بايع عن طواعية واختيار بعد أن اعتذر عن تأخره بمواساة زوجه فاطمة الزهراء

فَأَبْ بِحَمْدِ مِنْهُمْ غَيْرَ قَاصِرٍ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْإِنصَافَ وَالْحَقَّ يَحْمَدُ
وَمَا أَشْبَهَ الصَّدِيقَ فِي الْفَضْلِ مِثْلَهُ وَلَا أَحْصَيْتُ أَوْصَافَهُ بِتَعْدَدِ
وَمَا يَخْتَصُّ بِعَمْرِ رَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَوْلُهُ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَيَقْبَعُهُ فِي فَضْلِهِ تُعْمَرُ الَّذِي رَمَى عَنْ قَسَى الصَّدَقِ قَوْسَ مَسَدَدِ
وَمَا كُلُّ مَنْ رَامَ السَّعَادَةَ نَالَهَا وَلَكِنَّهُ مِنْ يَسْعَدُ اللَّهُ يَسْعَدُ
هُوَ الْمَرْءُ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ الْحَقُّ صَاحِبَا وَلَا قَعْدَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ بِمَقْعَدِ
وَلَا سَلَكَ الشَّيْطَانُ فِجْجًا قَدْ اغْتَدَى لَهُ مَالِكَ مِنْ خَوْفِهِ الْمَزِيدِ^(١)
وَمَنْ ظَلَمَ قَدْ كَانَ يَنْفِرُ هَيْبَةً لَهُ حَيْثُمَا أَضْحَى بِرُوحٍ وَيَغْتَدَى
وَقَدْ جَاءَ عَنْهُمْ مَا بَرَحْنَا أَعْزَةً بِإِسْلَامِهِ فَأَنْكَفَ مِنْ كَانَ يَعْتَدَى
وَمَنْ فَضْلُهُ رَعَى النَّبَى بَغِيرَةً لَهُ فَأَنْثَى عَنْ قَصْرِهِ الْمُتَشِيدِ
وَقَدْ قِيلَ لِلْفَارُوقِ هَذَا ، وَمَنْ بِهِ فَأَنْبَاهُ عَنْ هَذَا النِّعَمِ الْمُؤَبَّدِ
فَأَقْبَلَ يَبْكِي قَائِلًا كَيْفَ غَيَّرْتَنِي عَلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا كُنْتُ أَهْتَدِي
وَرَوْيَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْقَدَحِ الَّذِي تَنَاولَ مِنْ دَرَبِهِ رِيَةَ الصَّدَى
فَمَا زَالَ يَبْدَى شَرْبَهُ وَيَعِيدُهُ إِلَى أَنْ غَدَا مِنْ ظَفَرِهِ الرِّىَ يَبْتَدَى
فَأَوَّلَهُ الْعَلَمُ الَّذِي مِنْهُ نَالَهُ وَأَوَّلَ رَوْيَا الدُّلُوحِ حَسَنَ التَّائِدِ
فَصَارَتْ لَهُ غَرْبًا فَأَرَوَى بِهَا الْوَرَى فَكَانَ افْتِتَاحَ الْأَرْضِ فَتَحَ مَمْدِ
كَذَاكَ قَيْصُ مَفْرَطِ الطُّولِ سَابِغِ وَلِلنَّاسِ قِصَصُ بَعْضُهَا يَبْلُغُ التَّئِدِ^(٢)
فَأَوَّلَ خَيْرِ الْخَلْقِ طَوْلَ قَيْصِهِ بِمَا حَازَ فِي إِيْمَانِهِ مِنْ تَشِيدِ
وَتَفْرِيقِهِ مَا بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلِ بِيَوْمِ سَقَى الْكُفْرَانَ أَفْطَعَ مَوْرِدِ

(١) هذا من نص حديث ورد في شأن عمر « ماسلك عمر جفا لإسلاك الشيطان جفا غيره » كناية عن سداذه وتوقيفه .

(٢) هذا من حديث رواه البخاري وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في نومه قوما يلبسون قمصا فنههم من يبلغ قميصه نديه ورأى عمر بينهم يلبس قميصا سابغا ، وأول لأصحابه ذلك بالإيمان .

وسمى بالفاروق من أجل هذه وما زال في نص الهدى ذا تجلده
وحسبك أن الله وافق رأيه لدى يوم بدر إذ رأى قتل من فدى
كذا في أذان والحجاب وجعلهم مصلى مقاما للخليل بمسجد
شديد على أهل الهوى رحمة لمن عن الحق لم يخنح ولم يتحيد
وما قد رَوَوْا إن كان في أمة فتى يُحدث الفاروق من ذلك فاعدد
وما أبغض الفاروق إلا مفارق لدين الهدى ذو مذهب لم يسدد
وبما يختص بعثمان رضي الله تعالى عنه قوله :

وحسبي عثمان بن عفان أنه عليه اعتمادى وهو سؤلى ومقصدى
إمام صبور الأذى وهو قادر حلیم عن الجانى جميل التعود
هو الجامع القرآن والقانت الذى إذا جنّ ليل ليس يأوى لمَرَقَدِ
ويقطع بالصوم النهار وينثى مدى ليله في خشية وتهجد
وقال رسول الله في بئر رومة أما مشترى بها الأجر في غد^(١)
له الجنة العليا بذلك فاشترى وتجهز جيش العسرة اذكر وعدد
فقال رسول الله إذ جاءه بما قد احتاج من مال وظهّر وأعبد^(٢)
هنيئا لعثمان بن عفان فعله وما ضره ما بعد مع هذه اليد
وقول ألا أبدى حياء لمن له قد استحت الأملاك أشرف محتد
وبلغ بشرى الهاشمى بأنه من الجنة العليا بأكرم مقعد
ولم يرض صونا للدماء بجرهم وكان متى يستنجد القوم ينفج
فمات شهيدا صابرا فهو خير من على نفسه في غير حق قد اعتدى
على بنتي المختار أرخى ستوره فناهيك من مجد وعز مجد

- (١) من فضائل ذى النورين عثمان بن عفان أنه اشترى بئر رومة وجعلها للمسلمين ، وأنه جهز جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام العسرة .
(٢) الظاهر : الركائب ، سميت بذلك لأن راكبها يمتطى ظهرها ؛ فهو من تسمية الشيء باسم جزئه لأن لهذا الجزء مزيد اختصاص .

ولم يدع ذا النورين إلا لأنه حوى بيته نورين من نور أحمد
وإن لعثمان بن عفان رتبة من المجد تسمو عن سمالك وفرقد
ومما يختص بعلي رضي الله تعالى عنه قوله :

وإن عليا كان سيف رسوله وصهر النبي المجتبي وابن عمه
وزوجه رب السما من سمائه بخير نساء الجنة الفر سؤودا
فباننا وجلُّ الزهد خير حالاها وقد آثرا بالزاد من كان يجتدي
حلي لها رعيا لذلك التزهد وفي السندس الغالي غدا سوف يقتدى
وقال رسول الله إني مدينة من العلم وهو الباب والباب فاقصد^(١)
ومن كنت مولاه علي وليه ومولاك فاصدق حب مولاك ترشد^(٢)
وإنك مني خاليا من نبوة كهرون من موسى وحسبك فاحمد^(٣)
وكان من الصبيان أوّل سابق إلى الدين لم يسبق بطائع مرشد
وجاء رسول الله مرتضيا له وكان عن الزهراء بالمتشرد
فمسح عنه التراب إذ مس جلده وقد قام منها آلفا للتفرّد
وقال له قول التلطف « قم أبا تراب » كلام المخلص المتوّد
وفي ابنيه قال المصطفى ذان سيّدا شبابكم في دار عز وسؤود
وأرسله عنه الرسول مبلغا وخصّ بهذا الأمر تخصيص مفرد

- (١) يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنا مدينة العلم وعلى بابها »
(٢) ويروى أنه قال « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه »
(٣) ويروى أنه قال لعلي « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدي »

وقال هل التبليغ عني ينبغي لمن ليس من بيتي من القوم فافتد
وقد قال عبد الله للسائل الذي أتى سائلا عنهم سؤال مشدد
وأما عليّ فالتفت أين بيته وبيت رسول الله فاعرفه تشهد
وما زال صواما منيبا لربه على الحق قواما كثير التعبد
قنوعا من الدنيا بما نال معرضا عن المال مهما جاءه المال يزهد
لقد طاق الدنيا ثلاثا ، وكلما رآها وقد جاءت يقول لها ابعدي
وأقربهم للحق فيها وكلهم أولو الحق لكن كان أقرب مهتد

ومنها في ذكر السبطين رضي الله تعالى عنهما :

وبالحسين السجين توسلي يجدهما في الحشر عند تفردى
هما قرناعين الرسول وسيدا شباب الورى في جنة وتخلد
وقال : هما ريحانتي ، أحب من أحبهما ، فاصدقهما الحب تسعد
هما اقتسما شبه الرسول تعادلا وماذا عسى يحضيه منهم تعددى
فمن صدره شبه الحسين أجله وللحسن السامى مزايا كقوله
وللحسن السامى مزايا كقوله سيصلح رب العالمين به الورى
وإن تطلبوا ابنا للنبي فلن ترؤا وإن تطلبوا ابنا للنبي فلن ترؤا
بدا سيدا ظهر الرسول قد ارتقى فقالوا له طال السجود فقال لا
وكان الحسين الصارم الحازم الذى ولكنما ابني خفت إن قت يشرد
شبيه رسول الله في البأس والندى متى يقصر الأبطال في الحرب يشدد
وخير شهيد ذاق طعم المهند

(١) يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في شأن الحسن السبط رضي الله تعالى عنه « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين » .

لمصرعه تبكى العيون وحقها
فبعدا وسحقا لليزيد وشمره
فمنها في ذكر حمزة رضى الله تعالى عنه :

ومن مثل ليث الله حمزة ذى الندى
فكم حز أعناق العداة بسيفه
فقال رسول الله : هذا أمرته
وقال أبو جهل : أجبت محمدا
وأهوى له بالقوس ما بين قومه
وقال له : إننى على دينه فإن
فذل أبو جهل وأبدى تطفعا
فعاد وقد نال السعادة واهتدى
وفى يوم بدر حث عند سؤالهم
لمن كان أعلام بريش نعامة
فذلك الذى والله قد فعلت بنا
وفى أحد نال الشهادة بعد ما
ففاز وأضحى سيد الشهداء فى
وصلى رسول الله سبعين مرة
وقال : مصاب لن نصاب بمثله
وزاد إلى فضل العمومة أنه
ومازال ذاعرض مصون عن الأذى
كريم متى ما أوقد النار للقرى

مُبِيد العدا مأوى الغريب المطرود^(١)
وذبح عن الخيل كل مشدد
ولى أسد صار لى كل مشهد
لما شاء فاهتز هزة سيد
ونال وأخرى بالحسام المهند
أطقت فخرج عن طريقى واررد
مقرأ بقبح السب فى حق أحمد
وأضحى لدين الله أكرم مسعد
لما شهدوا من بأسه المتوقد
يشردنا مثل النعام المشرود
أفأعيله فى الحرب ما لم نعوّد
أذاق سباعا للردى شر مورد
ملائكة الرحمن يسعى ويفتدى
عليه إلى ثنتين عند التعدد
وإن كان لى يوم سأجزى بأزيد
أخوه رضا هكذا المجد فاشهد
ومال مهن فى العطايا مبسود
(تجد خير نار عندها خير موقد)

ومنها في ذكر العباس رضي الله تعالى عنه :

وقد بلغ العباس في المجد رتبة تقول لبدر التم : قصرت فابعد
ألا إنه فضّل السقاية قد حوى فكان لو فد الله أكرم مورد
وكان طويل الباع في الكاس والندى كريما متى يسترفد القوم يرفد
ويوم حنين ليس ينسى ثباته ودعوته مستنجداً كل منجد
وقال رسول الله فيه على ما عليه وأيضاً مثله في التزيد
ألا إن عم المرء صنو أبيه كي يزيدهم في بره التمسأيد
وبشّره أن الخلافة في الوري لأولاده من سيد ومسود
بشيبته استسقوا إذ المحل شامل فجاءهم غيث سقى كل فدود

وهذا ما وقفت عليه من هذه القصيدة الفريدة ، وليس بيدي الآن ديوان شعره
حتى أكتبها بكاملها فإنها مناسبة لهذا الباب الذي جعلناه ختمًا لكتاب كما لا يخفى
ومن مقطوعات ابن جابر :

شغفت بها حيناً من الدهر لم يكن سوى سكب دمعى في محبتها كسبي
وما أضلُّ هذا كله غير نظرة إلى مقلة منها أضعت لها قاي
وقال :

قد بان عذرى في مليح له لحظاً رشاً يلحظ من ذعر^(١)
إني على الهجر مطيع له ممثّل في السر والجهر

وقال :

هذا الرشا يقنص ليث الشرى بنظرة منــــه فلا مخلص
لو عارض العاذل يوماً له لكان من أول ما يقنص

(١) الرشا : ولد الظبية الذي تحرك ومشى ، وأصله الهمزة ، لأنه سهل الهمزة
بقلبها ألفاً ، والدعر - بالضم - الخوف

وقال :

ظليمة في ثغرها لَعَسٌ^(١) يحتنى من رشفه عسل^(٢)
سلك التيه بمقلتها مسلكا قد زانه كسل

وقال :

رقم الخال خدها فرأينا قمر الأفق فيه نقطة ليل
قلت أين الكتيب والغصن قالت كل ما قد ذكرته تحت ذيلي^(٣)

وقال :

إن خفت من فتك المهنّد والقنا فإذا رنّت وإذا مشت لانتقرب
في قلب برقعها محاسن أنزلت قمر السماء لنا بقلب العقرب

وقال :

رأى عذولي حسنها بعدما حقق كوني للهوى جانحا
فقال إن كنت محبا لها فقد حمدنا رأيك الناجحا

وقال :

ذكر الله بالمرية عيشا لست عن ذكره الجميل أحول
طال عهدي بها وما دمت حيا لا يزيد الرجاء بل قد يطول

وقال :

مرت ليالٍ بالمرية طالما قضيت من ليل بهنّ مآربا
لم أسأل عن تلك الديار وإنما جعل القضاء لكل نفس غالبا

وقال :

لا تعقني عن العقيق فإني بين أكنافه تركت فوادي

(١) اللعس - بالتحريك - سمرة الشفة

(٢) الكتيب : ما اجتمع وتراكم من الرمل ، شبه به ردفها ، كما شبه قدها بالغصن ، وجعلهما تحت ثوبها .

وعلى تَرْبِهِ وقفت دموعي ولُسْكَانَهُ وهبت ودادي

وقال :

عرف المنزل الذي دار فيه زمن الأنس والشباب النضير
فشجاه قلب التلاقي فراقا واثني عنه ذا فؤاد كسير

وقال :

جمال هذا الغزال سحر يا حبذا ذلك الجلال
هلال خَدْيِهِ لم يُغَيَّبْ عني وإن غيب الهلال
غزال أنس يصيد أسدا فاعجب لما يصنع الغزال
دلالة دل كل شوق على إذرانه الدلال
كما له لا يخاف نقصا دام له الحسن والكمال
نباله قد برت فؤادي يا حبذا تلکم النبال
حلال وصلی له حرام وحكم قتلى له حلال
زُلَّالُ ذاك الحمى حياتي وأين لي ذلك الزلال
قتاله لا يطاق لكن يعجبني ذلك القتال

وقال :

إذا جئت نجدا كرم الله عهده فسلم على أهل المنازل من نجد
لئن حال بعد الدار بيني وبينهم فإني لأرعاهم على ذلك البعد^(١)

وقال :

خَجِلْتُ عندما نظرتُ إليها واثنت وهَيَّ بين تيه ومنع
إنما وُرِدُ خدّها زرع طرفي حين مروا فكيف أُمْنَعُ زرعِي^(٢)

(١) حال : كان حائلا ومائعا من التواصل

(٢) شبه حمرة خدّها عند الحجل بحمرة الورد

وقال :

لك نفسى إذا بدت لك نجد
فلقد سرنى الزمان بنجد
فلتلك الخيام عندى عهد
وأبى الله أن أضيع عهدى

وقال :

سل عن القوم إن بدت لك سلع
فقدادى عند الذين بسلع
لى على تلسم المعاهد دمع
كاد يغنى بها عن اللث دمعى^(١)

وقال :

صفحوا عن محبهم وأقالوا
من عثار النوى ومثوا بوصل
لست أستوجب الوصال ولكن
أهل تلك الخيام أكرم أهل

وقال :

مال الزمان بهم غنى وقد بعدوا
لم يلهى عنهم أهل ولا مال
إنى لأخشى وما الأيام طوع يدى
أنى أموت ولى فى القلب آمال

وقال :

بين وادى النقا وبان المصلّى
فتية ألبسوا الوجود جمالا
إن يكن قد نوى لى الدهر قربا
منهم فهو قد كفانى نوالا

وقال :

زرت الديار عن الأحبة سائلا
ورجعت أبكيهم بدمعى سائلا
ونزلت فى ظل الأراكه قائلا
والربع أخرس عن جواب قائلا

وقال :

لا أوحش الله المنازل منهم
منهم غدت تلك الديار حسانا
فاشكر لدهرك أن أراك بحاجر
بان الحى وأراكه قد بانا

وقال :

لك يا وادى العقيق علينا
كل ما شئت من ذمام وثيق
من البر أننى أتبرّى
من عقوق لمنزل بالعقيق

(١) لث المطر — من باب نصر — دام أياما ولم يقلع

وقال :

يا أهل ذى سلم بشرى لمستلم ذاك الثرى مقدم فى السير لم ينم
يؤم داراً بها خير الورى الخاتم الرسل من عرب ومن عجم
ولنقتصر من كلام ابن جابر فى هذا الموضع على هذا المقدار ، وإنما أطببت فيه
لما تقدم من الاعتراض على لسان الدين فى عدم توفيقه فى حق المذكور وحق
رفيقه ، مع أنه أطال فيمن دونهما من أهل عصره ، وأيضاً فإن كلاهما غريب
عندنا بالمغرب ، لكونهما ارتحلا قبل أن يشتهرا كل الاشتهار ، وكان خبرهما
فى الشرق أشهر .

وأما رفيقه شارح بديعيتيه فقد ذكرنا فى غير هذا الموضع بعض حاله وكلامه ،
ولنزيد هنا ما تيسر ، فنقول : من نظمه :

من كلام
أبى جعفر رقيق
ابن جابر

لما عدا فى الناس عقرب صدغها كفت أذاه من الورى بالبرقع
والصبح تحت خمارها منستر عنا متى شئت تقول له اطلع

وقال :

تجنبت فجئ فى الهوى كل عاقل رآها وأحوال الحب خنوب
وما وعدت إلا غدت فى مطالها كذلك وعد الغانيات يكون

وقال :

لا تجددوا فى الهوى على كلف نظيره فى الغرام لن تجددوا
لهفان ما يشتكى إلى أحد ظمان غير الدموع لا يجد

وقال :

رب ليل قطعته بالجزيره فتذكرت أهلنا بالجزيره
قصر الأنس ما تطاول منه وكذا أزمن السرور يسيره

قال : والجزيرة الأولى المراد بها حصص المحيط بها النهر المسمى بالعاصي ، والثانية جزيرة الأندلس .
وله أيضا :

ومالى والتزين يوم عيد وجيدُ صباقتي بالدمع حالى
وقد أرسلت أشهبها بريدًا وبعد كميّتها ينبى بحالى

والمراد بالأشهب الدمع الذى لا يشوبه شيء ؛ وبالكميّات الدمع المشوب بالدم ،
وفى شرح البديعية وقد ذكر العقيق بعد كلام ما نصه : قلت : وكان هذا الوادى
المبارك زمن عثمان رضى الله تعالى عنه ذا قصور محتمّة ، وحدائق ملتفة ، وبنيان
مشيد ، ونخل طلعه نضيد ، وجنات تؤتى أكلاها كل حين ، وسواقٍ تجرى به بماء
معيّن ، ثم لعبت به أيدى السنين ، وغيّرت معاملته فصار عبرةً للناظرين ، فلم يبق
من معاهده إلا آثار تشهد بحسنه ، ونضرة نعيم تدل على ما سلف من نضارة
غصنه ، وقد خرجنا إلى هذا الوادى أيام مجاورتنا بالمدينة الشريفة ، وهو يتدفق
بمائه ، ويعارض بجوهر حبّابه أنجم سمائه ، وقد سألت شعابه ، وفاض عبّابه ،
والناس تفرقوا فى جهاته ، واقتروشوا غض نباته ، والشّيح قد توشح بالندى ، والأنس
قد راح به وغدا ، والأصيل مذهب الرداء ، والبيداء مخضرة الأنداء ، وبحافتيه
آثار قصور ، ليس لها فى الحسن قصور ، قد بليت وحسنها جديد ، وخربت
وربعها بالأنس مشيد ، انتهى .

ومن بديع نظمه قوله :

مهلا فما شيمُ الوفا منقادة لمن ابتغى من نيلها أو طارا^(١)
رُتبُ المعالى لا تنال بحيلة يوما ولو جهد الفتى أو طارا^(٢)

(١) الأوطار هنا : جمع وطر — بالتحريك — وهو الحاجة

(٢) « أوطارا » مركبة من « أو » العاطفة ، و « طار » فعل ماض

وقوله رحمه الله تعالى :

على وادى العميق سكبت دمعى بلا عين فيبدو كالعميق
فكم غُصْنٌ ورَيْقٍ منه يحكى قوام رشاشه فى رقيق^(١)

وقال :

سألتك بالله يا من غدا يصرف بالقلب أفعاله
تدارك محبا بدرىاق وصل فإن بعداك أفعى له

وقال :

لأن آمننه على القـلو ب فنه أصل غرامها
فلحـاظه منـ التـى رمت الورى بسهامها
ومن فوائده رحمه الله تعالى فى شرح البديعية مانصه : ومن غريب ما فى «لدى»
أن أبا على حكى فى تذكرته عن المفضل أنها أنت بمعنى «هل» وأنشد :
لدى من شَبَابٍ يُشْتَرَى بِمَشِيب وكيف شبابُ المرء بعد ذهاب ؟
رجع - وقال رحمه الله تعالى يتشوق إلى خمراء غرناطة :

دامت على الخمراء حمر مدامعى والقلب فيما بين ذلك ذائب
طال المـدى بى عنهم ولربما قد عاد من بعد الإطالة غائب

وقال :

ما هبَّ من نحو السبيكة بارق إلا غدا شوق لقلبي سالكا
والله ما اخترت الفراق لربما لكن قضاء الله أوجب ذلكا

وقال :

منازل سلمى إن خلت فلطالما بها عمرت فى القلب منى منازل

(١) ورقيق فى صدر البيت : وصف معناه الكثير الورق ، و «ورقيق» فى آخر

البيت مؤلف من واو العطف و «رقيق» وهو ماء الفم

رسائل شوقى كل يوم تزورها وماضِيَتْ عند الكرام الرسائل
وقال :

بجور الوداع لنا موقف أذاب القواد لأجل الوداع
فأنا أنسى غداة النوى وحادى الركائب للبين داعى
قال : وجور الوداع موضع بظاهر غَرْ ناطة عادةً من سافر أن يودع هناك.
وقال :

ناولته وردة فاحرّ من خجل وقال : وجهى يغننى عن الزهر
انخد ورد ، وعينى ترجس ، وعلى خدى عذار كريحان على نهر
وقال رحمه الله تعالى فى التشريع ^(١) :
يا راحلا يبنى زيارة طيبة نلت المنى ، بزيارة الأخيار
حىّ العقيق إذا وصلت وصف لنا وادى منى ، بأطايب الأخبار
وإذا وقفت لدى المعرف داعيا زال العنا ، وظفرت بالأوطار
وقال :

يا أولًا فى المرسلين وآخرًا الله خصك بالكمال ليرضيك
من قبل آدم قد جعات نبيه قدما فقدّمك الإله ليعليك
أوحى إليك لى تكون حبيبهُ ويتم نعمته عليك ويهديك
وقال :

صيرتنى فى هواك اليوم مشتهرا لاقس لى ولا غيلان فى الأول ^(٢)
زعمت أن غرامى فىك مكنتسب لا والذى خلق الإنسان من عجل

(١) التشريع : أن تبني القصيدة على أن يكون كل بيت منها بحيث إذا حذف
بعضه صار بيتا من ضرب آخر ، وقد بينا لك فى ثلاثة الأبيات مكان القافية التى تبني
عليها الأبيات لو حذف بعضها .

(٢) قيس : مجنون لى ، وغيلان : هو ذو الرمة صاحب مية

وقال :

لا تعادى الناس فى أوطانهم قلما يُرعى غريب الوطن
وإذا ما شئت عيشا بينهم «خالق الناس بخلق حسن»

وقال :

نسختى اليوم فى الحجة أصل فعلها اعتماد كل عميد
نقلوا مرسلا المدامع منها وصحيح الهوى بغير مزيد
قد رواها قبلى جميل وقيس حين هاما بكل لحظ وجيد
ومن فوائده : أنه لما أنشد فى « طراز الحلة » قول سعد الدين محمد بن عربى فى
ابن مالك * إن الإمام جمال الدين فضله * إلى آخره « قال ما ملخصه : ولما أورده
الصفدى فى « فض الختام » قال : هذا فى غاية الحسن لو كان الكتاب المذكور
يسمى « الفوائد » وإنما هو « تسهيل الفوائد » فذكر المضاف إليه دون المضاف ،
وهى تورية ناقصة ، قلت : ابن مالك له كتابان : أحدهما « الفوائد » صنعه أولا
ثم صنع « تسهيل الفوائد » بعده ، وكأنه سهل فيه كتاب الفوائد ، وكنت
وقفت على هذا الكتاب المسمى بالفوائد ببلدنا غرناطة فلما وصلنا إلى هذه البلاد
بحثنا عنه فلم نجده ، وتبادى الأمر على ذلك إلى سنة ٧٦٠ ، فوجدناه فى حلب ،
وهو الآن عندنا ، وهو عزيز الوجود ، ولذلك خفى على القاضى صلاح الدين ،
انتهى وبعضه بالمعنى .

وقال أبو جعفر أحمد المترجم به : كتبت إلى صاحبنا الشيخ بدر الدين
خليل الناسخ :

مَدَدْتَ النوى وقَصَرْتَ اللقا أَرْضَى بِهَذَا وَأَنْتَ الْخَلِيلُ^(١)

(١) هذا من مصطلح النحاة ، الممدود الاسم الذى آخره همزة منقلبة ألف بعد
ألف زائدة مثل « حمراء » ومنه « اللقاء » والمقصود : الاسم الذى آخره الف لازمة
قبلها فتحة ولكنه أراد المعنى اللغوى ، مددت : أى طولت ، وقصرت اللقا : أى جعلت
أوقات اللقاء قصيرة .

وتترك أحمد ذا وحشة لديك وأنت له ابن جليل
وقال :

قد كان لي أنس بطيب حديثكم والآن صار حديثكم برسول
ولقد مددت من النوى مقصوره إن الخليل يراه غير جميل^(١)
وله رحمه الله تعالى :

ما للنوى مدت وأنت خليلنا ولقبل قد قصرت برغم الكاشح
أتبت في ذا مذهباً لا يرتضى أبدا وليس الرأي فيه بصالح
وله :

ولما رأى الحساد منك التفاتة إلى جانب اللهو الذي كان مرفوضا
أضافوا إلى عليك كل نقيصة حقيق لدينا بالإضافة مخفوضا
وله :

حُسْنُكَ ما بين الورى شائع قد عرف الآن بلام العذار
جاء منه مبتدا للهوى خبره الآس مع الجلفار
ولنقتصر على هذا المقدار إلى هنا .

رجع إلى أولاد لسان الدين رحمهم الله تعالى :

وقد قدمنا أن علي بن لسان الدين كان نديم السلطان وخاصته ، كما ذكرنا في
مخاطبته لابن مرزوق في الباب الخامس قوله : فالسلطان يراه الله تعالى يوجب
ما فوق مزية التعميم ، والولد هدام الله تعالى قد أخذوا بحظ قل أن ينالوه بغير هذا
الإقليم ، والخاصة والعامة تعامل بحسب ما بكتته من نصيح سليم ، وترك لما بالأيدى

عود
إلى ذكر علي
بن لسان الدين
بن الخطيب

(١) فيه تورية بالخليل بن أحمد شيخ النجاة ، وأراد بالخليل الصديق ،
وزيد ملاحظة التورية أن يكون اسم المكتوب إليه « خيلا »

وتسليم ، وتدير عاد على عدوها بالعذاب الأليم ، إلا من أبدى السلامة وهو من إبطان الحسد بحال السليم ، انتهى .

ولقد صدق رحمه الله تعالى فيما ذكره من النصيح وغيره .

ومن نصائحه رحمه الله تعالى ما كتب به على لسان السلطان ، ونصه : من عبد الله أمير المسلمين محمد وصل الله تعالى سعيده ، وبلغه من فضله العميم قصده ، إلى أوليائنا المخصوصين منا ومن سلفنا بدمام الجوار القريب ، والمساكنة التي لا يتطرق إلى حقها الذي بنى استراحة المستريح ، المعتمدين إذا عذت الرعايا ، وذكرت المزاي ، بمزيد الاعتناء والتقريب ، من الأشياخ الجلة الشرفاء والعلماء ، والشدور الفقهاء ، والعدول الأذكياء ، والأعيان الوزراء ، والحماة المدافعين عن الأرجاء^(١) ، والأمناء الثقات الأتقياء ، والكافة الذين نصل إليهم عوائد الاعتناء ، ونسير فيهم بإعانة الله تعالى على السبيل السواء ، من أهل حضرتنا غرناطة المحروسة بفضل الله تعالى وربصها ، شرح الله تعالى لقبول الحكمة والموعظة الحسنة صدورهم ، وكنت بنتائج الاستقامة سرورهم ، وأصلح بعنایتهم أمورهم ، واستعمل فيما يرضيهم أميرهم وأمورهم .

سلام كريم عليكم أجمعين ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد حمد الله الذي إذا رضى عن قوم جعل لهم التقوى لباسا ، والذكرى لبناء المتأب أساسا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي هدانا إلى الفوز العظيم ابتغاء لرحمته والتماسا ، والرضا عن آله الذين اختارهم له ناسا ، وجعلهم مصاييح من بعده اقتداء واقتباسا ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى إعزازكم ! وحرس أحوالكم ! وجعل للعمل الصالح اهتزازكم^(٢) ! وبقبول النصائح امتيازكم ! - من مستقرنا بمحروسة

(١) الأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية

(٢) اهتزازكم ، هنا : ارتياحكم ومسرة أنفسكم

الجرأ ، حمّاه الله سبحانه ، ولا متعرف بفضل الله تعالى إلا هداية تظهر على الأقوال والأعمال ، وعناية تحف من اليمين والشمال ، وتوكل على الله يتكفل لنا ببلوغ الآمال ، وأنتم أولياؤنا الذين لا ندّخر عنهم نصحا ، ولا نُهمل في تدبيرهم ما يشرُّ بُحْثًا ، وبحسب هذا الاعتقاد لا نفعل عن نصيحة ترشدكم إذا غفلتم ، وموعظة نقضها عليكم إذا اجتمعتم في بيوت الله واختلقتهم ، وذبح^(١) عنكم تارة بسلم نَعْقِدُها ، ومطاوله نَسَدُّها ، وتارة بسيف في سبيل الله تعالى نخدّدها ، وعساكر للشهادة رددناها ، ونفوس بوعد الله نعدّها^(٢) ، ونرضى بالسهر انتقام أجفانكم ، وبالكذب لنستريح صبيانكم وولَدَانُكم ، وباقتحام المخاوف ليتحصل أمانكم ، ولو استطعنا أن نجعل عليكم وقاية كوقاية الوليد لجعلنا ، أو أمكننا أن لا تفضلكم رعية بصلاح دين أو دنيا لعلنا ، هذا شغل زماننا منذ عرفنا ، ومرمى همتنا مهما استهدفنا ، وقد استرعانا الله تعالى جماعتكم ، ومَلَأْنَا طاعتكم ، وحرّم علينا إضاعتكم ، والراعى إذا لم يقصد بسأئته المراعى الطيبة ، وينتجع مسافات الغائم الصبيّة ، ويوردها الماء الفير ، ويتنعم بها النماء والشمير ، ويصلح خلها ، ويُدْأَوْ علها ، قل عَدَدُها ، وعدمت غلتها وولدها ، فندم على ماضيته في أمسيه ، وجنى عليها وعلى نفسه ، وألفيناكم في أيامنا هذه الميامن عليكم قد غمرتكم آلاء الله تعالى ونعمه ، وملأت أيديكم مواهبه وقسمه ، وشغل عدوّكم بفتنة قومه فنتمم للعافية فوق مهّاد ، وبعد عهدكم بما تقدم من جهّد وجهاد ، ومُخَصَّصَة^(٣) وسُهاد ، فأشفقنا أن يجرّكم توالى الرخاء إلى البطر ، أو تحمّلكم العافية على الغفلة عن الله تعالى وهى أخطر الخطر ، أو تجهلوا مواقع فضله تعالى وكرمه ، أو تستعينوا على معصيته بنعمه ، فن عرف الله تعالى في الرخاء وجده في الشدّة^(٤) ، ومن استعد في المهل وجد منفعة

(١) ذب : دافع (٢) كذا (٣) المخصصة : الجماعة

(٤) هذا من حديث رواه ابن عباس ، وفيه «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»

العدة ، والعاقلُ من لا يغتر في الحرب أو السلم بطول المدة ، فالدهر مُبلى الجِدَّة ،
 ومستوعب العِدَّة ، والمسلمون إخوانكم اليوم قد شُغِلُوا بأنفسهم عن جبركم ،
 وسلموا لله في نصركم ، ونشبت الأيدي ولا حول ولا قوة إلا بالله بشغركم ،
 وأهمتهم فتن تركت رسومَ الجهاد خالية خاويه ، ورياض الكتائب انخرط
 ذابله ذاويه ، فإن لم تسمروا لما بين أيديكم في هذه البرهة فماذا تنتظرون ؟ وإذا لم
 تستنصروا بالله مولاكم فبمن تستنصرون ؟ وإذا لم تستعدوا في المهل فتى تستعدون ؟
 لقد خسر من رضى في الدنيا والآخرة بالدون ، فلا تأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله
 إلا القوم الخاسرون ، ومن المنقول عن المَلَل ، والمشهور في الأواخر والأول ، أن
 المعصية إذا فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم ، وأظلم ما بينهم وبين ربهم ،
 وانقطعت عنهم الرحمت ، ووقعت فيهم المثلَّات ^(١) والنقبات ، وشحَّت السماء وغيض
 الماء ، واستولت الأعداء ، وانتشر الداء ، وجفَّت الضُّروع ، وأخلفت الرضوع ،
 فوجب علينا أن نستميلكم بالموعظة الحسنة ، والذكرى التي توقظ من السَّنة ^(٢) ،
 وتقرع آذانكم بقوارع الألسنة ، فأفزعوا الشيطان بوغيها ، وتقربوا إلى الله تعالى
 برعيها ، الصلاة الصلاة فلا تهملوها ، ووظائفها المعروفة فكمّلوها ، فهي الركن
 الوثيق ، والعَمِّ المائل على جادة الطريق ، والخاصة التي يتميز بها هذا الفريق ،
 وبادروا صفوفها المائلة ، وأتبعوا فريضتها النافلة ، وأشروعوا إلى تاركها أسنة
 الإنكار ، واغتنموا بها نواشئ الليل وبوادي الأسحار ، والزكاة أختها المنسوبة ،
 ولدتها المكتوبة المحسوبة ، فمن مَنَعها فقد بخل على مولاها ، باليسير مما أولاه ،
 وما أحقّه بذهاب هبة الوهاب وأولاه ، فاشترؤا من الله تعالى كرائم أموالكم
 بالصدقات ، وأنفقوا في سبيله يرحمكم أضعاف النفقات ، وواسوا سؤلاكم كلما نصبت

(١) المثلث : ما أصاب القرون الماضية من العذاب ، واحدها مثلة ، بفتح الميم

وضم التاء المثلثة (٢) السنة - بكسر السين - النوم

الموائد ، وأعيدت للترفة العوائد ، وأزعوا حق الجوار ، وخذوا على أيدي الدعة^(١) والفجار ، وأخرجوا الشنآن^(٢) من الصدور ، واجعلوا صلة الأرحام من عزم الأمور ، وصونوا عن الاغتياب أفواهكم ، ولا تعودوا السفاهة شفاهكم ، وأقرضوا القرض الحسن إلهكم ، وعلّموا القرآن صبيانكم ، فهو أسّ المبنى ، وأزرعوه في تراب ترائبهم فمسي أن يُحني ، ولا تتركوا النصيحة لمن استنصح ، وردوا السلام على من بتحية الإسلام أفصح ، وجاهدوا أهواءكم فهي أولى ما جاهدتم ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، وثابروا على خلق العلم والتعلم ، وحفوا بمرآة التكلم ، وتعلّموا من دينكم ما لا يسعكم عند الله تعالى جهله ، ويقتبين أنكم أهله ، فمن القبيح أن يقوم أحدكم على وقاية برّهِ وشعيره ، ورعاية شاته وبغيره ، ولا يقوم على شيء يخلص به قاعدة اعتقاده ، ويُعيدّه منجاة ليوم معاده ، والله عز وجل يقول ولقوله يرحل المنتجعون (أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وأنفقوا من الحوادث الشنيعة ، والبدع التي تفت في عضد الشريعة ، فقد شن علينا الملبسة بأهل التصوف الغار ، ونال حملتها بل جملتها بإغماضهم الصغار ، وتوّل المعاد والجنة والنار ، وإذا لم يغير الرجل على دينه ودين أبيه فعلى من يغير ، فالأنبياء الكرام وورثتهم العلماء ، هم أئمة الاقتداء ، والأكواكب التي عينها الحق للاقتداء ، فاحذروا معاطب هذا الداء ، ودسائس هذه الأعداء ، وأهم ما صرفتم إليه الوجوه ، واستدفعتم به المكروه ، العمل بأمره جل وعلا في الآية المتلوّه ، والحكمة السافرة المجلوّه ، من ارتباط الخيل وإعداد القوّه ، فمن كان ذا سعة في رزقه ، فليتم لله بما استطاع من حقه ، وليتخذ فرساً يعمر محلته بصهيله ، ويقتنه من أجل الله وفي سبيله ، فكم يتحمل من عيال يلتمس مرضاتهن باتخاذ الزينة ، ويتنافس في أن

(١) الدعة : جمع داعر - بالدال المهملة - وهو الخبيث ، ووقع في ب «الدعة»

بالدال معجمة (٢) الشنآن : البغض والكراهية

يكون من أشرف المدينة ، ومؤنة الارتباط أقل ، وعلى الهمة والدين أدل ، إلى ما فيه من حماية الحوزة^(١) ، وإظهار العزة ، ومن لم يحسن الرمي فليتدرب ، وباتخاذ السلاح إلى الله فليقترب ، وقبل الرمي ترأش السهام ، وعلى العباد الاجتهاد وعلى الله التمام ، والسكة الجارية في حوادث نواديكم ، وأثمان العروض التي بأيديكم ، من احتف حروفها ، ونكر معروفها ، أو سامح في قبول زيف ، أو مبخوس حيف ، فقد اتبع هواه ، وخان نفسه وسواه ، قال الله عز وجل (أوفوا السكيل ولا تكونوا من الخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) وتعلموا أن نبيكم صلوات الله عليه إنما بعثه الله مجاهداً وبالحق قاضياً ، وعن المفوات حلياً متفاضياً ، فتمسكوا بحبله ، ولا تعدلوا عن سبيله ، يروكم الله تعالى من سبيله ، ويراعكم من أجله ، مراعاة الرجل لنجليه ، فهو الذي يقول (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وإن كان في وطنكم اليوم سعة ، وقد ألخفكم أمن من الله تعالى ودعاه ، فأحسبوا أنكم في بلد محصور ، وبين لحي أسد هصور ، واكتنفكم بحر يعب عبابه ، ودار بكم سور يبد عدوكم بابه ، ولا يدرى متى ينتهى السلم ، وينشعب الكلام^(٢) ، فإن لم تكونوا بقاء مروضوا ، وتستشعروا الصبر عموماً وخصوصاً ، أصبح الجناح مقصوصاً ، والرأى قد سلبته الخيره ، والمال والحريم قد سلبت فيه الضغانة والغيره ، وإن شاء الله تهب ريح الحمية ، ونصرة النفوس على الخيالات الوهمية ، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والله مقيم نوره على رغم الجاحدين وكره الكافرين ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، واعتقدوا أن الله تعالى لم يجعل الظهور مقروناً بعدد كثير ، ولو مثل جراد مزرعة

(١) الحوزة - بفتح الحاء وسكون الواو - الناحية ، وبيضة الملك

(٢) ينشعب : ينصعد وينفتق ، والسكام : الجرح

أنارها مثير ، بل بإخلاص لا يبقى لغير الله افتقارا ، ونفوس توسع ما سوى الحق اقتدارا ، ووعد يصدق ، وبصائر أبصارها إلى مثابة الجزاء تحق ، وهذا الدين ظهر مع الغربة ، وشطّفت التربة ، فلم ترعه إلا كاسرة وفيولها ، والقياصرة وخيولها ، دين حنيف ، وعلم منيف ، من وجوه شطر المسجد الحرام تولى ، وآيات على سبعة أحرف تتلى ، وزكاة من الصميم تلتقى ، ومعارض ترتقى ، وحج وجهاد ، ومواسم وأعياد ، ليس إلا تكبير شهير ، وأذان جهير ، وقوة تعد ، وثغور تسد ، وفيء يقسم ، وفخر يرسم ، ونصيحة تهدي ، وأمانة تؤدى ، وصدقة تحفى وتبدي ، وصدور تشرح وتشفى ، وخلق على خلق القرآن تحذى وتقضى^(١) ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا العقد قد سجل ، والوعد به قد عجل (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) ولا ينقطع لهذا الفرع عادة وصله ، ما دام شبيها بأصله ، وإنما هو حلب لكم زبدته المخوضه ، وخلاصته المخوضه ، والعاقبة للمتقين ، ولتعلن نبأه بعد حين ، وحضرتكم اليوم قاعدة الدين ، وغاب^(٢) المجاهدين ، وقد اخترعت بنا أيامنا هذه وأيام والدنا المقدس الأنار الكبار ، والحسنات التى تنوالت بها الأخبار ، وأغفلت إلى زمنكم الحسنة المذخورة ، والمنقبة المبرورة ، وهى بيارستان يقيم منكم المرضى المطرحين ، والضعفاء المغتربين منهم والمعترضين فى كل حين ، فأنتم تطؤونهم بالأقدام ، على مر الأيام ، ينظرون إليكم بالعيون السكلية ، ويعربون عن الأحوال الذليلة ، وضرورتهم غير خافية ، وما أنتم بأولى منهم بالعافية ، والجنانين تكثر منهم الوقائع ، وتفشو منهم إماتة العهد الذائع ، عار تحظره الشرائع ، وفى مثله تسد الذرائع ، وقد فضلتهم أهل مصر وبغداد ، بالرباط الدائم والجهاد ،

(١) حذا حذوه : اتبع طريقه وسلك نهجه ، ومثله ففاه واقتفاه وتقفاه

(٢) الغاب : جمع غابة ، وهى فى الأصل مأوى السباع

فلا أقل من المساواة في معنى ، والمنافسة في مَبْنَى ، يذهب عنكم لُوم الجوار ،
ويزيل عن وجوهكم سِمَات العار^(١) ، ويدل على همّتكم ، وفضل شيمتكم ، أهل
الأقطار ، وكم نفقة تلفت على الرجل في مشروع ، وحرص اعتراه على ممنوع ،
فأسرعوا فالنظر في هذا المهم خير مشروع ، ولولا اهتمامنا بمرتزة ديوانكم ،
وإعدادنا مال الجباية للمجاهدين من إخوانكم ، لسبقناكم إلى هذه الزُلفة ، وقنا
في هذا العمل الصالح بتحمل السُكُفة ، ومع ذلك فإذا قدناكم إلى الخنة بينائه ،
وأَسْمَمْنَاكم في فريضة أجره وثنائه ، فنحن إن شاء الله تعالى نعين له الأوقاف التي
تجرى عنها المرفقة ، وتتصل عليه بها الصدقة ، تأصيلا لفرحكم ، وإطابة في البلاد
لذكركم ، فليشاور أحدكم هِمَّتَه ودينه ، ويستخدم يساره في طاعة القصد الكريم
ويمينه ، ونسأل الله تعالى أن يوفق كلا لهذا القصد ويعينه ، ومن وراء هذه
النصائح عزم ينهيها إلى غايتها ، ويجبر الكافة على اتباع رأيها ورأيها ، فأعملوا
الأفكار فيما تضمنته من الفصول ، وتلقوا داعي الله تعالى فيها بالقبول ، والدنيا
مزرعة الآخرة ، وكم معتبر للنفوس الساخرة ، بالعظام الفاخرة (يا أيها الناس إن وعد
الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ، ولا يفرنكم بالله الغرور) وأنتم اليوم أحقُّ الناس
بقبول الموعظة نفوسا زكية ، وفهُوماً لا فاصرة ولا بَطِيَّة ، وموطن جهاد ، ومستسقى
نعم من رحمة الله تعالى وعِهاد ، ويقايا السلف بالأرض التي فتحوها فيها هذا
الوطن ، وألقوا فيها العَظَن ، فإلى أين يذهب حسن الظن بأديانكم ، وصحة
إيمانكم ، وتساوى إسراركم وإعلانكم ؟ اللهم إنا قد خرجنا لك فيهم عن العهدة
المتحملة ، وبلغناهم نصيحتك المسكلة ، ووعدناهم مع الامتثال رحمتك المؤمله ،
فيسرّنا وإياهم لليسرى ، وعرفنا لطافتك التي خفي فيها المسرى ، ولا تجمعنا

(١) السيات - بكسر السين - جمع سمة ، وهي العلامة ، ووقع في ب « سيات

العار » بزيادة الياء بين السين والميم

مَنْ صَمَّ عَنِ النَّدَاءِ ، وَأَصْبَحَ شِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ ، فَمَا ذَلَّ مِنْ اسْتَنْصَرِ بِجَنَابِكَ ، وَلَا ضَلَّ
مِنْ اسْتَبْصَرَ بِسَنَتِكَ وَكِتَابِكَ ، وَلَا انْقَطَعَ مَنْ تَوَسَّلَ بِأَسْبَابِكَ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
يَصِلُ لَكُمْ عَوَائِدُ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ ، وَيَحْمِلُكُمْ وَإِيَانًا مِنَ التَّوْفِيقِ عَلَى أَوْضَحِ سَبِيلِ ،
وَيَصِلُ سَعْدُكُمْ ، وَيَجْرُسُ مَجْدُكُمْ ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَخْصُكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
وَبَرَكَاتُهُ ، انْتَهَى .

ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان السلطان بعد كلام :
اللَّهُ اللَّهُ فِي الْهَمِّ فَقَدْ خَدَّتْ رِيحُهَا ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْعَقَائِدِ فَقَدْ خَبَّتْ ^(١) مَصَابِيحُهَا ،
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الرَّجُولِيَّةِ فَقَدْ قُلَّ حَدُّهَا ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْغِيَرَةِ فَقَدْ تَعَسَّرَ جَدُّهَا ، وَاللَّهُ
اللَّهُ فِي الدِّينِ فَقَدْ طَمَعَ الْكُفْرُ فِي تَحْوِيلِهِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْحَرِيمِ فَقَدْ مَدَّ إِلَى اسْتِرْقَاقِهِ
يَدَ تَأْمِيلِهِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْمَلَّةِ الَّتِي يَرِيدُ إِطْفَاءَ سَنَاهَا ^(٢) ، وَقَدْ كَمَلَ فَضْلُهَا وَتَنَاهَى ، وَاللَّهُ
اللَّهُ فِي الْحَرِيمِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ الْكَرِيمِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجَبْرِانِ ،
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْوَطَنِ الَّذِي تَوَارَثَهُ الْوَلَدُ عَنِ الْوَالِدِ ، الْيَوْمَ
تَسْتَأْسِدُ النُّفُوسُ الْمَهِينَةَ ، الْيَوْمَ يَسْتَنْصِرُ الصَّبْرُ وَالسَّكِينَةُ ، الْيَوْمَ تَرعى هَذِهِ الْمَسَاجِدُ
الْكَرَامَ الذَّمَّ ، الْيَوْمَ يَسْلُكُ سَبِيلَ الْعِزِّمِ وَالْحَزْمِ وَالشَّدَّةِ وَالشَّمِّ ، الْيَوْمَ يَرْجِعُ
إِلَى اللَّهِ الْمَصْرُوثُونَ ، الْيَوْمَ يَفِيقُ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ الْمَغْتَرُونَ ، قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْهَوْلُ ، وَيَحِقَّ
الْقَوْلُ ، وَيَسُدُّ الْبَابَ ، وَيَحْيِيقُ الْعَذَابَ ، وَيَسْتَرْقُ الْكُفْرُ الرِّقَابَ ، فَالْنِّسَاءُ تَتَّقِي
بِأَنْفُسِهِنَّ أَوْلَادَهُنَّ الصِّغَارَ ، وَالطَّيُورُ تَرْفُرُ لِتَحْمِي الْأَوْكَارِ ^(٣) ، إِذَا أَحْسَتِ الْعَيْثَ
بِأَفْرَاحِهَا وَالْإِضْرَارَ ، تَمُرُّ الْأَيَّامُ عَلَيْكُمْ مَرَّ السَّحَابِ ، وَذَهَابُ اللَّيَالِي لَكُمْ ذَهَابُ ^(٤) ،
فَلَا خَبْرَ يَفْضِي إِلَى الْعَيْنِ ، وَلَا حَدِيثَ فِي اللَّهِ تَعَالَى يَسْمَعُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، وَلَا كَدَّ
إِلَّا لَزِينَةٍ يُحْكَلُ بِهَا نَحْرٌ وَجِيدٌ ، وَلَا سَعَى إِلَّا مَتَاعٌ لَا يَفْنَى فِي الشَّدَائِدِ وَلَا يَفِيدُ ،

(١) خبت : سكنت (٢) السنا الضوء (٣) الأوكار : جمع وكر وهو
عش الطائر (٤) أخذ هذا من قول الشاعر :
يسر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهم له ذهابا

وبالأمس نُدبْتُمْ إلى التماس رُحْمَى مسخَّرِ السحاب ، واستقالة كاشف العذاب ،
وسؤال مرسل الدَّيْمَةِ ، ومحْيى البشر والبهيمة ، وقد أمسكت عليكم رحمة السماء ،
وأغبرَّتْ جوانبكم المحضرة احتياجا إلى بلالة الماء (وفي السماء رزقكم وما توعدون)
وإليها الألف تمدون ، وأبوابها بالدعاء تقصدون ، فلم يُصْحَرْ^(١) منكم عدد معتبر ،
ولاظهر للإجابة ولا الصَّدَقَةُ خبر ، وتوقون من إعادة الرغبة إلى الولي الحميد ، والغنى
الذي إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وإيم الله لو كان لهواً لارتقت الساعات ،
وضاقت المتسعَات ، وتزاحمت على أنديته الجماعات ، أتعزاً على الله وهو القوى العزيز ؟
أتلبس على الله وهو الذي يميز الخبيث من الطيب والشَّبه من الإبريز ؟ أمنا بآية
والنواصي في يديه ؟ أغروراً بالأمل والرجوع بعد إليه ؟ مَنْ يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ من
ينزل الرزق ويفيده ؟ مَنْ يُرْجَعُ إليه في الملمات ؟ مَنْ يُرْجَى في الشدائد والأزمات ؟
من يوجد في الحما والمات ؟ أفى الله شك يختلج القلوب ؟ أئتمَّ غير الله يدفع المكروه
ويسر المطلوب ؟ تفضلون على اللجأ إليه موائد الفضل ، وتره الجهل ، وطائفة منكم
قد برزت إلى استسقاء رحمته تمد إليه الأيدي والرقاب ، وتستكشف بالخضوع لعظمته
العقاب ، وتستعجل إلى مواعيد إجابته الارتقاب ، وكأنكم عن كرمه قد استغنيتم ،
أو على الامتناع من الرجوع إليه بنيتم ، أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله
من التبليغ باليسير ، والاستعداد للرحيل إلى دار الحق والمسير ، ومداومة الجوع ،
وهجر المجوع ، والعمل على الإياب إلى الله تعالى والرجوع : دخلت فاطمة
رضي الله تعالى عنها وبيدها كسرة شعير فقال : ما هذا يا فاطمة ؟ فقالت : يا رسول الله
خبزت قرصة وأحببت أن تأكل منها ، فقال : يا فاطمة أما إنه أول طعام دخل جوف
أيك منذ ثلاث ، وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر في اليوم سبعين مرة يلتمس
رحمته ، ويقوم وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حتى ورمت قدماء ، وكان

(١) أصح : برز للصحراء ، وخرج عن الأنبياء

شأنه الجهاد ، ودأبه الجد والاجتهاد ، ومواقف صبره تعرفها الربا والوهاد ، ومقامات رفقته تحوم على مراتبها الزهاد ، فإذا لم تقتدوا به فيمن تقتدون ؟ وإذا لم تهتدوا به فيمن تهتدون ؟ وإذا لم ترضوه باتباعكم فكيف تعزّون^(١) إليه وتنتسبون ؟ وإذا لم ترغبوا في الاتصاف بصفاته غضبا لله تعالى وجهادا ، وتقللا من العرّض الأدنى وسهادا ، فقيم ترغبون ؟ فابتروا حبال الآمال فكل آت قريب ، واعتبروا بمثلات من تقدم من أهل البلاد والقواعد فذهولكم عنها غريب ، وتفكروا في منابرها التي يعلو عليها واعظ وخطيب ، ومطيل ومطيب ، ومساجدها المتعددة الصفوف والجماعة ، المعمورة بأنواع الطاعة ، وكيف أخذ الله تعالى فيها بذنب المترفين من دونهم ، وعاقب الجمهور بما أغضوا عنه عيونهم^(٢) ، وساءت بالغفلة عن الله تعالى عُقبي جميعهم ، وذهبت النفات بعاصيهم ومن داهن في أمره من مطيعهم ، وأصبحت مساجدهم مناصب للصلبان ، واستبدلت مآذنهم بالنواقيس من الآذان ، هذا والناس ناس والزمان زمان ، فما هذه الغفلة عن إليه الرجعى وإليه المصير ؟ وإلى متى التساهل في حقوقه وهو السميع البصير ؟ وحتى متى مد الأمل في الزمن القصير ؟ وإلى متى نسيان اللجأ إلى الولي النصير ؟ قد تداعت الصلبان مترا كمة عليكم ، وتحركت الطواغيت من كل جهة إليكم ، أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم ؟ وألسنة الآيات تنادىكم ، لم تُمنَحْ سطورها ، ولا احتجب نورها ، وأنتم بقايا من فتحها من عدد قليل ، وصابر فيها كل خطب جليل ، فوالله لو تمحض الإيمان ، ورضى الرحمن ، ما ظهر التلبس في هذه الجزيرة على التوحيد ، ولا عدم الإسلام فيها عادة التأيد ، لكن شمل الداء ، وصم النداء ، وعميت الأبصار فكيف الاهتداء ؟ والباب مفتوح ، والفضل ممنوح ، فتعالوا نستغفر الله جميعا فهو الغفور الرحيم ،

(١) اعتزى فلان إلى فلان : انتسب إليه

(٢) أغضى عنه : أغضى

ونستقبل مُقِيل العثار فهو الرؤف الحليم ، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدمت
أيدينا فقبول المعاذير من شأن الكريم ، سدت الأبواب ، وضعفت الأسباب ،
وانقطعت الآمال إلا منك يا فتاح يا وهاب (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله
ينصركم ، ويثبت أقدامكم) (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون
إن كنتم مؤمنين) (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون) أعدوا الخيل واربطوها ، وروضوا النفوس على الشهادة وغبطوها ، فمن
خاف الموت رضى بالدينية ، ولا بد على كل حال من المنية ، والحياة مع النذل ليست
من شيم النفوس السنية ، واقتنوا السلاح والعدة ، وتعرفوا إلى الله تعالى في الرخاء
يعرفكم في الشدة ، واستشعروا القوة بالله تعالى على أعدائه وأعدائكم ، واستميتوا
من دون أبنائكم ، وكونوا كالبناء المرصوص لحملات هذا العدو النازل بغنائكم ،
وحوطوا بالتعويل على الله تعالى وحده بلادكم ، واشتروا من الله جل جلاله
أولادكم .

ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها وشكت إلى بعض الصالحين ، فأشار
عليها بالصدقة ، فتصدقت رغيف ، فأطلق السبع ولدها ، وسمعت النداء : يا هذه
لقمة بلقمة ، وأنا لما استودعناه لحافظون .

واهجروا الشهوات ، واستدركوا البقية من بعد الفوات ، وأفضلوا^(١) لمسا كينكم
من الأفوات ، واخشعوا^(٢) لما أنزل الله تعالى من الآيات ، وخذوا نفوسكم بالصبر
على الأزمات ، والمواساة في المهمات ، وأيقظوا جفونكم من السّنات ، واعلموا أن
رضعاء ثدى كلمة التوحيد ، وجيران البلد الغريب والدين الوحيد ، وحزب التمهيص ،

(١) أفضلوا : أبقوا

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لله ذكر الله

وما نزل من الحق)

ونفر المَرَام العويص ، فتفقدوا معاملاتكم مع الله تعالى ومهما لقيتم الصدق غالباً ، والقلب للمولى الكريم مراقباً ، وشهاب البنين ثاقباً ، فثقوا بعناية الله التي لا يغلبكم معها غالب ، ولا ينالكُم لأجلها عدو مطالب ، فإنكم في الستر الكثيف ، وكنف الخبير اللطيف ، ومهما رأيتم الخواطر متبددة ، والظنون في الله مترددة ، والجهات التي تخاف وترجى متعددة ، والغفلة عن الله ملامسها متجددة ، وعادة دواعي الخذلان دأمة ، وأسواق الشهوات قائمة ، فاعلموا أن الله تعالى منفذ فيكم وعده ووعيده في الأمم الغافلين ، وأنكم قد ظلمتم أنفسكم ولا عدوان إلا على الظالمين ، والتوبة تردُّ الشارد إلى الله تعالى والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وهو القائل (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) :

وما أقرب صلاح الأحوال مع الله تعالى إذا صحت العزائم ، وتوالت على حزب الشيطان الهزائم ، وخملت الدنيا الغريبة في العيون ، وصدقت فيها عند الله الظنون (يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور) وثوبوا سراعاً^(١) إلى طهارة الثوب ، وإزالة الشوب^(٢) ، واقصدوا أبواب غافر الذنب وقابل التوب ، واعلموا أن سوء الأدب مع الله تعالى يفتح أبواب الشدائد ، ويسد طرق العوائد ، فلا تملأوا بالتوبة أزمانكم ، ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا إيمانكم ، ولا تعلقوا متآبكم بالصرائر ، فهو علام السرائر ، وإما علينا أن ننصحكم وإن كنا أولى بالنصيحة ، ونعتمدكم بالموعظة الصريحة ، الصادرة - علم الله تعالى - عن صدق القريحة ، وإن شاركناكم في الغفلة فقد سبقناكم إلى الاسترجاع والاستغفار ، وإنما لكم لدينا نفس مبذولة في جهاد الكفار ، وتقدم قبلكم إلى مواقف الصبر التي لا ترضى بالفرار ، واجتهاد فيما يعود بالحسنى وعُقْبَى

(١) ثوبوا - بالناء المثناة - أى ارجعوا

(٢) أراد بالشوب كل ما خالط القلوب من الأدران

الدار ، والاختيار لله ولى الاختيار ، ومصرف الأقدار ، وها نحن نسرع في الخروج إلى مدافعة هذا العدو ونفدى بنفوسنا البلاد والعباد ، والحريم المستضعف والأولاد ، ونصلى من دونهم نار الجلال^(١) ، ونستوهب منكم الدعاء لمن وعدَ بإجابته ، فإنه يقبل من صرف إليه وجهَ إنايته ، اللهم كن لنا في هذا الاهتمام نصيرا ، وعلى أعدائك ظهيرا ، ومن انتقام عبدة الأوثان كفيلا ، اللهم قوّ مَنْ ضَعَفَتْ حيلته فأنت القوى المعين ، وانصر من لا نصير له إلا أنت فيأياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الأقدام ، ولا تُسَلِّمْنَا عند لقاء عدو الإسلام ، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام ، اللهم دافع بملأكتك المُسَوِّمين ، اللهم اجعلنا على تيقظ وتذكر من (قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

وقد وردت علينا الخطاطبات من إخواننا المسلمين الذين عرفنا في القديم والحديث اجتهادهم ، وشكرنا في ذات الله تعالى جهادهم ، بنى مَرَيْن أولى الامتعاض لله تعالى والحمية ، والمُخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزية ، بعزمهم على الامتعاض لحق الجوار ، والمصارخة التي تليق بالأحرار ، والنفرة لا نهتاك ذِمار بيتهم المختار ، وحرمة سلطانهم بتلك الأقطار والأمصار ، ومدافعة أحزاب الشيطان وأهل النار ، فاسألوا الله تعالى إعادتهم على هذا المقصد الكريم الآثار ، والسعى الضمين للرزق والأجر والفخار ، والسلام الكريم يخصكم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته ، انتهى .

(١) تقول « صلى فلان حر النار يصلى — مثل رضى رضى » وفي القرآن الكريم (لا يصلها إلا الأَشْقَى) والجلاد — بكسر الجيم — مجالدة الكفار

ومما كتبه ابنُ لسان الدين رحمه الله تعالى على لسان سلطانه الغنى بالله تعالى والنظر إليهم بعين الشفقة ما صورته :

هذا كتاب كريم أصدرناه بتوفيق الله تعالى شارحا للصدور ، مصلحا بإعانة الله تعالى للأُمور ، مُلحفا العدل والإحسان الخاصة والجمهور ، يعلم من يسمعه أو يقف عليه ، وَمَنْ يقرؤه ويتدبر ما لديه ، ما عاهدنا الله تعالى عليه من تأمين النفوس وحقن الدماء ، والسير في التجافي عنها على السَّنَنِ السَّوَاءِ (١) ، ورفع الثَّأور عن البعيد منها والقريب ، والمساواة في العفو والغفران بين البرىء منها والمريب ، وحمل من ينظر بعين العداوة في باطن الأمر تحمّل الحبيب ، وترك ما يتوجه بأمر المطالبات ، ورفض التبعات ، مما لا يعارض حكما شرعيا ، ولا يناقض سننا في الدين مرعيا ، فمن كان رهن تبعة أو طريد شهمة ، أو منبوزا في الطاعة برية توجب أن نزيق دمه ، فقد سحبتنا عليه ظلال الأمان وألحفناه أثواب العفو والغفران ، ووعدناه من نفسنا مواعد الرفق والإحسان ، حكما عاما ، وعفو اتاما ، فاشيا في جميع الطبقات ، منسجبا على الأصناف المختلفة ، عاملنا في ذلك من يتقبل الأعمال ، ولا يضيع السؤال ، واستغفرنا عن نفسنا وعن أخطأ علينا من رعتنا ممن يدرأ الشرع غلظته ، ويقبل الحق فيأثمه ، ومن يستغفر الله يمجده الله غفورا رحما ، لما رأينا من سر اتفاق الأهواء والضمائر ، وخلوص القلوب والسرائر ، في هذا الوطن الذي أحاط به العدو والبحر ، ومسّه بتقدم التقنية الضر ، وصلة لما أجراه الله تعالى على أيدينا ، وهياه بنا في نادينا ، فلم يخف ما سكن بنا من نار فتنة ، ورفع من بأس وإحنة ، وكشف من ظلمة ، وسدك من نعمة ، وأصفي من مورد عافية ، وأولى من عصمة كافية ، بعد ما نخربت الثغور ، وفستد الأمور ،

(١) السنن - بالتحريك - الطريق ، والسواء - السوى المستقيم

واهتضم الدين ، واشتد على العباد كَلَبُ الكافرين المعتدين ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس فله الحمد دائماً ، والشكر واجباً ، ومن الله نسأل أن يتم نعمته علينا كما أتمها على أبونا من قبل إن ربك حكيم عليم ، ونحن قد شَرَعْنَا في تعيين مَنْ ينوب عنا من أهل العلم والعدالة ، والدين والجلالة ، للتطوف في البلاد الأندلسية ، ومباشرة الأمور بالبلاد النّصرية ، يُنْهَوْنَ إلينا ما يستطلعونّه ، ويبلغون من المصالح ما يتعرفونه ، ويقيدون ما محتاج إليه الثغور ، وتستوجه المصلحة الجهادية من الأمور ، ونحن نستعين بفضلاء رعيقتنا وخيارهم ، والمراقبين الله تعالى منهم في إيرادهم وإصدارهم ، على إنهاء ما يخفى عنا من ظلامّة تقع ، أو حادث يبتدع ، ومن اتخذت بجواره خمر فاشية ، أو نشأت في جهته للمعكر ناشية ، فنحن نقلده العهد ، ونطوّقه القلادة ، ووراء تنبيهنا على ما خفى من الشكر لمن أهداه ، وإحماد سعى من أبلغه وأداه ، ما نرجو ثواب الله تعالى عليه ، والتقرب به إليه ، فن أهدى لنا شيئاً من ذلك فهو شريك في أجره ، ومقامهم في مثوبته يوم ربح تجره ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، انتهى .

وإذ أجرينا طرف القلم ملء عنانه فيما لسان الدين رحمه الله تعالى من النصائح والمواعظ والوصايا ، وما يرجع بالنفع على الخاصة وجمهور الرعايا ، ما كَلَّ (١) دون شأوه ، وقصر عن أمدّه مَدِيدُ خَطْوِهِ ، وقد تقدم في هذا الكتاب من ذلك جملة وافرة ، فلتراجع في محالها المتكاثرة ، وقد آن أن نسرّد في هذا المحل الوصية التي أوصى لسان الدين رحمه الله تعالى بها أولاده ، وهي وصية جامعة نافعة ، يحصل بها انتعاش ، لاشتمالها على ما لا بد منه في المعاد والمعاش ، ونصّها :

وصية
لسان الدين
لأولاده

الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب (٢) ، إذا شيم نجمه المثقوب ، ولا يبعثه

(١) كل : ضعف وفتر ، والشأو - بالفتح - الغاية والطلاق

(٢) لا يروعه : لا يخيفه ، والحمام - بالكسر - الموت

الأجل المكتوب ، ولا يفجؤه الفراق المعتوب ، مُلهم الهدى الذى تطمئن به القلوب ، وموضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة من قسم الوجوب ، لا سيما للولى المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل فى الكتاب المعجز الأسلوب ، (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب) (وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) .
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب ، وأشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة فلا تقمحه العيون ولا نصمه^(١) العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على لسان الاستقامة بالهوى المغلوب ، والأمل المسلوب ، والافتداء الموصل [إلى] المرغوب ، والعز والأمن من اللغوب .

وبعد ، فإنى لما علانى المشيب بقمته ، وقادنى الكبر برُمته^(٢) ، وادكرت بعد أمته ، أسفت لما أضعت ، وندمت بعد الفطام على ما رضعت ، وتأكد وجوب نصحى لمن لزمنى رَغِيهِ ، وتعلق بعينى سَعِيهِ ، وأملت أن تتعدى إلى ثمره استقامته وأنا رهين فَوَاتٍ ، وفى برزخ أموات ، ويأمن العثور فى الطريق التى اقتضت عثارى ، إن سلك وعسى أن لا يكون ذلك على آثارى ، فقلت أخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد ، بعد الضراعة إلى الله تعالى فى توفيقهم ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ، وأن يمين على منهم بحسن الخلف ، والتلافى من قبل التلف ، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ، فهو ولى ذلك ، والهادى إلى خير المسالك .
اعلموا هذاكم الله تعالى الذى بأنواره تهتدى الضلال ، و برضاه ترفع الأغلال ، وبالتماس قر به يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها الشمال - أئى مُودعكم وإن سألنى الردى ، ومفارقكم وإن طال المدى ،

(١) وصمه يصفه - من باب ضرب - عابه ونقصه

(٢) الرمة - بضم الراء - الحبل ، ويقال « أخذ الشيء برمته » أى أخذه كله

لم يبق منه شيئا ، وأصله الجمل يأخذه بخطامه

وما عدا مما بدا ، فكيف وأدوات السفر تجمع ، ومنادى الرحيل يسمع ، ولا أقل
للحبيب المودع من وصية مختصر ، وعجالة مقتصر ، ورتيمة^(١) تعقد في خنصر ، ونصيحة
تكون نشيدة واع مبصر ، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدي ، وتوضح
لكم من الشفقة والحنوة قصدي ، حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدى ، فهي
أربكم الذي لا يتغير وقفه ، ولا يبالكم المكروه مارف عليكم سقفه ، وكأني
بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ، وبناشطكم قد كسل ، واستبدل
الصاب من العسل ، ونصول الشيب تروع بأسل ، لابل السام من كل حذب
قد نسل ، والمعاد للحد ولا نسل ، فبالأمس كنتم فراخ حجر ، واليوم أبناء عسكر
مجر^(٢) ، وغد أشيوخ مضية وعجر ، والقبور فاغرة ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ،
والدنيا بأهلها ساخرة ، والأولى تعقبها الآخرة ، والحازم من لم يتعظ به في أمر ،
وقال : بيدي لا بيد عمرو ، فافتنوها من وصية ، ومرام في النصيح قصية ، وخصاوبها
أولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا ، وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق
الخلق هملا ، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، ولارضى الدنيا منزلا ، ولا لطف
بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ، ولتلقنوا تلقينا ، وتعلموا علما يقينا ، أنكم لن
تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي ، ويفترش التراب جنبي ، ويسح انسكابي ، وتهرول
عن المصلى ركابي ، أحرص مني على سعادة إليكم مجلب ، أو غاية كمال بسبيكم
ترتاد وتطلب ، حتى لا يكون في الدين والدنيا أو زف منكم ظلا ، ولا أشرف
محلا ، ولا أغبط نهلا وعلا ، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولي
الآذان ، وتسلمحوا صُبْح نصحي فقد بان ، وسأعيد عليكم وصية لقمان (أعود
بالله من الشيطان الرجيم ، وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله إن

(١) الرتيمة - ومثله الرتمة ، بالفتح - خيط يشد في الإصبع لتذكر به الحاجة

(٢) عسكر مجر : كثير

الشرك لظلم عظيم ، يابني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وأنه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من ذلك من عزم الأمور ، ولا تُصعِّرْ خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) وأعيد وصية خليل الله وإسرائيل ، حكم ما تضمنه حكم تنزيله (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون) والدين الذي ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره مصطفاه ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أعمل فيه انتقاد ، فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مقرر ، ومستمد من عقل أو نقل محرر ، والعقل متقدم ، وبنائه مع رفض أخيه متهدم ^(١) ، فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ، تنزه عن الزمان والمكان ، وسبق وجوده وجود الأكوان ، خالق الخلق وما يعملون ، الذي لا يُسأل عن شيء وهم يُسألون ، الحى العليم المدبر القدير (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) أرسل الرسل رحمة لتدعو الناس إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء ، مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ، ثم ختم ديوانهم بنبي ملقنا المرعية الحمل ، الشاهدة على الملل ، فتلخصت الطاعة ، وتعينت الإمرة المطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة ، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشراً ، وترك دينه يضم من الأمة نشرأ ، فمن تبعه لحق به ، ومن تركه نوّط عنه في منسبه ، وكانت نجاته على قدر سببه ، روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدى : كتاب الله ، وسنتي ، فعضوا عليهما بالنواجذ » فاعملوا يابني بوصية من ناصح جاهد ، ومشفق شفقة والد ، واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه ، وعُوا

(١) يريد أن العمل بما يقتضيه العقل مع رفض ما صحح بما ورد به السمع غير مقبول ، والحكم كذلك بإجماع أئمة المسلمين الذين يعتد بإجماعهم

مرآشدهديه فيافوزواعيه ، وصِلُوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به مجملأ ومفصلا على حسبه ، وأوجبوا التجلة لصحبه الدين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير ، وتبرؤا من العصبية التي لم يدعكم إليهاداع ، ولا تعرّ التشاجر بينهم أذن واع ، فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة ، وأتمها الجلة ، فهم صقلة نصولهم ^(١) ، وفروع ناشئة من أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ، واعلموا أنني قطعت في البحث زمانى ، وجعلت النظر شانى ، منذ برآنى الله تعالى وأنشأنى ، مع نبل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ، فلم أجد خابط ورك ، ولا مصيب عرق ، ولا نازع خطام ، ولا متكلف فظام ، ولا مقتحم بحرطام ، إلا وغيابته التي يقصدها قدنضلتها الشريعة وسبقها ، وفرعت ثنيتها وارتقتها ، فعلمكم بالتزام جادتها السالبة ، ومصاحبة رفقتها الكاملة ، والاهتداء بأقارها غير الآفة ، والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقد علت شرائعه وراع الشكوك رائعه ، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وأبدلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود فى النار أبد الأبدى ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ، ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين ، فاحذروا المعاطب التي توجب فى الشقاء الخلود ، وتستدعى شوه الوجوه ونضج الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سخطه ، وارزبوا بنفوسكم عن غمظه ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغيرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل ائتلافكم ، واقنعوا

(١) صقلة : جمع صاقل ، وهو اسم الفاعل من « صقل فلان سيفه يصقله » من

باب نصر - إذا جلاه ، والنصول : جمع نصل ، وهو هنا السيف .

منه بما تيسر ، ولا تأسوا على ما فات وتعذر ، فإنما هي دُجْنَةٌ ينسخها الصباح ، وصفقة يتعاقبها الخسار أو الرباح ، ودونكم عقيدة الإيمان فُشِدُوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا الشبه^(١) أن تدنوا إليها .

واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفوه عمل ، وكل ما سوى الراعى همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة ، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة ، وتفكروا في آياته ومعانيه ، وامثلوا أواصره ونواحيه ، ولا تتأولوه ولا تغفلوا فيه ، وأثر بوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه ، وصونوا شعائر الله صون المحترم ، واحفظوا القواعد التي ينبئ عليها الإسلام حتى لا ينخرم

الله الله في الصلاة ذريعة العجلة ، وخاصة الملة ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجر المستخدم ، وأم العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناحية عن القهشء والمنكرو إن عرض الشيطان عرضهما ، ووطأ للنفس الأماره سماءهما وأرضهما ، والوسيلة إلى بل الجوامع ببرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ، وضامنة حسن العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجار ، والواسمة بسمة السلامة ، والشاهدة للعبد برفع الملامه ، وغاسول الطبع إذا شانه طبع^(٢) ، والخير الذي كل ما سواه له تبع ، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء وإعادة ، فأنخير عادة ، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية ، وتؤثروا على العلية الدنية ، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تيبس ، والفلك بها من أجلكم لا يجبس ، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره العدو ولا الأصيل ، والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من يموت من حق الحى الذي لا يموت ، وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها

(١) كفكفوا : امنعوا ، والشبه : جمع شبهة ، بالضم

(٢) الطبع - بفتح الطاء والباء - الدنس مطلقا ، في جسم أو خلق ، وهو أيضا الكسل

وأَتبعوها النوافل ما أطقتموها ، فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحققت السكال ، ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ، وذلك أخرى بإقامة القرض ، وأدعى الى مساعدة البعض البعض ، والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطه محصل ، فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهاها بغير أوصافها الحميدة فلا تصغوها ، والحجول والغرر فأطيلوها^(١) ، والنبات في كل ذلك فلا تهملوها ، فالبناء بأساسه ، والسيف بمراسه .

واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطمهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ، تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقل ، واستعاض صدأه بصقال ، وإن تراخى قهقر الباع ، وسرقت الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمّل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القريية ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ، وشكران المسئول على الضد من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعَنّاه ، من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه ، ولا علة إلا القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه ، فاستمحو بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيار عرضها وتاجها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون ، ولا تدرون أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضلته وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زُلّتي ، المححوضة لمن يعلم السر

(١) الحجول والغرر : أراد بهما إسباغ الوضوء وتوفير الغسل لكل الأعضاء وخاصة الوجه والقدمين ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة »

وأخفى ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ، والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ، وإن وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعية ، ولواحقه الشرعية ، فبذلك تحسن الوجوه ، وتحصل من الرقة على ما ترجوه ، وتذهب قسوة الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والغرض على العين لا يحجبه الحاجب ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنّه ، وقال ليس له جزاء عند الله إلا الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيه ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

هذه عمد الإسلام وفروضة ، وتقود مهره وعروضه ، لحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يناويكم ظاهرين^(١) ، وتلقوا الله لا مُبدّلين ولا مُغيّرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب^(٢) ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلاً بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب) والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النجاة عادة ، والذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم ينله فهو ذليل وإن

(١) ظاهرين : غالبين قاهرين

(٢) أصل الانتقاب ستر الوجه بالنقاب ، والمراد هنا مجرد الاستتار

كثرت آماله ، وقليل وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنيككم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ، واحلوه على جمعه ودَرْسِهِ ، واجعلوا طباعهم تَرَى لغرسه ، واستسملوا ما ينالهم من تعب من جَرَّاه ، وسهر يهجر له الجفنُ كَرَاهٍ^(١) ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل ، وتحلوه مثابة رفعة لا يحط فارعا ولا يستنزل ، واختاروا في العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا يناله في غيره المقت .

وخير العلوم الشريعة ، وما نجم بمنابتها المريعة ، من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها ، ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها ، فإنما هي آلات لغير ، وأسباب إلى خَيْر منها وخير ، فمن كان قابلا للأزدياد ، وألنى فهمه ذا انقياد ، فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيميه ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنة ، المهدي كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة ، والتدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة ، وهذه هي الغاية القصوى في الملة ، ومن قصر إداركه عن هذا المرمى ، وتقاعد عن التي هي أسمى ، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأيا ركيكا ، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ، وتطويق الاحتقار ، وسمّة الصَّغَار^(٢) ، وخمول الأقدار ، والחסف من بعد الإبدار ، وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن رشد قاضي المنصر ومفتيه ، وملتزم الرشد ومُؤَلِّيه ، عادت عليه بالسخط الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط

(١) الكرى - بالفتح مقصورا - النوم

(٢) السمّة : العلامة ، والصغار - بفتح الصاد - المذلة والمهانة

في ازدحامها ، ولا تخطوا جامكم بجامها ، إلا ما كان من حساب ومساحة ، وما يعود
بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور^(١) ،
وضرّم مسجور ، وممقوت مهجور ، وأمرؤا بالمعروف أمرارقيقا ، وإنهوا عن المنكر
نهيّا حرّيا بالاعتدال حقيقا ، واغبطوا من كان من سِنّة^(٢) الغفلة مُقيقا ، واجتنبوا
ما تُنهَوْنَ عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا .

وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا ، ولا تقربوا من الفتنة جحرا ،
ولا تدّاخلوا في الخلاف زيدا ولا عمرا .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء السنة البنين ،
وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به .

وإياكم والكذب فهو العورة التي لا تُؤارى ، والسوأة التي لا يرتاب في
عارها ولا يُتمارى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعد الله له من العذاب ،
أن لا يقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق .

وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم ، وفي وجه الديانة كلوم ، ومن الشريعة التي
لا يعذر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ،
ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، ولا توجدوا للغدر قبولا ، ولا تقروا عليه
طبعاً مجبولا ، وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسؤولا ، ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ،
ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حزن ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم
في كيل أو وزن ، والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ،
أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في فُسحة ممتدة ، وسبل
الله تعالى غير مُنُسدة ، مالم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه ، ويمس الدم الحرام بيده

(١) محجور : ممنوع

(٢) السنة - بكسر السين - النوم ، أو أوله ، وفي القرآن الكريم : (الله

لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) (٣) الكلوم : الجروح

أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سننا قويمًا ، وجلي من الجهل والضلال ليلا بهيمًا (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) .

واجتناب الزنى وما تعلق به من أخلاق من كرم طباعه ، وامتنع في سبيل السعادة باعه ، ولم تتلق نور الله الذي لم يهد شعاعه ، فالخلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ، ومن غلبت غرائز جهله ، فلينظر هل يجب أن يُزنى بأهله ، والله قد أعد للزاني عذابا ويلا ، وقال : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) .

والخمر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ، والله لم يجعله الله في الحياة شرطا ، والمحرم قد أغنى عنه بالخلال الذي سوغ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولأنفوسهم بالمضرة في مرضاة الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رجسا محرما على العباد ، وقرنها بالأنصاب والأزلام في مباينة السداد . ولا تقربوا الربا فإنه من منأى الدين ، والله تعالى يقول : (وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) وقال : (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه ، وانزعوا الطم عن ذلك حتى تذهب ريحه ، والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه ، ولا يكل خياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تلجؤا إلى المنشابه إلا عند عدمه ، فهو في السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع ، والحفاظ عليه مغبوط ، وإياكم والظلم فالظالم ممقوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصحاح الحسن ، والنميمة فساد وشتات ، لا يبقى عليه متات^(١) ، وفي الحديث « لا يدخل الجنة قتات »^(٢) واطرحوا الحسد فساد حسود وإياكم والغيبة فباب الخير معها

(١) متات : مصدر « مت فلان إلى فلان » أى توسل وتقرب ، وكل شيء توسلت به إلى غيرك فهو ماته ، وجمعه موات ، بتشديد التاء الأخيرة

(٢) القتات : النمام قت الحديث يقته : نقله

مسدود ، والبخل فما روى البخيل وهو مودد ، وإياكم وما يعتذر منه فمواقع
 الخزي لا تستقال عثراتها ، ومظنات الفضائح لا تؤمن غمراتها ، وتفقدوا أنفسكم
 مع الساعات ، وأفسدوا السلام في الطرقات والجماعات ، ورقوا على ذوى الزمانات
 والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات ، وعولوا عليه وحده
 في الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصبتكم الموائد ، وتقربوا إليه باليسير من ماله ،
 واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ، وارعوا حقوق الجار ،
 واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أولى الأرحام ، والوشائج^(١) البادية
 الالتحام ، واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتفسد السر والجره ، والرشا
 فإنها تحط الأقدار ، وتستدعى المذلة والصفار ، ولا تسامحوا في لعبة قر ، ولا تشاركوا
 أهل البطالة في أمر ، وصونوا المواعيد من الإخلاف ، والأيمان من حنث الأوغاد
 والأجلاف ، وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف ، ولا تلهجوا بالآمال
 العجاف ، ولا تكلفوا بالسكّهانة والإرجاف ، واجعلوا العمر بين معاش ومعاد ،
 وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد ، وأن الخلق بين زرع
 وحصاد ، وأقلوا بغير الحالة الباقية المموم ، واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر
 السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذابة
 المؤذين ، ولا تعارضوا مقالات الظالمين ، فالله لمن بُغِيَ عليه خير الناصرين ،
 ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما زلت ، ولا تضعجوا الأمراض إذا أعضلت ،
 فكل منقرض حقير ، وكل مُنقَض وإن طال قصير ، وانتظروا الفرج ، وانتشقوا
 من جناب الله تعالى الأرج ، وأوسعوا بالرجاء الجوانح ، واجنحوا إلى الخوف من
 الله تعالى فطوبى لعبد إليه جانح ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء ، والجوء إليه

(١) الوشائج : جمع وشيجة . وهى فى الأصل عرق الشجرة وليف يفتل ثم يشد به خشبتان ، ويراد به كل ما يربط بين اثنين من قرابة أو مصاهرة أو نحوها

في البأساء والضَّراء ، وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد ، وَيَغْذُبُ
الوارد ، وأسهموا منها للمساكين وأفضّلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ،
فمن الآثار « يا عائشة ، أحسنى جوار نعم الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت
إليهم » ولا تطغوا في النعم فتقصروا عن شكرها ، وتلقيكم الجهالة بسكرها ،
وتقوهموا أن سعيكم جلبها ، وجدكم حَلَبها ، فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ،
ولا فعل إلا الله إذا نظر بعين اليقين ، والله الله لا ننسوا الفضل بينكم ، ولا تذهبوا
بذهابه زينكم ، وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ، بما أمكنه من
إخلاص وبر ، ومُرَاعاة في علانية وسر ، والإنسان مزية لا تجهل ، وحق لا يهمل
وأظهروا التعاضد والتناصر ، وصِلُوا التعاهد والتزاور ، تَرْغَبُوا بذلك الأعداء ،
وتستكثروا الأوداء ، ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفة ، ولا تتهارشوا تهارش
السباع على الجيفة ، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان ، وطاعة النساء شر
ما أفسد بين الإخوان ، فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ،
وإذا أعظم النساء أمراً فاحقرّوه .

والله الله لا تنسوا مقارضة سَجَلِي ، وبروا أهل مودتي من أجلى ، ومن رزق
منكم مالا بهذا الوطن القَلِق المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه
أجمع في العقار ، فيصبح عريضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تغلب العدو
على بلده في الافتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال ، أمام الثَّوبِ الثقال ، وإذا
كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى ، وازهدوا جهدكم في مصاحبة
أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرها ، ونفعها لا يقوم بضرها ، وأعقاب من تقدم
شاهدة ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة ، ومن بلى بها منكم فليستظهر بسعة
الاحتمال ، والنقل من المال ، وليحذر معاداة الرجال ، ومزلات الإدلال ، وفساد

الخيل ، ومداخلة العيال ، وإفشاء السر ، وسكر الاغترار فإنه دأب الغر ، وليصن الديانة ، ويؤثر الصمت ويلتزم الأمانة ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ، وليقف في التماس أسباب الجلال دون السكال غير النقصان ، والزعازع تسالم اللذن اللطيف من الأغصان ^(١) ، وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الخطوب وغلاباً ، فذلك ضرر بالمروآت والأقدار ، داع إلى الفضيحة والعار ، ومن امتحن بها منكم اختياراً ، أو جبر عليها إكراهاً وإيثاراً ، فليتناق وظائفها بسعة صدره ، ويبدل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإخنه ، وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتوقع عزل ، وإدالة بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلة قدّم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدرتها ، وتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغنيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعت لآلها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواث الندم .

ومهما سئتم، إطالتها ، واستغزرتم مقاتلتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلك الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتي عليكم فى كل حال ، فالدنيا مناح ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاة ، ونفق بضائعها المزجاة ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يلثمه حيث شاء من شمل متصدع ، والدكم محمد

(١) هذا من قول الشاعر :

هل الرياح بنجم الأرض عاصفة أو الكسوف لغير الشمس والقمر ؟

ابن عبد الله بن الخطيب ، ورحمة الله وبركاته ، انتهت الوصية الفريدة في حسنها ، الغربية في فنها ، المبلغة نفوس الناظرين فيها فوق ظننا ، ولأجل ذلك كان شيخ شيوخنا المؤلف الكبير الفقيه الإمام قاضي القضاة العلامة سيدى الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ الإمام عالم المالكية صاحب التأليف العديدة كالمعيار العرب ، والجامع المغرب ، عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب ، وهو في ست مجلدات لكان كافيا ، وله مصنفات كثيرة غيره أكثرها في مذهب مالك ، ولم يؤلف في المذهب مثلها .

رجع إلى ما كنا فيه :

أقول : لم تزل عادة الأكابر من العلماء والملوك الوصية لأولادهم وعالمهم باقتفاء النهج الذي يرون فيه السلوك ، وقد وقفت للفقيه الكاتب أبى عبد الله محمد ابن الجيان المرسى الأندلسى رحمه الله تعالى على وصية ضمن رسالة كتبها عن ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه اشتملت على مالا يد منه ، فرأيت أن أذكرها هنا تكميلا للفائدة ، ونصها بعد الصدر :

من مجاهد الدين ، وسيف أمير المؤمنين ، عبد الله المتوكل عليه أمير المسلمين وصية من إنشاء
ابن الجيان
المرسى
محمد بن يوسف بن هود ، أيده الله تعالى بنصره وأمده بتمكينه ! وأعانه على ما ينويه
من إحياء معالم دينه ! إلى صِنُونَا المبارك ، وقسيمنا الخصوص بتبجيلنا وتكريمنا ،
وحُسَامَنَا المنتضى المرتضى لإمضاء عزمنا وتصميمنا ، الأمير الأعلى ، الموقر الأسمى ،
الميمون النقيية الحمود السجّية ، الأحب النية ، الأعز علينا ، المقيم بمساعيه الصالحة
كل ما نَوَيْنَا ، أدام الله تعالى تظفيره وإسعاده ! وأمضى في الحق قَوَاضيه
وَصِعَادَهُ ^(١) ! ووالى معونته وإنجاده ! وتولى توفيقه وإرشاده !
سلام طيب كريم زالك يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

(٢) كذا ، وسقط خبر « كان » من الكلام ، ولعل أصل العبارة « كان يحض
الناس عليها ، ويحثهم على العمل بمقتضاها شيخ شيوخنا — إلخ
(١) القواضب: السيوف القاطعة ، واحدها قاضب ، والصعاد: جمع صعدة وهو الرمح

أما بعد ، فالحمد لله الذى أوضح للحق سبيلا ، ومد ظل رحمته على الخلق ظليلا ، وجعل العدل يحفظ نظام الإسلام كفيلا ، ونزل الأحكام على قدر المصالح تنزيلا ، ونصب معالم الهدى علما لمن اقتدى ودليلا ، وألم إلى ما يرضاه عملا ومعتقدا وقيلا ، وصلاواته الطيبة ، وبركاته الصَّيِّبَةُ^(١) ، على سيد العالمين ، وخاتم النبيين ، محمد رسوله الذى فضله مخلته واصطفاه تفضيلا ، وبعثه بالحنيفية السمحة فبينها تبيينا وفصلها تفصيلا ، ورتبها كما أمره ربه بإباحة ونَدْبًا وتحريما وتحليلا ، حتى ثبتت سنة الله فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وعلى آله وصحبه الذين فهموا ما جاءهم به عليه الصلاة والسلام نصا وتأويلا ، وأبقوا من سيرتهم الفاضلة ، وأحكامهم العادلة ، أساسا للمعتقين جليلا ، ومآثر للمعتقين تَسْبِيحُ الأفهام والأفلام فى بحارها سَبْحًا طويلا ، وأمضوا عزائمهم تنسخ بالحق باطلا وبالهدى تضليلا ، ورضوان الله تعالى يتوالى على خليفته ، وحامل أمانته إلى خليفته ، الذى كمل الله تعالى له موجبات الإمامة تكميلا ، وأناله من هدى النبوة أفضل ما كان للهداة منيلا ، سيدنا ومولانا الإمام المنتصر بالله تعالى أبى جعفر المنصور أمير المؤمنين المتبوء من ساحة الشرف والجلالة محلا شريفا جليلا ، والمنتخب من مجبوحة بيت الرسالة الذى وجد الوحي عنده مُعَرَّسًا^(٢) ومقيلا ، والدعاء له من لدن العزيز القوى بنصر يأتى لإمداده بمدد الملائكة قبिला ، وفتح يولى الآمال من الظهور بغية وتأميلا .

كتبناه إليكم كتب الله تعالى لكم عزما لا يزال عَضْبُهُ صقيلا ، وعزا يروق بإظهار الحق غرَّةً وتنجيلا ، ورأيا لقداح السداد والنجاح مُجَيِّلا ، وسعدا يوصل إلى الإسعاد برضاه توصيلا ، من حضرتنا بمرسية حرسها الله تعالى ! ونحن

(١) صاب المطر يصوب : نزل متتابعها

(٢) المعرس : مكان النزول ليلا ، والمقليل : المكان الذى تستريح فيه وقت القائلة .

نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو على فضله الذي أنا له جسيما جزيلا ، ونتوكل عليه ، توكل من يلجأ في كل أحواله إليه ، وكفى بالله وكيفا ، ونستعينه على أمور المسلمين التي حملنا منها أمانة كبيرة وعِثْثًا ثقيلا ، ونقف بالضراعة بين يديه ، طلبا لما يخلصنا لديه ، عساه أن يجعل لرغبتنا قبولا وتوسيلا ، ونعوذ به من كل عمل لا يكون حاصله إلا مآلا وييلا ، وعرضا من الدنيا قريبا ومتاعا قليلا ، إنا - والله - المرشد - لنعلم أن هذا الأمر الذي قلنا الله تعالى منه ما قلده ، وأسندته إلينا من أمور خلقه فيما أسنده ، قد ألزمننا من حقوقه الواجبة ، وفروضه الراتبة ، ما لا يستطيع إلا بمعونته أداؤه ، ولا يستتب إلا بتوفيق الله تعالى انتهاؤه وابتدائه ، فهو المشكور عز وجهه على نعمته ، والمستعان على ما يدنى من رضاه ويقرب من رحمته ، وأن كل امرئ بشأنه مشغول ، وعن خويصة نفسه مسئول ، ونحن بما استرعانا الله تعالى مشغولون ، وعن الكبير والصغير مسئولون ، وعلينا النصيحة لله في عباده وبلاده ، والنظر لهم بمنتهى جدّ المجتهد واجتهاده ، ولا قوة إلا بالله عليه توكلنا ، وبه إليه توسلنا ، فعيننا تسهر لثنام الرعية عيونهم ، وتحركنا يتصل ليحصل لهم سكونهم ، وأملنا أن لا نقر فيهم بحول الله تعالى ظالما ولا هظما ، ولا نخرم لهم في إقامة حقوق الله ما استطعنا نظما ، وأنى ينصرف عن هذا القصد بعمله ونعمته ، من يعرف أن الله جل جلاله لا يجوز ظلم ظالم في بريته ، ولعل الله الذي حملنا ما حملنا ، واستعملنا بمشيئته فيما استعملنا ، أن يهب لنا توفيقه ، ويسلك بنا إلى هداه طريقه .

ألا وإن من وائيناه أمرا من أمور المسلمين فهو مطلوب به ، وموقوف عليه عند ربه ، فلينظر امرؤ في جزئية ما نيظ به^(١) وكليته ، وليراقب فيما لديه عالم خفيته وجليته ، ألا وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ، فمن حفظ الله حفظه الله

في نفسه وماله ، وقضى له بالسعادة في حاله ومآله ، وأبجأ يوم عرضه وسؤاله ،
والخلق عيال الله فأحبهم إليه أحبهم لعياله ، العدل العدل فيه قامت السموات
والأرض ، وبإقامته أقيمت السنة والقرض ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، وأقوى
ما تشد به أركان الدين وتقوى ، أما إن الحق في أن لا تتعدى أساليب الشرع
وقوانينه ، وأن لا يتجاوز في قضية من القضايا إفصاحه وتبينه ، وأن يجازى بحكمه
المسيثون والمحسنون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ، ألا وإنا قد عثرنا
لبعض قواد الجهادية وحكامها ، على أمور أنكرنا معرفاتها واستعجبنا مستوصفاتها ،
وبرئنا إلى الله تعالى من متغيراتها ومحرفاتها ، وعلمنا أن منهم أقواما لا يتورعون
عن الأموال والدماء ، ولا يحذرون فيما يأتون ويدّرون جبار الأرض والسماء ،
فأزلنا بحمد الله ذلك ونحوه ، ومجئنا ابتغاء رضاه محقه ومحوّه ، وانبعثنا لنظر جديد ،
واستأنف لإصلاح أحوال وتسديد ، وتعليظ في الحرمات وتشديد ، واستقبلنا
ما يوسع الأمور ربطا وضبطا ، ويفيض على الأمة بعون الله تعالى عدلا وقسطا ،
وتمين علينا فيما رأيناه إنفاذ الخطاب إلى كل من استكفينا بالبلاد ، وليناه النظر
عنا في مصالح العباد ، بما يكون إن شاء الله تعالى الاعتماد على فُصوله ، والاستناد
إلى محصّوله ، والاجتهاد بحسب فروعه وأصوله .

فأول ما نوصيكم به وأنفسنا تقوى الله في كل حال ، ومراقبة أوامره ونواهيه
عند كل انتحاء^(١) وانتحال ، والوقوف عند حدود الله التي حدّها ، وأرصدها بإزاء
موجباته وعدها ، فإنه لا يتعداها إلا من رام تعقّي رسمها وطمسّه ، ومن يتعد حدود
الله فقد ظلم نفسه ، والمحافظة على ما به تحفظ الشريعة ، والملاحظة لما يضم الرعايا
من حوزة أولى الحيطة المنيعه ، والمُشَاوَرَة على ما تكف به أكف الاعتداء ،

(١) انتحاء : قصده ، والانتحاء : مصدره ومعناه القصد

والمبادرة إلى الاهتمام بالسلف الصالح والافتداء، والطريقة المثلى، وآيات الله التي تُتلى، وهداياته التي لأبصار البصائر تجلى، وخَفُضَ الجناح، والأخذ بالزرق والإنباج، وتوحي الحق الذي هو أوضح انبلاجاً من فلق الإصباح، والحلم والأناة، والمذاهب المستحسنات، والأمور البينيات

والله الله في الدماء فإنها أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فيها، ولا سبيل لاستحلالها إلا بعد ثلاث : كفر بعد إيمان، أوزى بعد إحسان، أو قتل المسلم لأخيه، وقد قال مالك الأمر والخلق (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) فتثبتوا فيها فأمرها جليل، وتحريمها لا يدخله تحليل، وإياكم أن تجعلوا فيها لأحد من ولاية الجهاد حكماً أو نظراً، أو تَكُونُوا إليهم منها مستكبراً أو مستنزراً، فإنه إذا استبدَّ بالقضاء فيها كل وال ذهبت هُدًى، واستباحها الجاهل والجائر أشراً وبطراً، وربما كان فيهم من في طباعه سَبُعِيَّة فيقتل بها الناس قتلاً ذريعاً، ويستسهل من ذلك بجوره صعباً ويرتكب بجهله شنيعاً، ويذهل عن قول الله تعالى (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) فأنتي تحل المسامحة في هذا الشأن، أو يحكم به كل إنسان في نفوس أهل الإيمان؟ معاذ الله أن يكون هذا ونحن نعرفه، أو ينصرف إليه نظر نافلا نزيله ولا نصرفه، فسدوا هذا الباب سُدّاً، وصدواعنه مَنْ أمه صدا، وكفوا كل ما كان من الأيدي للدماء ممتداً، ومنَّ وجب عليه القتل شرعاً وتعين، واتضح موجب القصاص فيه وتبين، فليس لكم إلا القاعدة الكبرى، تتحرَّى فيها الأحكام عليه بمحضر القاضي والشهود كما يجب أن يتحرَّى^(١)، بعد أن يثبت في نازلته ويستحل ويُسْتَبْرأ^(٢)، فلا تحل القضية

(١) تحرى الأمر، وتوخاه : قصده

(٢) يستبرأ : أصله يستبرأ - بالهمز - فسهل الهمز بقلها ألفاً

إلا على بصيرة ، وحقيقة مستنيرة ، فقد يلوح في اليوم ما خفي بالأمس ، ويتعذر بعد الإفادة إعادة النفس

وملاك الأمر في انتقاء من يتصرف ، وتولية من لا يضيع ولا يتحيف ، فتخيروا للأُنظار والجهات ، مَنْ تَرْتَضَى سيرته من الولاة ، ولا تستعملوا أهل الغفظة والجهالة ، والمصرين على الراحة والبطالة ، فإنهم إذا استرعوا أضاعوا ، وإذا دعاهم شيطان الهوى أطاعوا ، وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا ، وميلوا باختياركم إلى التمسين^(١) بالصالح ، المرتسمين في ديوان السكفة النصاح ، وأطيلوا مع ذلك التنقيير عنهم والتنقيب ، ولا تغفلوا عن التعهد بالبحث البعيد منهم والقريب ، ومن عثرتم له على منكر من استباحة دم أو مال ، وإضاعة للحقوق وإهمال ، فخذوا على يده ، وجازوه بفاسد مقصده ، وأنزلوه بالمنزل الأقصى ، وعاملوه معاملة من أوصى بتقوى الله فما استوصى .

واصرفوا نظركم إلى القضاة فإن مدار الشريعة إنما هو على ما يستند إليهم ، ويقصر من الأحكام عليهم ، فإذا كانوا من أهل العلم والديانة ، وذوى النزاهة والصيانة ، أمسكهم الورع بزمامه ، وبلغ العهد بهم غاية تمامه ، وإذا كانوا بضدها قبلوا الرشوة ، وأوطؤا العشوة^(٢) ، وأطالوا النشوة ، وأحلوا من الدماء والفروج محرما ، وطمسوا من السنة بالليل والمين معلمها ، وحكموا بالهواة والهوى ، وطووا من الحق ما انتشر ونشروا من الباطل ، ما انطوى فانتقوهم فهم أولى بالانتقاء^(٣) ، وشر جاسرهم وجاهلهم أحق بالانتقاء ، ولا تقدموهم ولا غيرهم بالشفاعات والوسائل ، ولكن قدموهم بتورعهم في القضايا وعلمهم بالمسائل .

ومما نؤكد عليهم فيه أمر الشهود ؛ فإن شهادة الزور هى الداء العضال ، والظلمة التى يتستر بها الظلمة والضلال ، والحجة الداحضة التى بها يحلل الحرام ويحرم

(١) التمسين بالصالح : أى الذين جعلوا الصلاح علامة لهم

(٢) فى ب « وأوطؤا العشرة » تحريف (٣) الانتقاء : الاختيار

الحلال ، وقد كثر في هذا الزمان أهل الشهادة الفاسدة ، ونفقت بهم سوق الأباطيل الكاسدة ، فتقدموا إلى القضاة وفقهم الله تعالى أن لا يقبلوا إلا مشهورا بزكاء وعدل ، موفى حظه من رجاحة وعقل ، ومن كان مغموزا عليه في أحواله ، منبوزا بالاستربة في شهادته وأقواله ، فلتُرَدَّ شهادته على أدراجها ، وليبطل ما يكون من حجاجها .

وأكدوا عليهم عند تعارض العقود في الترجيح ، والنظر في التعديل والتجريح ، لتجرى أمور المسلمين على سنن الحق المستبين ، وتبدو المعدلة مشرقة الغرة مؤتلفة الجبين .

وعما نأمركم به أن تبحثوا عن العمال ، ولا تولّوا منهم إلا الحسن الطريقة المرضي الأعمال ، ومن لم يكن منهم جاريا على القوانين المرعية ، ناصحا لبيت المال رفيقا بالارعية ، وكان في أمانته حائدا عن الجادة^(١) السوية ، قائلا كما قال قبله ابن اللبابة ، فليعوّض منه غيره ، وليرفع عن الجانبين ضيره ، فإنه ما كانت الخيانة قط في شيء إلا أهلكته ، ولا وضعت في إنسان طبيعة سوء إلا ملكته

وإنما هو مال الله تعالى الذي يرزق منه الحياة ، وبه تسد الثغور^(٢) المهمات ، فينبغي أن يختار له محتاط في اقتضائه وقبضه ، حافظ لدينه ومروءته في كله وبعضه ، فخذوا في انتقاء هذه الأصناف المسمين ، واطلبوا بهذه الأوصاف المصرفين والمولين ، واجمعوا من الاجتهاد الحميد والقصد والاعتماد الأثر والعين ، وأنصفوا منهم إن نظلم من أحدهم متظلم ، واشفوا شكوى كل متشكك وألم كل متألم ، واعلموا أن حرمة الأموال بجرمة الدماء لاحقة ، وأن إحدى القضيتين للأخرى مساوية ولاحقة ، ومن أكبر ماورد في ذلك وأعظمه ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حرمة مال المسلم كحرمة دمه » .

(١) الجادة : الطريقة ، والسوية : المستقيمة

(٢) الثغور : جمع ثغر ، وهو كل موضع تخشى غارة العدو من جهته

وليكن الناس في الحق سواء لا محاباة ولا مفاضلة ، ولا محاورة في تغليب قوى على ضعيف ولا محاولة ، إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وإن دلائل الشرع بمراد الله سبحانه وتعالى شاهدة ، ولا يؤخذن أحد بجريرة^(١) أحد ، ولا يحسن ولد على والد ولا والد على ولد ، فكتاب الله تعالى أولى بالاتباع وأحرى ، لقول الله عز وجل (ولا تزر وازرة وزر أخرى) اللهم إلا من آوى محدثاً فإنه مأخوذ بما أجرم ، وملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارفعوا - أعاننا الله تعالى وإياكم ! - للعدل بكل علم منارا ، واتخذوا الرفق بالإمامة شعارا ، فقد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه »^(٢) وقد نص الكتاب والسنة على مواضع اللين والاشتداد ، ونبها على منازع المقاربة والسداد ، فلا غضب لأمر إلا بما غضب له الله عز وجل ، ولا رضاء به إلا إذا استقر فيه رضا الله تعالى وحل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذي يجلد فوق ما أمر الله تعالى به يقول له الله عز وجل : عبدى ، لم جلدت فوق ما أمرتك به ؟ فيقول : رب غضبت لغضبك ، فيقول : أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي ؟ ثم يؤتى بالمقصر فيقول : عبدى ، لم قصرت عما أمرتك به ؟ فيقول : رب رحمته ، فيقول : أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي ؟ » قال : فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لم يحفظه الراوى ، إلا أنه قال : صيروهما إلى النار ، أعاذنا الله تعالى منها بفضل ورحمة ! فليوقف بالقضايا حيث وقف بها الشرع ، ويحفظ الأصل من هذه الوصايا والقرع ، واحتاطوا في الرعية فإنه رأس المال ، والأمانة التي لا ينبغي أن يكون فيها شيء من الإهمال ، ومع توفيقكم لما سطرناه ، في هذا الكتاب وشرحناه ، من أبواب الخير المسعد في المآب والمآل ، فاستوفوا ضروب

(١) الجريرة : الذنب والخطيئة

(٢) شانه : عابه ونقصه

الصالحات واستقصوها ، واعملوا أعمال البر وخصوها ، واذكروا آلاء الله وقصوها ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، واشتدوا في تغيير المنكرات كلها ، واحسموا أدواءها من أصلها ، ورغبوا الناس في الطاعات واندبواهم إليها ، ووضحوا لهم أعمالهم وحرصواهم عليها ، واتموا في كل سعي ناجح ، ورأي راجح ، إلى أفضل ما ينتهي إليه المنتصحوون ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون .

وخذوا بعارة مساجد الله التي هي بيوت الأتقياء ، ومحل مناجاة ذي العظمة والكبرياء ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين

ومروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى فإن تعليمه للصغار يطفى غضب الرب ونعم الشفيع هو يوم القيامة ، والمتوسل فيما يتوج القارىء وأباه تاج الكرامة ، وأرشدوا للخير ما استطعتم ، واتبعوا سبيله فهو أشرف ما اتبعتم ، والله ولى التوفيق والإرشاد ، والمجئى بالهداية إلى طريق الفوز والسداد

وهذه أوامرنا إليكم امتثلنا أمر الله تعالى فامتثلوها ، وأحضروها في خواطركم مع كل لحظة ومثلوها ، وإنا لما يكون منكم فيها مستمعون ، ولأننا نركم فيما يوفيهام لتطلعون ، وقد خرجنا لكم عن عهدة لزمنا في التذكير ، ونهجنكم لكم منها التقديم والتأخير ، والله تعالى يعلم أنا إنما قصدنا ما نرجو الخلاص به يوم الحساب ، وأردنا رضاه فيما أوردناه من هذا الحظر والإيجاب^(١) ، لنعرض حقه سبحانه فيمن استرعانا ، ونسعى في صلاح الأمة عسى الله تعالى أن ينجح فيه مسعانا ، اللهم عبدك يضرع إليك ، ويخضع بين يديك ، في أن تلهمه إلى ما يحمل قصدا ومعتمدا ، وتهب له من لدنك رحمة وتبهي

(١) الحظر : المنع ، وأراد به التحريم ، وقابله بالإيجاب

له من أمره رشدًا ، اللهم منك المعونة على ما وليت ، ولك الشكر على ما أوليت ،
فالمهدى من هديت ، والخير كله فيما قضيت ، اللهم من أعاننا على مرضاتك فكن
له مُعينًا ، وأورده من توفيقك عذابًا معينا ، إنك الولي النصير ، العلي الكبير .

وإذا وصلكم كتابنا هذا فقصوه على الناس مفصلا ومجلا ، وأظهروا مضمونه
لهم قولًا وعملا ، واسلكوا بهم من مرشده سننا مستجملًا ، إن شاء الله تعالى ،
والله سبحانه يديم علاكم ، ويصل إعادتكم في كل مجد وإبداعكم ، ويجزل
حظوظكم من السعادة وأنصباكم^(١) ، بمنه وكرمه لارب سواه ، والسلام الأكرم
الأزكى يخصكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب في الرابع والعشرين لجادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة ، انتهى
وهذا ابن الجيان له الباع المديد في النظم والنثر ، ومن شعره رحمه الله تعالى
في مرضه الذى توفى فيه ، وهو آخر كلامه :

جهل الطيب شكابتي وشكابتى إن الطيب هو الذى هو ممرضى
فإن ارتضى برئى تدارك فضله وإن ارتضى سقمى رضيت بما رضى
مالى اعتراض فى الذى يقضى به لكن لرحمته جملت تعرضى

من شعر
ابن الجيان

ومن نظمه رحمه الله تعالى ملغزا فى بطيخة :

وحُبلى بأبناء لها قد تمخضوا بأحشائها من بعد ما ولدوها
كسوها غداة الطلاق بُردًا معصفرا على يقق أزرارها عقدها
ولما رأوها قد تكامل حسنها وأبدر منها طالع حسدوها
فقدوا قيص البدر بالبرق واجتلاوا أهلتها من بعد ما فقدوها
ولو أنصفوا ما أنصفوا بدرتها ولا أعدموا الحساء إذ وجدوها

(١) أنصباكم : أصله أنصباكم ، خذف الهمز حين سهلها فانقلبت ألفا ،
تخلصا من اجتماع الساكنين ، والأنصباء : الحظوظ ، واحدها نصيب

وقال أيضاً ملفزاً في الميل ، وهو المِرْوَد :

مسترخص السوم غال عال له أى حظوه

ما جاوز الشبر قدرا لكنه ألف خطوه

وهذا استخدام مابه باس ، لأنه اكتسى من الحسن خير لباس ، وكم لهذا الكاتب من محاسن ، ماؤها غير آسن .

وقد عرّف لسان الدين في الإحاطة بابن الجيان ، وأطال في ترجمته ، ونشير من ترجمة ابن الجيان عن « الإحاطة » إلى بعض ذلك باختصار .

وهو محمد بن محمد بن أحمد ، الأنصارى ، من أهل مرسية ، أبو عبد الله ، ابن الجيان .

كان محدثاً راوية ضابطاً ، كاتباً بليغاً شاعراً بارعاً ، رائق الخط ، ديناً فاضلاً ، خيراً ذكياً ، استكتبه بعض أمراء الأندلس فكان يتبرم من ذلك ويقلق منه ، ثم خلصه الله تعالى منه ، وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القمأة^(١) ، حتى يظن رائيه الذي استدبره أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها ، متناسب الخلقة ، لطيف الشائل ، وقوراً ، خرج من بلده حين تمكن العدو من قبضته سنة ٦٤٠ ، فاستقر بأريولة إلى أن دعاه إلى سبته الرئيس أبو على بن خلاص ، فوفد عليه ، فأجل وفادته ، وأجزل إفادته ، وحظي عنده حُظوة تامة ، ثم توجه إلى إفريقية ، فاستقر ببجاية ، وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته ، وروى ببلده وغيره عن أبي بكر بن خطاب وأبي الحسن سهل بن مالك وابن قطرال وأبي الربيع بن سالم وأبي عيسى بن أبي السداد وأبي على الشلوين وغيرهم ، وكان له في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع ، ونظم في المواعظ للمذكرين

(١) القمأة : القمأة : وهو ما يذمه العرب ، قال الشاعر :

(٢) تبين لي أن القمأة ذلة وأن أعزاء الرجال طوالها

كثيراً ، انتهى مختصراً ، وإلا فترجمته في الإحاطة متسعة ، رحمه الله تعالى ! .
ولما كتب له أبو المطرف بن عميرة رسالته الشهيرة التي أولها « تحييك
الأفلام تحية كسرى ، وتقف دون مدّك حسرى » وهى طويلة ، أجابه بما
نصه : ما هذه التحية الكسروية ؟ وما هذا الرأى وهذه الروية ؟ أتتكيت من
الأفلام ؟ أو تبكيت من الأعلام ؟ أو كلا الأمرين توجّه القصدُ إليه ، وهو الحق
مصدقاً لما بين يديه ؟ وإلا فعهدى بالقلم يتسامى عن عكسه ، ويتراعى للغاية
البعيدة بنفسه ، فتى لانت أنانيته للعاجم ، ودانت أعاريبه للأعاجم ؟ وأعجباً لقد
استنوق الجمل^(١) ، واختلف القول والعمل ، لأمرٍ ماجدع أنفه قصير^(٢) ، وارتد على
عقبه الأعمى أبو بصير ، أمس استسقى من سحابة فلا يسقيني ، وأستشفى بأسمائه
فلا يشفينى ، واليوم يحلنى محل أنوشروان ، ويشكوى منى شكوى الزيدية من
بنى مروان ، وزعم أنى أبطلت سحره ببئر ذروان ، ويخفى فى نفسه ما الله مبديه ،
ويستجدى بالأشرف ما عند مستجديه ، فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعة ،
والشريعة المبتدعة ؟ أيعظن أن معماه لا ينفك ، وأنه لا ينجلى هذا الشك ؟ هل
ذلك منه إلا إحاض التّيه ، وإحاض تفتّيه ، ونشوة من الهزل ، ونخوة من ذى
ولاية آمن من العزل ؟ تالله لولا محله من القسم ، وفضله فى تعليم النّسم ، لأسلمته
ما ينقطع به صلفه ، وأودعته ما ينصدع به صدّفه ، وأثمرت بطرف المشرفى
ومجده ، وأثمرت إلى تعاليه عن اللعب بجده ، ولكن هو القلم الأول ، فقله على
أحسن الوجوه يتأول ، ومعدود فى تهذيبه ، كل ما لسانه يهذى به ، وما أسانى
إلا الشيطان أياديه أن أذكرها ، وإنما أقول * ليت التحية كانت لى فاشكرها^(٣) *
ولا عتب إلا على الخاء ، المبرحة بالبرحاء ، فهى التى أقامت قيامتى فى الأندية ،

(١) استنوق الجمل : كانت له بعض صفات الناقة ، والمراد تغيرت الطباع

(٢) مثل قيل فى قصة قصير واحتياله على الزباء ملكة الجزيرة حتى أخذ منها بالثأر

(٣) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله * مكان « يا جمل » حيث يارجل *

وقامت على قيام المتعدية ، يتظلم وهو عين الظالم ، ويلين القول وتحت سم الأرقام^(١) ولعمر اليراعة وما رضعت ، والبراعة وما صنعت ، ما خامرني هواها ، ولا كلفت بها دون سواها ، ولقد عرّضت نفسها على مراراً ، فأعرضت عنها ازوراراً ، ودفعتها عنى بكل وجه ، تارة بلطفٍ وأخرى بنجّه^(٢) ، وخفت منها السامة ، وقلت : انكحى أسامه ، فرضيت منى بأبى جهل وسوء ملسكته ، وابن أبى سفيان وصعلكته ، وكانت أسرع من أم خارجة للخطبة ، وأسمح من سجاح في استنجاح تلك الخطبة ، ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع في عشرتها ، وأستقال الاجتماع من عترتها ، وأرى من الغبن والسفاه ، أخذها وترك بنات الأفواه والشفاه ، إذ هي أيسر مؤنة ، وأكبر معونة ، فغلطني فيها أن كانت بمنزل تتوارى صونا عن الشمس ، ومن نسوة خفرات لا ينطقن إلا بالهمس ، ووجدتها أطوع من البنان للكف ، والعنان للكف ، والمعنى للاسم ، والمعنى للرسم ، والظل للشخص ، والمستدل للنص ، فما عرفت منها إلا خيراً أرضاه ، وحسبتها من الحافظات للغيب بما حفظ الله ، فمعبت لها الآن كيف زلت نعلها ، ونشرت قدشرت ما استكتمها بعلمها ، واضطربت في رأيها اضطراب المختار أبى عبّيد ، وضربت في الأرض تسعى على بكل مكر وكيد ، وزعمت أن الجيم خدعها ، وألان أخذعها ، وأكبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور ، وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور ، فقد جاءت إفكا وزورا ، وكثرت من أمرها منزورا ، وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القنيص ، والمرأودة قالت (ما جزاء) وهي التي قدّدت القميص ، ور بما يظن بها الصدق وظن الغيب ترجيم ، ويقال : لقد خفضت الحاء بالمجاورة لهذا الجيم ، وتنصر لها التي خيمت بين النرجسة والريحانة ، وختمت السورة بامم جعلت ثانيه

(١) الأرقام : جمع أرقم ، وهي الحية .

(٢) نجّه ينجّه نجها - من باب فتح - رده أقبح الرد ، واستقبله بما يكره .

أكرم نبي على الله سبحانه ، فإن امتعضت هذه التكملة ، تلك التي سبقت بكلمتها
 بشارة الكلمة ، فأنا ألوذ^(١) بعدها ، وأعوذ بفضلها ، وأسألها أن تقضي قضاء مثلها ،
 وتعمل بمقتضى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) على أن هذه التي قد
 أبدت ميثمها^(٢) ، ونسيت الفضل بيني وبينها ، إن قال الحكمان : منها كان
 النشور ، عادت حرورية العجز ، وقالت : التحكيم في دين الله تعالى لا يجوز ،
 فعند ذلك يحصص^(٣) الحق ، ويعلم من الأولى بالحكم والأحق ، ويصيبها ما أصاب
 أروى ، من دعوة سعدية حين الدعوى ، ويا ويحها أرادت أن تجني على فحفت لي ،
 وأناخت لي مركب السعادة وما ابتغت إلا ختلي ، فأتى شرها بالخير ، وجاء النفع من
 طريق ذلك الضر ، أترها علمت بما يثيره اعوجاجها ، وينجلي عنه عجاجها ، فقد أفادت
 عظيم الفوائد ، ونظيم القرائد ، ونفس الفخر ، ونفيس الدر ، وهى لا تشكر أن كانت
 من الأسباب ، ولا تذكر إلا يوم الملاحاة والسباب ، وإنما يستوجب الشكر جسيما ،
 والثناء الذى يتضوع نسيما ، الذى شرف إذا هدى أشرف السحآت ، وعرف بما كان
 من انتحاء تلك الحاء المذمومة فى الحآت ، فإنه وإن ألم بالفكاهة ، بما أمل من
 البداهة ، وسمى باسم السابق السكيت ، وكان من أمر مداعبته كيت وكيت ،
 وتلاعب فى الصفات تلاعب الصفاح والصبا بالبانة ، والصبا بالعاشق ذى اللبانة ،
 فقد أغرب بفنونه ، وأغرى القلوب بفتونه ، ونفت بخفية الأطراف ، وعبث من
 الكلام المشقق بالأطراف ، وعلم كيف يمحض البيان ، ويخلص العقيان ، فمن
 الحق [أن] أشكره على أياديه البيض ، وإن أخذ لقطة من معناه فى طرف النقيض ،
 تالله أيها الإمام الأكبر ، والغمام المستمطر ، والخبر الذى يشفى سائله ، والبحر الذى
 لا يرى ساحله ، ما أنا المراد بهذا المسلك ، ومن أين حصل ذلك النور لهذا

(١) ألوذ بعدها : ألجأ إليه وأعتصم به ، ومثله أعوذ بفضلها

(٢) أبدت : أظهرت ، والمين - بالفتح - الكذب

(٣) حصص الحق : بان بعد اكتتامه ، يشير إلى مذهب الخوارج الذين كفروا

عليها بالتحكيم بعد أن كانوا هم الذين ألجؤوا إليه .

الحلك^(١)؟ وضح أن يقاس بين الحداد والمملك ، إنه لتواضع الأعزة ، وما يكون عند الكرام من الهزة ، وتحريض الشيخ للتلميذ ، وترخيص في إجازة الوضوء بالنبيذ ، لو حضر الذي قضى له بجانب الغربي أمر البلاغة ، وارتضى ماله في هذه الصناعة ، من حسن السبك لخليها والصياغة ، وأطاعته فيما أطلعت طاعة القوافي الحسان ، وأتبعته فيما جمعته لكن بغير إحسان ، لأذعن كما أذعنت ، وظن عن محل الإجابة كما ظعنت ، وأنى يضاهى الفرات بالنغبة^(٢) ، ويباهى بالقولس من أوتى من الكنوز ما إن مفاطمه لتنوء بالعصبة ، وأى حظ للكلالة بالنسب ، وقد اتصل للورثة عمود النسب ، هيهات والله المطلب ، وشتان الدر والمخشاك ، وقد سيم الغلب ، ورجع إلى قيادة السلب ، وإن كنا من تقدم لشدة الظم إلى المنهل ، وكن أقدم إلى عين تبوك بعد النهى للعالم والنهل ، فقد ظهرت بعد ذلك المعجزة عيانا ، وملا ما هنالك جيانا ، وماتعرضنا بإساءة الأدب واللوم ، ولكن علمنا أن آخر الشرب ساقى القوم ، وإن أسهبنا فما لنا رتبة ذلك الإيجاز ، وإن أعرقنا فهوانا في الحجاز ، فلکم قصيرات الحجال ، ولنا قصيرات الخطا في هذا المجال ، وإكثارنا في قلة ، وجارنا من الفقر في فقر وذلة ، ومن لنا بواحدة يشرق ضياؤها ، ويخفى النجوم خجلها منها وحيائها ؟ إن لم تطل فلأنها للقروع كالأصل ، وفي المجموع كليلة الوصل ، فلو سطع نورها الزاهر ، ونورها الذي تطيب منه الأنوار الأزاهر ، لسجدت النيران ليوسف ذلك الجلال ، ووجدت نفحات رياها في أعطاف الجنوب والشمال ، وأسرعت نحوها النفوس إسراع الحجيج يوم النفر ، وسار خبرها وسرى فصار حديث المقيمين والسفر ، وماضت تلك الساخرة في تجليها ، الساحرة بتجنينها ، أن كانت بمنزلة ربيبتها بل تربها ، هذه التي سبقتني لما سقتني بسيدتها ، ووجدت ريمها

(١) الحلك - بالتحريك - الظلام الشديد .

(٢) أراد بالفرات النهر الكبير ، والنغبة - بالضم وبالفتح - الجرعة من الماء .

لما فَصَلَتْ من مصر غيرها ، وحين وصلت لم يدلني على ساريها إلا عَيْرُهَا ، وكم رامت أن تستقر عني بلبيل حبرها في هذه المعاني ، فأغرائي بهاؤها وكل مغرم مغري ببياض صبح الألفاظ والمعاني ، وهل كان ينفعها ، تلفحها بحرطها وتلفعها ؟ إذ نادتها المودة ، قد عرفناك يأسودّة ، فأقبلت على شم نشرها وعرفها ، ولثم سطرها وحرفها ، وقريتها الثناء الحافل ، وقرأتها فزيت بها المحافل ، وورمت أمر الجواب ، فعزني في الخطاب ، لكن رسمت هذه الرقعة التي هي لديكم بعجزى واشية ، وإليكم منى على استحياء ماشية ، وإن رق وجهها فما رقت لها حاشية ، فنوا بقبولها على علاها ، واقنعوا بما سماحتكم حرغلها ، فإنها وادة من استقر قلبه عندكم وثوى ، وأقر بأنه يلقط في هذه الصناعة ما يلقى للمساكين من النوى ، بقيتم سيدي للفضل والإغضاء ، ودمتم غرة في جبين السمحة البيضاء ، واقتضيت السعادة المتصلة مدة الافتضاء ، يمين الله سبحانه ، انتهى .

ومن ثمر ابن الجيان رحمه الله تعالى في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم :
 لمحمد خير الأنام ، ولينّة التمام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، خيرت المفاخر ، يتضاءل^(١) لعظمتها المفاخر ، والمعالى ، يتصاغر لعزتها المعالى ، والمكارم ، يعجز عن مساجلتها المسكاه ، والمناقب^(٢) لا تضاهى منهاها النجوم الثواب ، والمحامد ، لا يبلغ مداها الحامد ، والمآجد ، لا يتعاطى رتبهن المآجد ، والمناسب ، سمت بجلائهن المناصب ، والعناصر ، طيّبها الشرف المتناصر ، والفضائل ، تفجرت في أرجائهن الفواضل ، والشمائل ، تأرّجت بعرفهن الجفائب والشمائل ، فلا يجارى لسيد البشر ، الآتى بالندارات والبشر ، فيما حباه الله تعالى به وخصه ، وقصه علينا من خلقه العظيم ونصّه ، عند رسم مدائحهم يوجد المعول ،

(١) يتضاءل : يذل ويقصر ، ومثله « يتصاغر » في الفقرة بعدها .

(٢) المناقب : جمع منقبة ، وهى المحمّدة ، وتضاهى : تشابه ، والسنا : الضوء .

وفي الثناء عليه يُستَصَرُّ الكلام المطوّل ، هو الآخر في ديوان الرسالة والأوّل ، وله في الفضيلة ، وقبول الوسيلة ، النص الذي لا يؤوّل ، نوره صدع الظلم^(١) ، وظهوره رفع لدين الله تعالى العلم ، بدأه الوحي وهو بحراء ، وأسرّ إليه سر تقدم الإسراء ، حتى إذا نصب له المعراج ، وتوقد في منارة السماء ذاك السراج ، ناجى الحبيب حبيبه ، وجلا عن وجه الجلاء جلايبه ، فتلق ما تلقى ، لما علا وترقى ، ثم صدر^(٢) عن حضرة القدس ، وجبين هدايته يَبْهَرُ سنا الشمس ، فشق لمعجزاته القمر ، ونهى بأمر ربه وأمر ، وأزال الجهالة ، وأزاح الضلالة ، وكسر منصوب الأوثان ، ونصر من قال واحد أحد على من قال ثالث ثلاثة أوثان ، وبني الملة على قواعدها الخمس^(٣) ، وأحيا دين إبراهيم وكان رُفَاتَنَا بالرمس ، فرفلت الحنيفة البيضاء في ردة الجدة ، وبيضت بضياء غرتها أوجه الأيام المسودة ، وانتشرت الرحمة بنبيها ، ومطرت المرحمة من سحب حبيها ، وافتنت الآيات البينات في مساقها وآساقها ، وإشراقها في آفاقها وانتلاقها ، وشهد الحجر والشجر ، والماء من بين البنان يتفجر ، والظبية والضب ، والجذع المشتاق الصب^(٤) ، والشاة والبعير ، والليث إذا هدا أسمع منه الزئير ، والحي والجماد ، والقصعة والزاد ، بأن محمداً رسول الملك الحق ، والمبلغ عنه بواسطة الملك إلى الخلق ، وصاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، والقول المسموع ، والذكر المرفوع ، والصدر المشروح ، والفخر الباهر الوضوح ، والأنوار المتناقلة ، والآثار المتداولة ، والنبوة التي عهدتها تقادم ، من قبل خلق آدم ، والمزية المعروف قدرها الجليل ، المقبول فيها ما دعا به الخليل ، والرتبة التي استشرف إليها السكليم ، حتى قال له (وكن من الشاكرين) ربّه الكريم ، والبشارة التي كان بها يصبح حين يسبح ، روح الله تعالى وكلمته عيسى

(١) صدع : شق ، والظلم : جمع ظلمة ، بالضم .

(٢) صدر : رجع . (٣) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على

خمس - الحديث » . (٤) الصب - بفتح الصاد - ذو الصبابة ، وهى الشوق .

المسيح ، والشفاعة التي يرجوها الرسل والأمم ، ويقرّع بها الباب المرجح المبهم ،
فما لنبيينا المختار ، من علوّ المقدار ، واصطفاء الجبار ، والاختصاص بالأثرة ،
والاستخلاص للحضرة^(١) ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما ، وحسب هذا
الوجود من الفضل الرباني والجلود الذي لم يزل عظيما ، أن بعث الله تعالى فيه
رسولا رؤفا بالمؤمنين رحما ، عزيزا على ربه الكريم كريما ، بسرّه سجدت
الملائكة لآدم تعظيما ، وبذكره ينظم سلك المادح لحضرته العلية تنظيما ، صلى الله
عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما ، صلاة تتصل ما دار كأس محبته على
محبّيه فكان مزاجه تسنّيا ، وسلاما ينزل دار دارين فيرسل بيضائعها إلى روضة
الرضا نسيا .

ومن خطبه المرجلة قوله سبحانه الله تعالى :

الحمد لله الذي حمّده من نعمائه ، وشكره على آلائه من آلائه^(٢) ، أحده حمّد
عارف بحق سنائه ، واقف عند غاية العجز عن إحصاء ثنائه ، عاكف على رسم
الإقرار بالافتقار إليه والاستعناء به في كل آنائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتوحد بعظمته وكبريائه ،
المتقدس عما يقوله الملحّدون في أسمائه .

وأصلى على سيد ولد آدم ونجبة أنبيائه^(٣) ، محمد المفضل على العالمين باحتبائه
واصطفائه ، المنتقى من صميم الصميم وصریح الصريح بجملته آبائه ، المرتضى الأمانة
والمكانة بإبلاغ أمر الله وأدائه ، أرسله الله كافة للناس عموما لا يتخصّص
بامتثائه ، وفصله بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة على أمثاله من المرسلين
ونظرائه ، ورقاه إلى الدرجات العلا وأنهاه إلى سِدْرَةِ المنتهى ليلة إسرائه ، وحبّاه^(٤)

(١) سقط خبر ما الموصولة في قوله « فما لنبيينا المختار »

(٢) الآلاء : النعم ، واحدها إلى - بكسر الهمزة مقصورا -

(٣) نجبة كل شيء : المختار منه . (٤) حبّاه : منحه وأعطاه .

بالخصائص التي لا يضاهاى بها بهاء كاله وكال بهائه ، وردّاه رداء العصمة فكانت
عناية الله تكنفه^(١) عن يمينه وشماله وأمامه وورائه ، ووفاه من حظوظ البأس والندى
ما شهد بمزيتة على الليث^(٢) والغيث فى إبانته وانهمائه ، صلى الله عليه وعلى آله
مصاييح الهدى ونجوم سمائه ، صلاة تتصل ما سمح البدر باثلاق أنواره والقطر
باندفاق أنوائه ، وسلم تسليما .

ومن نثره رحمه الله تعالى رسالة كتب بها من الأندلس إلى سيد الكونين
صلى الله عليه وسلم ، وهى :

السلام العميم الكريم ، والرحمة التي لا تبرح ولا تریم^(٣) ، والبركة التي
أولها الصلاة وآخرها التسليم ، على حضرة الرسالة العامة الدعوة والنبوة ، المؤيدة
بالعصمة والأيد^(٤) والقوة ، ومثابة البر والتقوى فى لقلوب الطيبين صفّا ومرّوة ،
مقام سيد العالمين طرا ، وهاديهم عبداً وحرّاً ، ومنقذهم من أشراك الهلاك وقد
ظلما ألقوا العيش ضنكا والدهر مرّاً ، ومقر الأنوار المحمدية ، والبركات السمرمية ،
أمتع الله تعالى الإسلام والمسلمين بحراسة أضوائها ، وكلاءة ظلّالها العلية وأفيائها^(٥) ،
وأقر عين عبدها بلثم ثراها ، والانحراط فى سلك من يراها .

السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أحمد ، السلام عليك يا أبا القاسم ،
سلام من يمدّ إليك يد الغريق ، ويرجو الإنقاذ ببركتك من نكد المصيق ،
ويتقطع أسفاً ويتنفس صعدا كلما ازداف إليك فريق ، وعمرت نحوك طريق ،
ولا يفتر صلاة عليك له لسان ولا يحفر ريق ، كتبته يا رسول الله وقد رحل
المجدون وأقت ، واستقام المستعدون وما استقامت ، وبينى وبين لم تراك النبوى ،
ولمح سنالك الحمدي ، معاوز لا يفوز بقطعها إلا من طهر دنس ثوبه ، بما توبه ،

(١) تكنفه : تحيط به . (٢) الليث : السبع ، والغيث : المطر .

(٣) لا تریم : لا تفارق مكانها . (٤) الأيد - بالفتح - القوة .

(٥) الأفياء : الظلال ، وأحدها فى .

وستروّض عييه ، بظهر غيبه ، فكلمارُمت المتاب رددت ، وكلما يمت ^(١) الباب صُدِّدَتْ
وقد أمرنا الله تعالى بالحجى إليك ، والوفادة عليك ، ومن لى بذلك يا رسول الله والآثام
تُذْنِي وتُبْعِدُ ، والأيام لا تُدْنِي ولا تُسعد ، وبين جنبى أشواق لا يزال يهزنى منها
المُقيم المُقْعِد ، ولئن كنت ممن خَلَفْتَهُ عيوبه ، وأوْبَقْتَهُ ^(٢) ذنوبه ، ولم يرض للوفادة
وهو مدنس ، على ذلك المقام وهو المطهر المقدس ، فعندى من صدق محبتك ،
وحُبِّ محبتك ، والاعتلاق بدمتك ، ما يُقَدِّمْنِي وإن كنت مبطّئا ، ويقربنى
وإن كنت مخطئا ، فاشفع لى يا رسول الله فى زيارتك فى أفضل المنى ، وتوسل
لى إلى مَوْلى بَيْنَ فضيلتك ، وتقبل وسيلتك ، فى النقلة من هناك إلى هنا ، واقبلنى
وإن كنت زائفا ^(٣) ، وأقبل على وإن أصبحت إلى الإنم متجانفا ، فأنت عماد أمتك
جميعا وأشتاتا ، وشفيهم أحياء وأمواتا ، ومن نأت به الدار ، وقعدت بعزمه
الأقدار ، ثم زار خطّه ولفظّه ، فقد عظم نصيبه من الخير وحظّه ، وإن لم أكن
سابقا فعسى أن أكون مُصَلِّيا ^(٤) ، وإن لم أعد مُقْبِلا فعلى أعد مؤليا ، ووحقك وهو
الحق الأكيد ، والقسم الذى يبلغ به المُقسِم ما يريد ، ما وَخَدَتْ إليك ركاب ،
إلا وللقب أثرها التهاب ، وللدمع بعدها سَحَ وانسكاب ، وباليقنى ممن يزورك
معها ولو على الوجنتين ، ويحييك بين ركبها ولو على المقلتين ، وما الفنى دونك
إلا بؤس وإقلال ، ولا الدنيا وإن طالّت إلا سجون وأغلال ، والله تعالى يمن
على كتابى بالوصول والقبول ، وعلى بلحاقى ببركتك ولو بعد طول ، ثم السلام ورحمة
الله تعالى وبركاته عليك ياسيد الخلق ، وأقر بهم من الحق ، ولمولاه ياحراز قَصَب
السَّبْق ، ومن طهر الله تعالى مثواه وقَدَّسَهُ ، وبناء على التقوى والرضوان وأسسهُ ،
وآتاه من كل فضل نبوى أعلاه وأسناه وأنفَسَهُ ، وعلى ضجيعيك السابقين

(١) يمت : قصدت . (٢) أوْبَقْتَهُ : أهلكته .

(٣) الزائف : الذى لا يروج من النقد ، هذا أصله .

(٤) أصل المصلي : الفرس الذى يحىء ثانيا من خيل الحلبة .

لما جريك وأنصارك ، الفائزين بصحبتك العلية وجوارك ، وعلى أهل بيتك
المطهرين أوائل وأواخر ، الشهيرين مناقب ومفاخر ، وصحابتك الذين عزروك
ووقروك ، وآدوك ونصروك ، وقدموك على الأنفس والأموال والأهل وآثروك ،
وأقرتك سلاما تنال بركته من مضي من أمتك وغبر ، ويخص بفضل الله تعالى
وجاهك من كتب وسطر ، إن شاء الله تعالى ، كتبه عبدك المستمسك بعروتك
الوثقى ، اللانثد بحرمك الأمانع الأوقى ، المتأخر جسما المتقدم نطقا ، فلان ، والسلام
عليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته .
وله من خطبة طويلة : ونشهد أن محمدا عبد الله ورسوله الصفوة المجتبي ،
الكريم أما طاهرة وأبا ، المختار من الطيبين مباركاً طيباً ، المصطفى نبياً إذ كان
آدم بين الماء والطين مُتَقَلِّباً ، المتقدم بمقام تأخر عنه مقام الملائكة المقربين ،
انتخبه الله وانتخبه ^(١) ، وأظهره على غيب عن غيره حجباً ، وشرفه في الملأ الأعلى
وأعلى رتبته ، وخطأ اسمه على العرش سطرّاً وكتبه ، فهو وسيلة النبيين ، والمرشع
أزلاً لإمامة المرسلين ، بعثه ربه لختم الرسالة ، ونعته بنعت الشرف والجلالة ،
وأيده بالحجة البالغة والدلالة ، وجعله نورا صادعا لظلام الضلالة ، وأثنى في ذكره
الحكيم ، على خلقه العظيم ^(٢) ، فما عسى أن يبلغ بعد ثناء المُثَنِّين ، بفضل الصريح
وإليه الإشارة ، وبه سبقت من إبراهيم الدعوة ومن عيسى البشارة ، وعليه راقى
من صفة الرؤوف الرحيم الحلية والشارة ، وهو الخبير بين الملوك والعبودية فاختار
العبودية بعد الاستخارة والاستشارة ، فبتواضعه حل بمكان عند ذى العرش
مكن أسرى به ربه إليه ، ووفده أكرم وفادة عليه ، وأدناه قاب قوسين
لديه ، ووضع إمامة الرسالة العظمى في يديه ، وقال له (اصدع بما تؤمر
وأعرض عن المشركين) فصدع بأمر الله صدعاً ، وأوتى من المثاني سبعا ^(٣) ، ومن

(١) انتخبه - بالجيم ، وبالحاء - اختاره واصطفاه .

(٢) يشير إلى قوله تعالى في وصف رسوله (وإنك لعلى خلق عظيم) .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) .

الآيات البينات آلافا وإن كان أوتي موسى تسعا ، فما مشى الشجر إليه يجر عروقه
إلا كرجوع العصاحية تسعى ، وما تفجر الحجر بالماء بأعجب من بنانه نبعت بالعذب
القرات نبعاً ، فارتوى منه خمسمائة وقد كان يكفي آلافا فكيف المئين ، وكله
عليه الصلاة والسلام من معجزة تهر ، وآية هي من أختها أكبر ، رجعت له
الشمس وانشق القمر ، وكله الضب وأخبر به الذئب وسلم عليه الشجر والحجر ،
وكان للجذع عند فراقه إعلاناً بوجوده واشتياقه أنه وحنين^(١) ، أعطى من المعجزات
ما مثله غبط عليه البشر ، وكانت له في الغار آيات بينات خفي بها على القوم الأثر ،
وارتج لمولده إيوان كسرى وخمدت نار فارس وكان ضرهما يتسعر ، وأنته أخبار
السماء فما عسى في الأرض الخبر ، فحدث عن الغيوب وما هو على الغيب بضنين ،
وجعل له القرآن معجزة تتلى ، يَبْلَى الزمانُ وهي لا تَبْلَى ، وتعلو كلماتها على الكلم
ولا تُعْلَى ، وتجلي آياتها في عين آيات الشمس حين تجلي ، فيتوارى منها بالحجاب
حاجب وجبين ، بهر إعجاز التنزيل العلي ، وظهر به صدق النبي العربي ، فكم
نادى لسان عزه في الندى ، يا أهل البديهة من القصحاء والروى ، قل فأنثوا
بسورة مثله فلم يكونوا لها مستطيعين ، لقد خص نبينا عليه السلام بالآيات الكبرى
والدلالات الواضحة العُرُر ، والمقامات السامية المظهر ، والكرامات المخلدة للفخر ،
فهو سيد الملأ النبوى والمعشر ، وحامل لواء الحمد في المحشر ، وصاحب المقام المحمود
والكواثر ، والشفيع المشفع يوم يقوم الناس لرب العالمين ، صلى الله عليه وعلى آله
الطيبين ، وذريته المباركين ، وصحابته الأكرمين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ،
صلاة موصولة تتردد إلى يوم الدين ، وتصعد إلى السموات العلا فتكون كتاباً في
عليين ، وسلم تسليماً .

(١) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب على جذع نخلة ، ثم اتخذ له
منبر ، فلما رآه سمع للجذع حنين ، فنزل عليه الصلاة والسلام ، فالتزم الجذع ، فسكن
حنينه ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لو لم أفعل لظل يحن إلى يوم القيامة »
أو كما ورد .

ومن نثره في خطبة قوله : أيها الناس ، رحمكم الله تعالى ! أصيخوا أسماعكم لمواعظ الأيام ، واعتبروا بأحاديثها اعتبار أولى النهى ^(١) والأحلام ، وأخضروا لفهم موادها أوعى القلوب وأصحّ الأفهام ، وانظروا آثارها بأعين المستيقظين ولا تنظروا بأعين النّوأم ، ولا تتخذ عنكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الأباطيل وأضغاث الأحلام ، ولا تنسينكم خُدْعُها الموهّمة وخيالاتها الممثلة ما خلا من مقالاتها في الأنام ، فهي دار انقياب ^(٢) النوائب ، ومصاب المصائب ، وحدث الحوادث وإلزام الآلام ، دار صفوها أكدار ، وسلها حرب تدار ، وأمنها خوف وحذار ، ونظمها تفرق وانتشار ، واتصالها انقطاع وانصرام ، ووجودها فناء وانعدام ، وبنائها تَضَعُضُعُ وإسها دام ، ينادى كل يوم بناديبها منادى الحام ، فلا قرار بهذه الغرارة ولا مقام ، ولا بقاء لساكنيها ولا دوام ، فبئست الدار داراً لا تدارى ، ولا تُقِيلُ لعائريها عثارا ، ولا تقبل لمعتذر اعتذارا ، ولا تقى ^(٣) من جورها حايقاً ولا جارا ، وليس لها من عهد ولا ذِمَام ^(٤) ، كم فتكت بقوم غافلين عنها نيام ، كم نازلت بنوازها من قِباب وخيام ، كم بدلت من سلامة بداء ومن صحة بسقام ، كم رمت أغراض القلوب بمُصْمِيَّات ^(٥) السَّهَام ، كم جردت في البرايا للعنايا من حُسام ، كم بددت بأكف النائبات الناهبات من عطايا جسام ، كم أبادت طوارق حوادثها من شيخ وكهل وغلّام ، لا تبقى على أحد ، ولا تترى لوالد ولا ولد ، ولا تخلد سروراً في خلد ، ولا يمتد فيها لآمل أمد ، بينا يقال قد وجد ، إذ قيل قد فقد ، بُعْدُها قد طبع على نكد وكمد ، فالفرح فيها تَرَحّح ، والخبرة عبرة ، والضحك والابتسام ، بكاء وأدمع سِجَام ، تفرق الأحبة بعد اجتماعهم ، وتسكن الوحشة مؤنس رباعهم ، وتستبيح

(١) النهى : العقول ، واحد هانية ، بالضم ، والأحلام : العقول أيضاً .

(٢) انتابته : نزلت به ، مثل نابتة ، والنوائب : المصائب .

(٣) تقى : تحفظ وترعى . (٤) النمام - بالكسر - العهد .

(٥) للمصميات : التي تصيب للقتل .

بالحام حتى الأعزة فلا سبيلَ إلى امتناعهم ، وتستحث ركائب الخلائق على اختلاف أنواعهم ، إلى مصيرهم إلى الله عز وجل وارتجاعهم ، فيسيرون طوع الزمام ، ويلقون مقادة التذلل والاستسلام ، حتى يلجثوا بالرغام^(١) ، وينزلوا بطون الرجام^(٢) ، ويحلوا الوهد بعد المقام السام ، فلا ناج من خطبها العظيم ولا سليم ، يتساوى في حكم المنية الأغر والمهم ، والأعز والمضيم ، ولو أنه ينجو من ذلك مجد صميم ، وجد كريم ، وحظ عظيم ، ومضاء وعزيم ، ومزية وتقديم ، وحديث في الفضل وقديم ، وشرف لسمك السموات مُسام ، وعلا على ساق العرش المجيد ذوارسام ، لنجا حبيبُ الملك العلام ، وسيد السادات الأعلام ، وصفوة الصفوة الكرام ، وخاتم الأنبياء ولبنة التمام ، وصباح الهدى ومصبح الظلام ، والأبيض المُستَسقى به غيث الغمام ، ثمال الأرامل وعصمة الأيتام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، لكن مع قدره الجليل وفضله الجلى ، أقدم الموت على جانبه العلى ، وتقدم ملك الموت لقبض روحه القدسي ، وتغيب في الثرى جمال ذلك الوجه البهى ، وتغيض ماء السماء والندى ، لملك السماحة النبوية والندى ، وأصيب المسلمون وأعظم بها مصيبة بنبيهم العربى ، الهاشمى القرشى ، فياله للإسلام ، من مصاب أسلفنا للحزن أى إسلام ، وأسأل مياه الدموع عن احتراق للضلوع واضطرام ، وأرانا أن الأسى فى رزية لخير البرية واجب ، وأن التأسى حرام ، وهل يسوغ الصبر الجميل ، فى ففيد بكنته اللانكته وجبريل ، وكثر له فى السموات السبع النحيب والعويل ؟ انقطع به عن الأرض الوحي الحكيم والتنزيل ، وعظمت الرزية به أن يؤدى حقيقتها الوصف والتمثيل ، غداة أفر منه الربع المُحِيل ، وأوحش من أنسه السفح والنخيل ، وكان من تلك الروح الطاهرة الوداع والرحيل ، وقامت البتولُ تندب أباهها بقلب قريح وجفن دام ، وتنادت الأمة مات الرسول فى كل بيت بكاء وانتحاب ونوح والتزام ، وحارت الأبواب

(١) الرغام - بالفتح ، بزنة السحاب - التراب ، ومنه قالوا « رغم أف فلان » أى التصق بالرغام . (٢) الرجام : جمع رجم - بالتحريك - وهو القبر .

والعقول فلا صبر هنالك لقد زلت عن الصبر الأقدام ، ولما نعتت إليه صلى الله عليه وسلم نفسه ، وأن أن تأفل من تلك المطالع شمس ، آذن أمته ^(١) بالفراق وأعلمهم ، وناشدهم في أخذ القصاص وكلهم ، مخافة أن يمضي إلى الملك الحق ، وعليه تباعة لأحد من الخلق ، وحاشاه عليه الصلاة والسلام ، من صفات جائر للأمة ظلام ، ولكنه تعريف من نبي الرحمة بما يجب وإعلام ، ثم استمر به صلوات الله وسلامه عليه وتمادى ، وزاد به السقم ^(٢) المقتاب وتمادى ، حتى واره مَلَحَدَه ، وخلا منه ربه ومسجده ، فعم الحزن والاكتئاب ، وتوارى النور فأظلم الجنب ، وعاد الأصحاب ، وكأنا دموعهم السحاب ، فقالت فاطمة وقد رابها من دفن أبيها الكريم ماراب : أطابت نفوسكم أن تحنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ فكأن كلامها للقلوب المفجعة كلام ^(٣) ، وللعيون المفجرة بالدموع انسحاق وانسجام ، وفي مثل هذا الشهر شهر ربيع ، المشيد بذكر الأشجان المذيع ، كانت وفاة هذا النبي الهادي الشفيع ، وانتقاله إلى الملاء الأعلى والرفيق الرفيع ، حين ناداه ربه إلى قر به ، فلبى بشوق قلبه تلبية المهطع المطيع ^(٤) ، وحنَّ إلى حضرة القدس فانتظم حين حل بها ما كان من شمله الصديق ، وانتظر من صنع الرب جميل الصنيع ، وإنجاز وعد الشفيع في الجميع ، إذا أعطى لواء الحمد وقام محمود المقام ، ووقف على الحوض ينادى : هلموا إلى أروكم من العطش والأوام ، اللهم اسقنا من حوضه المورود ، وشرفنا بلوانه المعقود ، وشفعه فينا في اليوم المشهود ، وارحمنا به إذا صرنا تحت أطباق اللحد ، اللهم اجعله لنا تمزية من كل مفقود ، وأوجد لنا من بركاته أشرف موجود ، وجاهه عنا بما أنت أهله من فضل وإحسان وجود ، وانفعنا بمحبته ومحبة آله وصحابه الركع السجود ، واجعلنا

(١) آذن أمته : أعلمها .

(٢) السقم : المرض .

(٣) الكلام : الندوب والجروح .

(٤) المهطع : المسرع

معهم في الجنة دار الخلود ودار السلام ، واخصصهم عنا بأكرم تحية وأفضل سلام ، وصل عليهم صلاة تستلم أركان رضوانك أي استلام ، وتنظم له كرامات إحسانك أي انتظام ، فصلاوات الله عليه ، وأطيب تحياته ورحمته ^(١) تتوالى لديه ، وأجزل بركاته ، ما تجد في ربيع ذكر وفاته ، وتمهد كهف القبول لطايب فضله وعُفائه ، وتعزى به كل مصاب في مصيباته ، وترجى شفاعته كل محب فيه متبع هداياته ، وتوفرت للمصلين عليه والمسلمين على جنباته ، حظوظ من رَأَى الله تعالى وأقسام (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) اللهم صل عليه من نبي لم يزل بالمؤمنين رؤفاً رحيماً ، اللهم صل عليه من نبي أوجبت حبه وعظمته تعظيماً ، اللهم صل عليه من نبي صليت عليه تجلّة وتكرّما ، وأمرتنا بالصلاة عليه إرشاداً وتعليماً ، فلنا بأمرك اقتداء واتِّمام ، وبمحمدك على ما هديتنا افتتاح واختتام ، وكلامك يا ربنا أشرف الكلام ، ولو جِهِك وحده البقاء والدوام (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين والحمد لله رب العالمين ، انتهى .

وترجمة ابن الجيان واسعة جداً ، وكلامه في التَّوَيَّات نظماً ونثراً جليل ، رحمه الله تعالى ! .

وقال لسان الدين في «الإحاطة» بعد أن عرف به وأورد له الرسالة ماصورته : ومحاسنه عديدة ، وآماله بعيدة ، ثم قال : إنه انتقل إلى بجاية فتوفي بها في عشر الخمسين وستائة ، انتهى .

وقال صاحب «عنوان الدراية» في حق ابن الجيَّان المذكور ما ملخصه :
الرواية والدراية والحفظ والإتقان ، وجودة الخط وحسن الضبط ، وهو في الكتابة

ترجمة
ابن الجيان
عن «عنوان
الدراية»

(١) تتوالى : تتتابع ويلى بعضها بعضاً .

من نظراء الفاضل أبي المطرف بن عميرة الخزومي ، وكثيرا ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ، ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء ، ونثره ونظمه كله حسن ، ونظمه غزير ، وأدبه كثير ، ومن ذلك قصيدته الدالية التي مطلعها :

يا حادى الركب قف بالله يا حادى وارحم صباية ذى نأى وإبعاد
وله أيضا :

ترك النزاهة عندنا أدى إلى وصف النزاهة
ما ذاك إلا أنها تدعو الوقور إلى الفكاهة
وإذا أمرؤ نيسد الوقا ر فقد تلبس بالسفاهة

ومن بديع نظم ابن الجيآن رحمه الله تعالى هذا التخميس في مدح سيد الوجود ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم :

الله زاد محمدا تكريما وحباه فضلا من لدنه عظيما^(١)
واختصه في المرسلين كريما ذا رافة بالمؤمنين رحيا
صلوا عليه وسلموا تسليما

جلت معاني الهاشمي المرسل وتجلت الأنوار منه لمجتملى
وسما به قدر الفخار المقتلى فاحتل في أفق السماء مقيا
صلوا عليه وسلموا تسليما

حاز الحمد والمادح أحمد وزكت مناسبه وطاب المحتد^(٢)
وتأملت علياؤه والسودد مجدا صميا حادثا وقديما

(١) حباه : منحه وأعطاه .

(٢) المناسب : أصوله من جهة أبيه وأمة ، وكأنه جمع نسب على غير لفظه كالللملاح

صلوا عليه وسلموا تسليما

شمس الهداية بدرها للبتاح قطب الجلالة نورها الوضاح^(١)

غيث السماحة للندى يرتاح يروى بكوثره الظاء الهيا^(٢)

صلوا عليه وسلموا تسليما

تاج النبوة خاتم الأنبياء صفو الصريح خلاصة العلياء

نجل الذبيح سلالة العلماء بشرى المسيح دعاء إبراهيم

صلوا عليه وسلموا تسليما

فخر لآدم قد تقادم عصره من قبل أن يدري ويمجى ذكره

سر طواه الطين فهم نشره معنى السجود لآدم تفهيم

صلوا عليه وسلموا تسليما

لله فضل المصطفى المختار ما إن له في المكرمات تجارى

ولا مبار باختصاص البارى بالحق قدم مجده تقديم

صلوا عليه وسلموا تسليما

أوصاف سيدنا النبي الهادى ما نالها أحد من الأجداد

فالرسل فى هدى وفى إرشاد قد سلموا لتبييننا تسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

آياته بهرت سنا وسناء وأفادت القمرين منه ضياء

وعلت بأعلام الظهور لواء فهدى به الله الصراط قويا

صلوا عليه وسلموا تسليما

دنت النجوم الزهر يوم ولادته ورأت حليلة آية لسيادته

(١) اللتاح : الظاهر البادى للعيان .

(٢) الظاء : العطاش وزنا ومعنى ، والهيم : جمع أهيم ، وهو الشديد العطش .

وتحدثت سعد بذكر سعادته ففتساءلوا نعم اليقيم يقيمًا
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 لما ترعرع جاءه الملكان بالطست فيها حكمة الرحمن
 فاستخرجا القلب العظيم الشأن منه وطهر ثم عاد سليما
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 كرمت مناشي أحمد خير الوري وجري له القلم العلي بما جرى
 ما كان ذاكم حديثا يفتري لكنه الحق الجلي رسوما^(١)
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 ما زال برهاف النبي يلوح يغدو به الإعجاز ثم يروح
 حتى أتاه بعد ذاك الروح يوحى له وحى الإله حكما^(٢)
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 شهدت له بمزية التفضيل سور وآيات من التنزيل
 وصلاة خالقه أدل دليل فافهمه واسمع قوله تعظيما
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 إن الرسول المعلى المقدار لمؤيد من ربه القهار
 بالمعجزات جلت عى الأبصار وشفقت من أدواء الضلال سقيما
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 كم شاهد لمحمد بنبوته في أيد تأييد الإله وقوته
 فبذاك أعلى الله دعوة حجته فضت حساما صارما وعزما

(١) يفتري - بالبناء للمجهول - يخلق ، وفي الكتاب الكريم : (ما كان حديثا
 يفتري ، ولكن تصديق الذي بين يديه) .

(٢) الروح : جبريل ملك الوحي

صلوا عليه وسلموا تسليما

البدر شق له ايظهر صدقه والشمس قد وقفت تعظم حقه
والمزن أرسل إذ توسل ودقه فاخضر ما قد كان قبل هشيا^(١)

صلوا عليه وسلموا تسليما

والماء بين بفانه قد سالا عذبا معينا سائغا سلسالا
كفداه يمنح رفته من سالا وينيل راجيه النوال حسيا^(٢)

صلوا عليه وسلموا تسليما

بركاته أربّت على التعداد كم أطعمت من حاضرين وبادي^(٣)
من قصعة أو حثية من زاد رزقا كريما للجيش عيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

سجد البعير له سجود تذلل وشكا إليه بحرقة وتململ
والشاة قال ذراعها : لا تأكل مني فأني قد ملئت سموما

صلوا عليه وسلموا تسليما

والغصن جاء إليه يمشي مسرعا والصخر أفصح بالتحية مسمعا
والظبية العجماء فيها شفعا والضب كلم أحدا تكليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

والجذع حن له حنين الواله يبدى الذى يخفيه من بلباله^(٤)
أفلا يحن مقيم بحماله يشتااق وجهه للنبي وسيا

صلوا عليه وسلموا تسليما

ما بالنا نسلو وحب حبيتنا يقضى بيت غرامنا ونحيينا

(١) المزن : السحاب ، والودق : المطر

(٢) الندى - بالفتح مقصورا - العطاء والجود

(٣) أربّت : زادت (٤) الواله : العاشق

لو صبح في الإخلاص عقد قلوبنا لم نفس عهداً للرسول كريماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

أين الدموع تُقَيِّضُهَا هَتَانَا أين الضلوع نفضها أشجاناً

حتى نقيم على الأسى برهاناً لمتعم إرشادنا تكميلاً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

أو ليس هادينا إلى سبل الهدى أو ليس منقذنا من أشراك الردى

أو ليس أكرم من تعمم وارثي أو لم يكن أزكى البرية خيراً^(١)

صلوا عليه وسلموا تسليماً

ذاك الشفيع مقامه محمود ولواؤه بيد العلا معقود

فإذا توافقت للحساب وفود قالوا : تقدم بالأنام زعيماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

فيقوم بالباب العلى ويسجد ويقول : يا مولاي آن الموعد

فيجيب : قل يسمع إليك محمد وزريك من أنقرة ونعيماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

أعظم بعز محمد وبجأه أكرم به متوسلاً للإله

شربت كرام الرسل فضل مياهه فقدت تعظم حقه تعظيماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

يا سامعي أخباره ومفاخره ومطالعي آثاره ومآثره

ومؤملِي وافي الثواب ووافره إن شئتمو فوزاً بذاك عظيماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

(١) الحيم - بكسر الحاء - الطبيعة والسحبة
(٢) ...

قلت : وكثيراً ما كنت أشد هذه القصيدة بالمغرب في مجالس التدريس ،
وأضيف إليها قبلها أخرى لبعض أهل المغرب الذين لهم في منازل الأمداح النبوية
مَقِيل وتَعْرِيس ، وهى قصيدة ميلادية كأنما لم ينظمها مؤلفها إلا مقدّمة لهذه
القصيدة الفريدة ، وهى :

قصيدة مخمسة
لبعض أهل
المغرب

اسمع حديثاً قد تضمن شرحه روضاً من الإيناس أينع دوحه (١)
فيه الشفاء لمن تكاثر برّحه وفى ربيع قد تعطر نفحه (٢)
أذكرى من المسك الفتيق نسياً

شهر حوى بوجود أحمد أسعداً بالمصطفى بين الشهور تفردا
يا ما أجل سناءه وأجدا لولادة الختار أحمد قد غدا
يزهو به فخراً تراه عظيماً

يا من بأدمع مقلتيه يفتدّى كم ذا تنادى حسرة : من مُنقذى
وتقول للزفرات : هل من منفذ بشرى بشهر فيه مولده الذى
سر الزمان علوه تعظيماً

يا ليلة رُفعت بأحمد حُجُبها لما دنا بعد التباعد قربها
وتطلعت للسعد فينا شهبها ضاءت لها شرق البلاد وغربها
وتأنقت أرجاؤها تنعيماً

أسدى إليك الدهر حسن صنيعه وحبّاك من غض الجنى ببديعه
وفى هلال محمد بريعه فاعتز أمر الله عند طلوعه
وغدا به دين الإله قويماً

(١) الدوح : جمع دوحة ، بالفتح ، وهى الشجرة العظيمة

(٢) برح السقم : شدته ، والنفع : الريح

نظم الزمان بجيد عمرك دره فاشكر مآثره وواصل بره
وافاك بالسر المصون فسره واعرف لهذا الشهر حقا قدره

فلقد غدا بين الشهور كريما

يا صاح جاءت بالأمانى أسعد وأطلّ بالبشرى الكريمة مولد
هذا ربيع فيه أنجز موعد شهر كريم جاء فيه محمد

صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم قلت أنا عند ختم درّس الشفا ، موطننا لقصيدة ابن الجيان المذكور ولعذب
براعتها مرتشفا ، ما نصه والأعمال بالنيات :

خمسة للمؤلف

انشق أزاهر عن فنون رياض للعلم واكرغ من عذاب حياض^(١)
واسق الرياض بذكره الفياض واحفظ كلاما للإمام عياض
قد تمت أقسامه تقيما

لله روض منه أنبع دوحه ينجى به من الكريم ومنحه
فهو الشفاء لمن تكاثر برّه مسك الختام به تعطر نفحه
فشذاه في الأرجاء صار شميا^(٢)

فاضت علينا من هداة عوارف زهر وأنوار وظلّ وارف
ونمارق مصفوفة ومطارف يا حسن ما أبداه فذعارف
درا بأسلاك الحديث نظما

لم لا وبالمالك الشفيع تشرفا خير البرية ركن أرباب الصفا
من أسعد الراحي وقصدا أسعفا طه النبي الهاشمي المصطفى
صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) انشق : فعل أمر ، تقول : نشق الطيب - من باب علم - إذا شممه
(٢) الشذى : الريح ، والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية ، والشميم : الشموم

قصيدة
لابن الجيان
وقد رأيت بعد وصولي إلى هذا الموضع من هذا الكتاب أن أذكر قصيدة
لابن الجيان المذكور في روى تلك القصيدة غير نمشة مستقلة بنفسها ، وهي قوله
رحمه الله تعالى :

صلوا على أسنى البرية خيما	وأجل من حاز الفخار صميا
صلوا على من شرفت بوجوده	أرجاء مكة زمزما وحطيا
صلوا على أعلى قریش منزلا	بذراه خيمت العـلا تخميا
صلوا على نور تجلّى صبحه	فجلا ظلما للضلال بهيما
صلوا على هاد أرابا هديه	نهجا من الدين الحنيف قويا
صلوا على هذا النبي فإنه	من لم يزل بالمؤمنين رحيا
صلوا على الزاكي الكريم محمد	ما مثله في المرسلين كريما
ذاك الذي حاز المكارم فاغتدت	قد نظمت في سلكه تنظيما
من كان أشجع من أسامة في الوغى	ولدى الندى يحكى الحيا تجسبا ^(١)
طلق الحياء ذوحيا زانه	وسط الندى وزاده تعظيما
حكمت له بالفضل كل حكيمة	في الوحي جاء بها الكتاب حكما
وبدت شواهد صدقه قد قسمت	بدر الدجى لقسيمه تقسيما
والشمس قد وقفت له لما رأت	وجهها وسما للنبي وسما ^(٢)
كم آية نطق تصدق أحدا	حتى الجهاد أجابه تكليما
والجذع حنّ حنين صب مغرم	أضحى للوعات الفراق غريما
جلت مناقب خاتم الرسل الذي	بالنور ختم والهدى تخميما

(١) أسامة : السبع ، وهو علم جنس

(٢) وجه وسيم : من الوسامة ، وهي الجمال ، وقوله في القافية « وسما » مؤلف

من واو العطف . ومن « سما » بمعنى العلامة

وسمى به فوق السماء مراتب بمقام صدق عز فيه مقيما
فله لواء الحمد غير مدافع وله الشفاعة إذ يكون كليباً^(١)
نرجوه في يوم الحساب ، وإنما نرجو لموقفه العظيم عظيماً
ما إن لنا إلا وسيلة حبه وتحية تذكو شذى وشميماً
ونخير ما أهدى امرؤ لنبيه أرج الصلاة مع السلام جسيماً
يا أيها الراجون منه شفاعة صلوا عليه وسلموا تسليماً

وهذه قصيدة بديعة مخمسة من كلام الشيخ الأستاذ أبي العلا إدريس بن موسى
القرطبي في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقف عليها أبو عبد الله بن الجيان
المذكور وقرظها بما سنذكره قريباً بعدها ، وهي :

أهلاً بكم يا أهل هذا النادى أهل اعتقاد الوعد والميعاد
أهدوا الصلاة إلى النبي الهادى وصلوا السلام له مع الآباد
يندى نسيماً مذكراً تسليماً

هو أول الشفعاء يوم الحشر وسواه بين تقدّم وتأخر^(١)
بهت الحضور لهول ذاك المحضر والكل في الخطب العميم الأكبر
قد هيئت ألبابهم تهيباً

ذاك المقام الأشهر المحمود هو للنبي محمد موعود
فيه الشفاعة ذخرها موجود درك المراد وحوضه المورود
فضل الكليم به وإبراهيم

عيسى وموسى والخليل مروع من هول مطلع هنالك يفظع
فيقال أحمد قل فإنك تسمع فيقوم يحمد ربه فيشفع

(١) ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم - حين يري ما عليه الناس يوم الحشر من الكرب - يتقدم إلى ربه فيسجد فلا يرفع رأسه حتى يكلمه ربه ويأذن له فيشفع فيشفعه الله تعالى

فضلا من الرب العظيم عظيما

يا أمة المختار أتم أمه والهول قد عم البسيطة يمه
والأنبياء سواء كل همهم تخليص مهجته وليس يهمهم
من كان في الدنيا عليه كريما

صلى الإله على الذي صلى عليه عشراً واحدة يزكها لديه
وأراه في الدارين قوة ناظريه يا قاصدين إلى وصولكم إليه

راجيت من أرج القبول نسبا

لولا وصية صاحب التنزيل أن لا يقال له غلو القيل (١)
قول الغلاة لصاحب الإنجيل اعلوت في التعظيم والتبجيل
عظم المكانة يوجب التعظيما

طوبى لقلب قد تلالا إذ صفا بالسر منه قد ثبت إذ هفا (٢)
خطت به آيات حب المصطفى فقد ا لصاحبه بذلك مصحفا
يهدى إلى نهج النجاة قويا

فاقت علا ذكراه إذ راقت خلا ملا النبوة أهم حين اعتلى
في ليلة الإسراء أعلى معلى كتب الإله له التقدم في العلا
وعليهم التفويض والتسلما

وكذاك يسلم في الشفاعة كلهم ومحلم عند الإله محلم
ظل النبي محمد هو ظلهم يمشون تحت لوائه فيدلهم
يندى عليهم بهجة ونعيا

أوصافه من كل حسن أبهج العرف ينفع والسنا يتبلغ (٣)

(١) ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ،
ولكن عبد الله ورسوله » (٢) تلالا : أصله تلالاً فسهل الهمزتين
(٣) العرف - بالفتح - الريح ، وينفع : يفوح ، والسنا : النور والضوء

فتأرج الأرجاء منه وتبهج فاق الزواهر نورها يتوهج
والزهر نفاح النسيم وسيا
طَلَقَ المحيا منهل للنائل أنحى على الدنيا بزهد كامل
هو مَثَلُ الدنيا بظل زائل لم ترضه حال النعيم الحائل
ما حاول الترفيه والتنعيم
ما ورث المختار مال مؤمل إلا جواهر في الكتاب المنزل
أشهى لقلب الناظر المتأمل وأقر إعجابا لعين المجتلى
من كل قيمة مقتض تقويما
وَقَفَّتْ يا من لم يخالف نصه حزت الكمال وليس تخشى نقصه
نهج الهدى قول النبي اقتصه بالوحي شرفه الإله وخصه
شرفا على شرف السناء صميما
سبحان مَوْحٍ لا يحد له الكلام من قال ذات كلام خلاق الأنام^(١)
خلق فذلك آثم كل الأنام ذاك الذي في الدين ليس له ذِمَام
إلا ذمام لا يزال ذميما
ضَلَّ الذي يبغي الهدى مما سواه وهوى به في كل مهواة هَوَاه
من فارق الفاروق قد تَبَّتْ يدها حيران لم يهد السبيل إلى هداه
لا يعرف التحليل والتحريما
بالمدح مجد المصطفى يممته من حلّى أوصاف له نظمته
لم أبلغ المعشار إذ أحكمته بعضاً نسيت وبعضه ألهمته
قلدته جيد الزمان نظميما

(١) يشير إلى مقالة المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن القرآن مخلوق ، وكان لهم خطب فادح في هذه المسألة ، وفيها أودى كثير من أئمة الهدى ، ومن أودى في هذا السبيل شيخ أهل الحديث أحمد بن حنبل

لوفزت بالإحسان من حسان وسجبت أذيل على مسجبان^(١)
 أو أيدتنى لسن كل زمان من كل ذى زعم عظيم الشأن
 ما كنت بالمعشار منه زعيما

إدريس حفتك الحقوق خفوقا هلا خففت إلى الرسول خفوقا
 وقرت بالعزم المومم ضيوقا وشدوت أن هال الزمان صروفا
 مهلا كفك معلمى التعليما

ثقة بفضل الواحد القهار ملك الملوك مصرف الأعصار
 جعل النبي مكرم الآثار وأمدّه بالنصر والأنصار
 وأتم نعمته له تميميا

هل أجلون بصرى بكحل سناه ياسعد من كحلت به عيناه
 ظفرت يده ، وساعدته مناه لله ذاك الأفق ما أسناه

كرم الحل فيقتضى التكريرا

ونصّ تقيظ ابن الجيان على هذه القصيدة هو قوله :

ما زال كل حليف لله أضحي وليا
 وللعالم خليلا وعن سواها خليا
 يصوغ عقيان مدح للهاشمي حليا
 ويوجب الحق فيه إيجابه الأوليا
 ويقتنى في رضاه نهجا جليلا جليا
 والكل أخطاه حظ فالقوز يلقي مليا
 لكن إدريس منهم حاز المكان العليا

تقريظ
 لابن الجيان
 على القصيدة
 السابقة

(١) حسان : شاعر النبي صلى الله عليه وسلم المدعو له بالتأييد ، وسجبان : من خطباء العرب في الجاهلية وفصحائهم

ولا يخفك أنه التزم في هذه القطعة ما لا يلزم من اللام قبل الياء ، رحمه الله تعالى ! .

ولا بأس أن نورد هنا ما حضر من التخميسات الموافقة لتخميس ابن الجيان المذكور السابق أولاً في البحر والروى والمنحى الذى لا يضل قاصده ، وكيف لا وهو مدح الجناب الرفيع العظيم النبوى .

فمن ذلك قول أبى إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي فإن بعضاً ذكر أنها من قوله لما أظهر الإسلام ، وهى لا تقتضى رفع الريبة فيه والاثهام :

جعل المهيم حب أحمد شيمة وأتى به فى المرسلين كريمة
فعدا هواه على القلوب تميمة وغدا هداه لهديهم تميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أبدى جبين أبيه شاهد نوره سجدت به السكبان قبل ظهوره
كالطير غرد معرباً بصفيره عن وجه إصباح يطل نسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أنس الرسالة بعد شدة غمرة منجى البرية وهى فى يد غمرة^(١)
محى النبوة والهدى عن فترة فكأنما كفل الرشاد يتيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

الله أوضح فضله فتوضعا والله بين حبه فى (الضحى)^(٢)
والجدع حن هوى له فترنحا والماء فاض بكفه تسنيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فربا الرواية عن رباه زكية نجواه ربانية ملكية

(١) الغمرة - بالفتح - الشدة

(٢) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الضحى : (وللاخرة خير لك من الأولى ،

ولسوف يعطيك ربك فترضى)

أوصافه علوية فلكية فإخال شعري عندها تنجيا

صلوا عليه وسلموا تسليما

احتث في السبع الطباق برأقه والأرض واجمة تخاف فراقه^(١)

سبحان من أدنى سراه فساقه شخصا على ملك الملوك كريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

فاشتم ريحان القلوب الطيبا ودنا فأسمع يا محمد مرحبا

إني جعلتك جار عرشي الأقربا إن كنت قبلك قد جعلت كلاما

صلوا عليه وسلموا تسليما

يا ليلة يجرى الزمان فتسبق الحجب فيها والأرائج تفتق

ما كان مسك الليل قبلك يعبق بشري محمد استفاد نسما

صلوا عليه وسلموا تسليما

حتى إذا اقتعد البراق لينزلا نادته أسرار السموات العلا

يا راحلا ودعته لا عن قلبي ما كان عهدك بالغيوب ذميما^(٢)

صلوا عليه وسلموا تسليما

صعد النجود وسار في الأغوار سمك السما طورا وبطن الغار

متقسما في طاعة الجبار ما أشرف المقسوم والتقسما

صلوا عليه وسلموا تسليما

الشافع المتوسل المتقبل القانت المـدثر المزمـل

وافي وظهـر الأرض داج محـل فجلى البهيم به وأروى الهيمـا^(٣)

صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) احتثه : دفعه إلى الإسراع ، والبراق : الذي ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج (٢) القلى - بكسر القاف مقصورا - الغض

(٣) داج : مظلم ، ومحل : مقفر ، والهيم : جمع أهيم ، وهو الشديد العيش

دفعته كرامته الزوج عن الحرم ودعاه جبريل المنزه في الحرم
وعزت له آيات نون والقلم خلقتا به شهد الإله عظيما^(١)
صلوا عليه وسلموا تسليما

طاب و يفيض الزاد في أصحابه غيث ولكن كان يستصحى به
طابت ضمار قلبه وتراه منه بسير لم يكن مكتوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا شوق الحامى إلى ذاك الحى فمتى أقضيه غراما مغرما
ومتى أعانقه صعيدا مكرما بضمير كل موحد ملثوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قصيدة خمسة
لبعض الوعاظ

ومن ذلك قول بعض الوعاظ ، وأظنه في أهل المشرق
جل الذى بعث الرسول رحيمًا ليرد عَنَّا في المعاد جحيمًا
وبه رُجِّى جنَّة ونعيمًا أضحى على البارى الكريم كريمًا
صلوا عليه وسلموا تسليما

ما ضل عن وحى الإله وما غوى حاشا رسول الله ينطق عن هوى
الصادق الثقة الأمين بما روى قد نال من رب السماء علوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

وافى له الروح الأمين مبشرا نادى به يا خير من وطئ الترى
أجيب المهيمن يا محمد كى ترى ملكا كريمًا فى السماء عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فأجابه المختار حين دعا به رب السموات العلا لخطابه

(١) يشير إلى قوله تعالى فى سورة (ن) فى شأن النبي صلى الله عليه وسلم :

(وإنك لعلى خلق عظيم)

ركب البراق وقد أتى لجنابه أمسى له الروح الأمين نديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ففى أرى الحادى يبشر باللقا ويضمه بان الحصب والنقا

ورأى ضريح المصطفى قد أشرقا مولى حليما لن يزال رحيمًا

صلوا عليه وسلموا تسليما

وأقول للزوار قد نلتُ المنى يهنئكم طيب المسرة والهنا

فاستبشروا من بعد فقر بالغنى فالله زادكم به تكريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم الرضا عن آله الكرماء وكذاك عن أصحابه الخلفاء

فهو هم دينى وعقصد ولائى قوما تراهم فى المعاد نجوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

قصيدة مخمسة ومنها قول بعض فضلاء المغاربة رحمة الله تعالى :

لبعض أهل
المغرب

يا أمة الهادى المبارك أحمد يهنئكم نيل الأمانى فى غد

بمحمد فزتم ومن كمد إن شئتم أن تدركوا التميميا

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البدر المنير الزاهر صلوا على المسك الفتيق العاطر^(١)

صلوا على الغصن البهى الناضر وتنعموا بصلاتكم تفعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالنبوة زينا صلوا على من بالكمال تمسكنا

بمحمد فزنا بإدراك المنى فضلا منحنا حادثا وقديما

(١) مسك فتيق : هو الذى استخرجت رائحته بشيء يدخل عليه

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البدر المنير اللأمح صلوا على الهادي الحبيب الناصح

صلوا على المسك الفقيق الفأمح للرشيد فهم والهدى تفهيم

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مَنْ مجده قد أسسا والماء بين بنانه قد يجسا (٢)

وأنت إليه سرحة حتى اكتسى بفروعها إذ خيمت تخيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كان يبصر من قفأ وعليه سلمت الجنادل والصفأ

والذئب قال صدقت أنت المصطفى وشكا إليه بازل قد ضيأ (٣)

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق عين الضرير ولدغة الصديق

وأعاد طعم الماء مثل رحيق إذ مذج فيه العنبر المحتوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالملائك جيشا وغدت تظله الغمام إذا مشى

حرست سماء الله لما أن نشا ليكون سر حبيبه مكتوما (٣)

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا عليه كل حين تريحوا وبهديه مهما اهتديتم تفلحوا

والأجر يشملكم فجدوا تنجحوا وإذا أردتم أن يكون عظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا بجمعكم على شمس الهدى صلوا على بدر يزين المشهدا

(١) بحس الماء — بتشديد الجيم هنا ، ويأني مخفف الجيم من بابي ضرب

ونصر — أي جره (٢) ضامه يضيئه : أنزل به الضم

(٣) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن الجن : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت

حرسا شديدا وشهبا)

صلوا عليه به الرشاد تمهداً والذكر بين فضله تفخيماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

صلوا بإخلاص على خير البشر صلوا على من فاق حسناً واشتهر

ونمت فضائله وشق له القمر ولكم دليل في علاه أقيماً^(١)

صلوا عليه وسلموا تسليماً

صلوا على من قد رأى الرحمان بالقلب أو بالعين منه عياناً

من قاب أو أدنى مقام كانا فخذ الفوائد كي تفاد علوماً^(٢)

صلوا عليه وسلموا تسليماً

صلوا عليه كلم لا تسأموا وتبركوا بصلاته وتنعموا

فعليه صلى الأنبياء وسلموا شرفاً لهم إذ أهمهم تقديماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

يا حاضرين بلغتم كل المنى عن جمعكم من فضله ذهب العنا

وإليكم والله قد وجب الهنا بمحمد كرمتم تكریماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

قولوا برغم معاندين وحساد كي ترغوا أنفا لكل مفند

صلى الإله على النبي محمد أبدا وزاد لقدره تعظيماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

يارب يا ذا المن والإحسان جُد بالرضا والعفو والغفران

لوالدين ومنشد الأوزان والسامعين أنلهم تنعيماناً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

(١) نمت : زادت

(٢) يشير إلى قوله تعالى في شأن معراج النبي صلى الله عليه وسلم : (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى)

صلى عليه الله ما اجتمع الملاّ صلى عليه الله ما قطع الفلاّ
صلى عليه الله ما انتجع الكلاّ أبدا وما رعت السوام هشيّا^(١)
صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن ذلك قول الإمام العالم الشهير الأديب مالك ابن المرحل المالقي ثم السبتي ،

وهي من غرر القصائد ، وفيها لزوم مالا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم يجعلها قصيدة خمسة
بدأ ورويا على اصطلاح المغرب :

في مدح النبي
لمالك بن المرحل
المالقي ، السبتي

ألف ، أجل الأنبياء نبيّ بضياؤه شمس النهار تضيّ
وبه يؤمل محسن ومسيّ فضلا من الله العظيم عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

باء ، بدا في أفق مكة كوكبا ثم اعتلى فجلا سنانه الغيها
حتى أنار الدهر منه وأخصبا إذ كان فيض الخير منه عميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

تاء ، تيننت الهدى لما أتى فنفى الشريك عن القديم وأثبتنا
أحدية منّ حاد عنها قد عتّا وتلا كلاما للكريم كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثاء ، ثوى في الأرض منه حديث في كل أفيّ طيّبهُ مبعوث^(٢)
داع بأنواع الهدى مبعوث يتلو نجوما أو يهز نجوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

جيم ، جلا بسراجة الوهاج ما جن من ليل الظلام الداجي
وسقى القلوب بمائه الثجاج فأصارها بعد الغيوم غميما

(١) الكلاّ : العشب ، أو ماليس له ساق منه ، وانتجعه : طلبه ، والسوام :
السائمة التي ترعى ما تشاء (٢) ثوى : أقام ، ومبعوث : ذائع منتشر

صلوا عليه وسلموا تسليما

حاء ، حمى دين الهدى بصفايح وسما بِشْم كالجبال أراجح^(١)
من كل أزهر هاشمي واضح لولا نداه غدا النبات هشيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

خاء ، خبت نيران جهل شامخ آيات علم للرسالة راسخ^(٢)
من مثبت ماح ومنس ناسخ قد خص بالذكر الحكيم حكيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

دال ، دعا فأجاب كل سعيد وأتى بوعده صادق ووعيد
حتى أقر الناس بالتوحيد وتجنبوا الإشرار والتجسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ذال ، ذباب حسامه مشحوذ للناكثين ، وعهدهم منبوذ
أما السعيد فبالنبي يلوذ فيدال من ذل الشقاء نعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

راء ، روينا عن ذوى الأخبار أن الندى والبأس مع إيثار
بعض صفات المصطفى المختار كم قد تقدم بالأنام زعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

زاي ، زعيم بالنزال عزيز وبلغ معنى في المقال وجيز
فلقوله من فعله تعزيز ولربما عاد الكلام كُلوماً^(٣)

صلوا عليه وسلموا تسليما

سين ، سلام كالنفيس تنفسا وقد اجتني وردا وصافح نرجسا

(١) الصفائح : السيوف ، واحدها ضفيحة ، والشم : جمع أشم ، وهو وصف من الشمم ، وهو ارتفاع في قسبة الأنف ، وهو من علائم العزة عند العرب
(٢) خبت : سكنت ، والراسخ : الثابت (٣) الكلوام : الجروح

أهدى إليه في الصباح وفي المساء بقصائد كادت تكون نسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

شين ، شمائله الكريمة تعطش من كان من سكر المحبة يرعش
لكن أضع العمر فيما يوحش فعدت ندامته عليه نديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صاد ، صَفِيٌّ لِلَّهِ ومخلص ومقرب ومفضل ومخصص
ذهب سبيك وزنه لا ينقص قد طاب خيما في الوري وأروما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ضاد ، ضمين نصحه محجوز ضافي القراءة بالعلوم يفيض
إن غاض ماء البحر ليس يفيض لما استمر زلاله تسليما^(١)
صلوا عليه وسلموا تسليما

طاء ، طويل السيف متسع الخطا رحب الذراع ومن يمد لهم سطا
يردى العدا وإذا ارتدى متخبطا يبرى عذابا إذ ألام أليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ظاء ، ظهير للعباد حفيظ حظ له أدب العباد حفيظ
حق له التأبين والتقريظ ميتا وحيا ظاعنا ومقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

عين ، عزيز ذكره مرفوع في الأنبياء وقوله مرموع
مشروح صدر ، حبه مشروع من لا يدين بذاك كان ذميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) غاض : غار في الأرض ، والزلال - بالضم - الماء العذب السائغ ،
والتسليم : من مياه الجنة

غين ، غزا من زاع عنه ومن طغى وغدا يشب لمن طغى نار الوغى
حتى أقامت من عصى بعد الصفا وتَقَوُّمُ النارُ العَصَا تقويماً^(١)
صلوا عليه وسلموا تسليماً

فاء ، فواتح سورة الأعراف وبراءة والرعد والأحقاف
أَخْطَتُهُ بالأقسام والأوصاف فتي توفى حقه منظوماً
صلوا عليه وسلموا تسليماً

قاف ، قوافي النظم عنه تضيق أيطيقه الإنسان ليس يطيق
فانخلق في التقصير عنه خليق ولَوَأَنَّهُمْ ملؤا الفضاء رقوماً
صلوا عليه وسلموا تسليماً

كاف ، كريم العنصرين مبارك متفرد بالجاه ليس يشارك
فهو الذى بمقامه يتدارك والهول يغدو مُقْعِدًا ومقيماً
صلوا عليه وسلموا تسليماً

لام ، له عقد اللواء الأحفل وله الشفاعة فى غد إذ تسأل
وإذا دعا فدعاؤه متقبل حق الرحيم بأن يرى مرحوماً
صلوا عليه وسلموا تسليماً

ميم ، ملائكة الإله تسلم فَوْجًا عليه إذ بدا وتعظم
ويمر جبريل بها يتقدم فيضاعف التعظيم والتكرima
صلوا عليه وسلموا تسليماً

نون ، نبي جاءنا ببيان وبمعجزات أبرزت لعيان
وبحسبه أن جاء بالقرآن يشفى قلوبا تشتكى وجسوماً

(١) الصغا - بالفتح مقصورا - الميل والاعوجاج ، ومتى أردت تثقيف رمح أو
أو تعديل عصا عرضتها على النار لتلين

صلوا عليه وسلموا تسليما

هاء ، هو الهادي الذي اقتدح النهى فتفكرت في ملك من رفع الشها^(١)
وقضى بحمد للأمور ومنتهى فأفادها النظر السديد عموما

صلوا عليه وسلموا تسليما

واو ، وهى ركن التجلد ، بل هوى لما نوى في التراب من بعد التوى^(٢)
فخوى الضريح الرحب نجما ما غوى أجرى من الدمع السجوم سجومما

صلوا عليه وسلموا تسليما

لام ، لأجلك فاض دمعى جدولا فأخضر آس أساك إذ ييس الكلا
يا خير من كلاً المسكارم والعلا وحى الحمى ورمى فأعمى الروما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ياء ، يحيه ويسقيه الحيا رب العباد مجازيا وموفيا
ومشرفا ومسلما ومصليا يا مسلمين ورثتمو التسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن ذلك قول الفقيه الكاتب أبى العباس أحمد بن محمد بن عباس المغربي قصيدة مخمسة
حسبنا نقلته من المجلد الخامس والعشرين من كتاب « منتهى السؤل » في مدح
الرسول « للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربي الأنصارى
رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا بقصده ! وهى أيضا مرتبة على حروف المعجم
ما عدا الابتداء وبيوت الانتهاء ، غير أن ترتيب حروف المعجم في آخر الأشرطة
ولم يلتزم صاحبها الابتداء كما التزم مالك بن المرحل ، رحمه الله تعالى :
الله زاد المصطفى تعظيا وقضى له التفضيل والتقدима

(١) النهى : العقول ، واحدها نهية - بالضم - والسها : نجم بعيد خفى

(٢) وهى : ضعف ، والتوى - بالتاء المثناة - الموت

وأناله شرفاً لديه جسيماً فهو المتمم فخره تتميماً
 صلوا عليه وسلموا تسليماً
 صلوا على من خُصَّ بالأنباء وأبوه ما بين الثرى والماء
 ثم استمر النور في الآباء فتوارثوه كريمة وكرماً
 صلوا عليه وسلموا تسليماً
 صلوا على بدر بدا من يثرب فأضاء بالأنوار أقصى المغرب
 وجلال عن الدنيا دياجي الغيب فبدا لنا نهج الرشاد قويمًا^(١)
 صلوا عليه وسلموا تسليماً
 صلوا على من بالشرائع قد أتى وأباد أخزأب الطغاة وشَتَّتَا
 وأبان أسباب النجاة ووقَّتَا للأمة التحليل والتحريماً
 صلوا عليه وسلموا تسليماً
 صلوا على من بالغيوب يحدث وبروعه الروح القدس ينفث
 محبوبنا وشفيعنا إذ نبعث في يوم لا يدرى الحميم حميماً^(٢)
 صلوا عليه وسلموا تسليماً
 صلوا على صبح الهدى المتبَلِّج صلوا على بحر الندى المتوج
 صلوا على روض الجلال المبهج كيما تفالوا الفوز والتنعيم
 صلوا عليه وسلموا تسليماً
 صلوا على غيث الأنام السافح صلوا على المسك الذكي النافع
 أزرت روائحه بكل روائح فالأرض طبقها شذاه نسيماً
 صلوا عليه وسلموا تسليماً

(١) الدياجي: الظلم، كأن واحد هاديحاة، والغيب - بزنة جعفر - السواد الشديد،
 والظلمة (٢) الحميم: الصديق، وفي القرآن الكريم في صفة هول القيامة: (ولا يسأل
 حميم حميماً)

صلوا على مَنْ عهدته لا يفسخ صلوا على من شرعه لا ينسخ
صلوا على من حِزْبُه لا يمسخ نبأ يفهم فضله تفهما
صلوا عليه وساموا تسليما

صلوا على من فخره لا ينفد صلوا على من فضله لا يجحد^(١)
أنّى وكتب الرسل طُرّاً تشهد تنبى اليهود بفضلته والروما
صلوا عليه وساموا تسليما

صلوا على مَنْ قد حَمَى عنا الأذى ومن الغواية والضلالة أنقذا
صلوا على من ذكره نعم الغذاء وبمدحه زوى القلوب الهيما
صلوا عليه وساموا تسليما

صلوا بإخلاص على خير البشر من قبل نشأته المباركة اشتهر
كم كاهن عنه أبان وكم خبر ولسمك دليل فى علاه أقيما
صلوا عليه وساموا تسليما

صلوا على من جل مولده وعز ضاءت قصور الشام لما أن برز
وتدانت الشهب الثواقب كأنْ حَزَزُ أو كاللآلى نظمت تنظيمها
صلوا عليه وساموا تسليما

صلوا على من مجده قد أسسا والماء بين بنائه قد بجسا^(٢)
وأنت إليه سرحة حتى اكتسى بفروعها إذ خيمت تخيما^(٣)
صلوا عليه وساموا تسليما

صلوا على مَنْ بالملائك جيشا وغدت تظله الغمام إذا مشى
حرست سماء الله لما أن نشأ ليكون سر حبيبه مكتوما

(١) نقد الشيء ينفد - من باب علم - أى ذهب وانقضى

(٢) بجس : تفجر

(٣) السرحة - بالفتح - الشجرة العظيمة

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مَنْ بالتحفة خصصا والقلب منه حين شق تخلصا^(١)

من حظ إبليس اللعين ومحصا وأعيد ما إن يشتكى تسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من يوم مولده سطا بجميع آلهة الضلالة والخطا

وهوى له عرش اللعين وأسقطا والفرس هدم صرحهم تهديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من ليس فظا غالظا لأخيه في الإرضاع كان محاظظا

فأعجب لذلك كيف كان ملاحظا للعدل فينا مرضعا وفطيميا

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مَنْ كَفَّته ذراع وبفضله كَفَّتِ المِثْنِ الصاعُ

والجذع حنَّ له وما الأجداع بَارَقَ منْهُ أنفسا وفُهوَمَا

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مدحه لا يفرغ ماذا عسى مداحه أن يبلغوا

فإلهنا يثنى عليه ويبلغ فاقراً تجده محكما تحكيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا من كان يبصر بالحقا وعليه سلمت الجنادل والصفَا

والذئب قال صدقت أنت المصطفى وشكا إليه بازل قد ضيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق عين الضرير ولدغة الصديق

(١) يشير إلى حادث شق صدره صلى الله عليه وسلم وإخراج علقه سوداء منه وهي حظ الشيطان من ابن آدم ، وقد رواه أهل الحديث والسير وقد سقطت من جميع الأصول أبيات حرف الضاد المعجمة

وأعاد طعم الماء مثل رحيق إذمج فيه العنبر المختوما
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 صلوا على مَنْ شأوه لا يدرك صلوا على من شأوه لا يشرك^(١)
 موسى وعيسى والخليل تبركوا ببقائه وعَنَوْا له تسليما
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 صلوا على مَنْ خَلَفَهُ صلى الرسل شرف على تمكين عزته يدل
 فأذن فقل هو سيد لهم ودل لا تخش توبيخا ولا تحشيا
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 صلوا على من قد سَرَى نحو السما ليلا وعاد وما برحنا نوما
 بالروح والجسم المطهر قد سما قُلُهُ وَرَاغِمٌ مِنْ أَبِي تَرْغِيَا
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 صلوا عل من قد رأى الرحانا بالقلب أو بالعين منه عيانا
 من قاب أو أدنى مكان كانا فخذ القوائد واحذر التجسيميا
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 صلوا على من قد حَبَّاه إِلَهُهُ بالكوثر المروى لنا أمواهه
 في يوم حشر الخلق يظهر جاهه إذ يقدم الرسل الكرام زعيما
 صلوا عليه وسلموا تسليما
 صلوا على من خص بالخوض الرّوى وكذلك خصص بالمقام وباللوا
 نوحا وآدم والكلیم قد احتوى وابن البتول حوى وإبراهيميا
 صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) الشأو - بفتح الشين وسكون الهجزة - الغاية والآمد ، ويقال « فلان لا يدرك شأوه » أى لا يبلغ مداه أحد

صلى عليه الله ما قُطِعَ الفلا صلى عليه الله ما اجتمع المَلَأَ
صلى عليه الله ما انتجع الكلا أبدا ، وما رعت السوام هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ما هطل الحيا صلى عليه الله ما التمع الضيا
فلقد شفى الدنيا من الذاء العيا ولقد حمى عنا لظى جحيا
صلوا عليه وسلموا تسليما

لله سيدنا النبي الأكل لله برق جبينه المتهلل
لله جود يمينه المتهلل أحيا وأغنى بالنوال عديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لله منه ذاته وحقيقته لله منه خلقه وخليقته
لله منه شرعه وطريقته فلقد جلت بشموسها القغيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا أمة الهادي النبي المصطفى بالله لو كنا نعامل بالوفا
متنا عليه حسرة وتلفها حتى نؤدى حقه المحتوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ما كان أولانا بطول نحينا ما كان أوجبنا بفرط وجينا^(١)
أفتستطيع الصبر عن محبوبنا ما الصبر عن لقياء إلا لوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لم لا نقيضُ على الدوام دموعنا لم لا نقض من الغرام ضلوعنا^(٢)

(١) النحيب : البكاء ، والوجب : خفقان القلب واضطرابه

(٢) أقض مضجع فلان : حرفيته أن مكان نومه امتلا بالخصى فلم يستطع الهجوع

لم لانحلى أهلنا وربوعنا حتى نعين من ذراه رسوما^(١)
صلوا عليه وسلموا تسليما

أولم يكن يحنو علينا مشفقا أولم يكن متعظا مترفقا
أولم يعالجنا بأنواع الرق حتى اغتدى منا العليل سليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

من مثله ما إن يضر وينفع من مثله يدرا العذاب ويدفع^(٢)
من مثله لذوى الكبائر يشفع من مثله بالمؤمنين رحيم
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا ويح نفسي كم أرى ذا صبوة ومسامعي عن واعظي في نبوة
ففسى الرسول يُقيلني من كبوة فلكم رجاء عائر فأقيموا
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا رب بالهادي الرفيع المحتد اغفر لعبدك أحمد بن محمد
فلقد توسل إذ رجاك بسيد ما ردَّ معتلق به محروما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ناشدتكم يا سامعي هذا الثنا قولوا متى أستمعتموه تدبنا
اغفر لقائله المقصر ما جنى بمدحيه خير الوري المعصوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قلت : وإني لأسأل الله تعالى بلسان لم أعص به وهو لسان هذا المادح ، إذ قال
« يا رب بالهادي » فإني أحمد بن محمد بَلَّغَهُ اللهُ أمله من غفرانه بمحه وكرمه ! آمين .
رجع - ومن ذلك قولُ الفقيه الكاتب الأديب أبي العباس أحمد بن القاسم

(١) ذراه - بفتح الذال مقصورا - موضعه العالی

(٢) يدرا : أصله يدرا - بالهمز - ومعناه يدفع ، وفي القرآن الكريم : (ويدرا

عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله)

الإشيلي الشهير بابن القصير ، وطريقه هذه مخالفة للطريق المتقدم من بعض الوجوه ، رحم الله تعالى الجميع :

قصيدة مخمسة
في مدح النبي
لابن القصير

الله أكرم أحدا تكريما فعدا رسولا للعباد كريما
فاشكر غفور الذنوب رحيمًا أرضى النبي بقوله تعليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

الله منه هدى نبي مرتضى بالبعث منه لنا قضي لطف القضا
ملأت فضائله المَهَارِقَ والفضا ودجا الوجودُ فعند مبعثه أضاً^(١)
صلوا عليه وسلموا تسليما

عجبت لنا منه ملائكة السما أن كان بالإسراء ليلا قد سما
ورق البراق به وجبريل لما قد سره سرا وجهرا سلما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أعظم به من مرسل قد بشرنا بوجوده عيسى المسيح وقد سرى
ليسر فهو أجل مبعوث يرى يهداه أمته زَهَتْ بين الورى
صلوا عليه وسلموا تسليما

مَنْ جاء بالقرآن معجزة له أعي الورى من بعده أو قبله
الله كرمه وفضل فضله وأجل منه فرعه وأصله
صلوا عليه وسلموا تسليما

مَنْ سبحت صُمُّ الحصى في كفه والبدر شقق نصفه عن نصفه
ليرى به إعجاز من لم يصفه حزنا بمفخر ذكره أو وصفه
صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) المَهَارِق : جمع مهرق ؛ وهى الورقة التى يكتب فيها ، ودجا : أظلم ، وأضاً : أصله أضاء ، فسهل الهمزة بقلبها ألفا ثم حذفها

يكفيه أن يتلى اسمه ويكرّر مع إسم خالقه إذا ما يذكر
هذا الذي بمقاله لا يفجر أبدا ولا خللافه يتصور
صلوا عليه وسلموا تسليما

العبد أسرف يا نبي الله في الذنب ساء عن تقاه لأهبي
فاشفع له من مذهب أوّاه يرجو كريما منك جمّ الجاه
صلوا عليه وسلموا تسليما

أنأى الزمان وصوله أو سوله فاستصحب الأبيات منه رسوله
فأنيل بفضلك للمراد حصوله حسبي ثمنا وازنت منه فضوله
صلوا عليه وسلموا تسليما

ابن القصير أطل فيك نظامه ليرى بذاك مسلما إسلامه
وترى مطاوع أمره وكلامه لا زال يقريك الإله إسلامه
صلوا عليه وسلموا تسليما

وما أحسن قول جمال الدين بن جلال الدين الجوزي رحمه الله تعالى :

فضل النبي محمد	شرفا يزيد ، وزادهم تعظيما
در يقيم في الفخار ، وإنما	خير الآلى ما يكون يتيما ^(١)
ساد النبيين الكرام وكلهم	صلوا عليه وسلموا تسليما
والله قد صلى عليه كرامة	صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن ذلك هذا التسديس البديع الذي هو من نظم الإمام العارف بالله تعالى
علاء الدين محمد بن العفيف الأبنبي الحسنى الصفوى الزينبي - رحمه الله تعالى ! -

تسديس في
مدح الرسول
محمد بن
العفيف الحسني
الصفوي

مما رتبته على حروف المعجم والتزم الحرف أول الأشتار الأربعة وآخرها :
 الله أحد أحدا إذ يبرأ أَوْضَى وَضِيءُ نوره يتلألأ
 أنواره كل العوالم تملأ أكوانه لولاه لم تك تنشأ
 إن كنتم أُنقذتم له تسليما صلووا عليه وسلموا تسليما
 بدر بدا من نوره يتطلب بحر بحورُ الجود منه تركب
 بروبرهان جلا يقلب بالمصطفى ممن صفا أتقرب
 بادوا بما يجدى لكم تنعيما صلووا عليه وسلموا تسليما
 تالله مثل محمد لا يثبت تم الكلام بيعته ونبوة
 تاج العلا بالمصطفى يتثبت تاهت عقول للذي هو ينعت
 تحف الصلاة به عليه أديما صلووا عليه وسلموا تسليما
 ثق بالذي يوما يقوم ويبعث ثبة البرية بالنبي تغوث^(١)
 ثبت الشفاعة للورى يتحدث ثرة الطوائف للذي يتشبت
 ثبت لزام الباب فيه مقيما صلووا عليه وسلموا تسليما
 جاء النبي عوالما يتباج جاء له من جاءه يتبهج
 جاءه ينجى من لظى تقوهمج جاءت له الأشجار أرضا تفرج
 جاور نبي الله نلت نعيما صلووا عليه وسلموا تسليما
 حقا هو الحق المبين الأوضح حب حياء حبه يترنج
 حسناته حسياته تُسترجح حتى القلوب بحبه تترجح
 حوت العلوم لذاته تكراما صلووا عليه وسلموا تسليما
 خير البرايا دينه هو ناسخ خير له خير الخيور رواسخ

(١) الثبة — بضم الثاء وفتح الباء مخففة — الجماعة ، وتغوث — بالبناء

للمجهول — تغاث

خرالذي عن دينه هو بازخ خال خلى عن نقائص باذخ^(١)
خذ باتباع فعاله ترسيما صلوا عليه وسلموا تسليما
دل الأنام على الإله محمد دامت سعادة من بأحمد يسعد
دار له مأوى المحامد محمد دان الوجود به ومن هو أحمد
داوم على باب له تخيما صلوا عليه وسلموا تسليما
ذكر الحبيب أحق ما يتأخذ ذخرا ليوم بالنواصي يؤخذ
ذاك الشفيع لمن به يتعوذ ذاك الذي يجنبه يستنقذ
ذلوا له ولبابه تغنيما صلوا عليه وسلموا تسليما
رب النبي محمد هو يذكر رتب الحبيب كتابه متذكر
رائي محيا أحمد هو ينظر روح القلوب ولاؤه هو ينصر
روح بذكراه المريح ندما صلوا عليه وسلموا تسليما
زين البرايا بالوجود معزز زان العوالم حسنه يتفوز
زن فضله عن كلهم يتميز زد ذكره عن زلة يتحزز^(٢)
زلفي أنه بالمنى تميميما صلوا عليه وسلموا تسليما
سبق الأنام بفضله هو أنفس ساد الجميع بسؤدد يترأس
سبحان من أسرى به يتأنس سر الحبيب بسره يتقدس
سمع الكلام من الإله كليما صلوا عليه وسلموا تسليما
شمس الهدى بدر الدجى يقبش شرف الحبيب من الوجوه يفتش
شكراً لمولانا عليه وأبهش شوق إليه وافر أتعطش
شغل للبك بالحبيب أديما صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) خر : سقط ، والبازخ : المتقاعد المتعاس ، والبازخ : الطويل

(٢) تحزز عن الشيء : تمنع منه وجعل لنفسه حرزا دونه

صفة الكلام لذاته هو أخلص	صفة الكتاب كماله يتلخص
صفة القلوب بحبه تتخلص	صفه صفاصب وأنى يخلص
صل بالصلاة جنباهُ تكليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
ضَفَّتِ القيوض من الحبيب تفيض	ضعفى إليه آملا يتعوض
ضرى وضيرى كله يتقوض	ضل الذى فى بابه لا ينهض
ضمن الحبيب لذا كرىه زعيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
طوبى لمن بحبيبه يتنشط	طابت به أحواله والمنشط
طال اشتياقى طيبة أتبسط	طال الإله على طولاً يبسط
طوبى بمدحه يطيب نسима	صلوا عليه وسلموا تسليما
ظل الهدى بهداه قد يتحفظ	ظلمات شرك قد جلت تبدلظ ^(١)
ظلى لظل وداده يتحفظ	ظهري ظهيري حبه أتحفظ
ظنى به يغدو العقاب عديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
علت المعالى بالنبي وترفع	عز علاه للذى هو يتبع
عمت عطاياه لكل ينفع	عرش العظيم قد ارتقى يترفع
عَرَجَ الإلهُ به إليه عليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
غوث الورى ذالمصطفى هو سابع	غيث الندى هو فى البرايا سائع
غمر الندى أقصى النهاية بالغ	غزر الحيا شمس وبدر بازغ
غنما نما بالمؤمنين رحيمًا	صلوا عليه وسلموا تسليما
فخر وذخر بالمفاخر يشرف	فرد وحيد فى العوالم أشرف
فتح الوجود وكل كون مردف	فاز الفقير بلطفه يتلطف

(١) يقال « دلظه دلظا » من باب ضرب - إذا دفعه فى صدره ، ويقال « دلظ فلان فى سيره » إذا مر سريعا ، والدلظى - بفتحات - من تحيد عنه ولا تقف له فى الحرب

فاح النسيم من الحبيب جسيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
قسم الإله بعمره فيفوق	قسمت وجوه الحسن منه فيسبق ^(١)
قمر وشمس نوره متألق	قمن بذكراه الدعاء معلق
قطب لدائرة الوجود كريما	صلوا عليه وسلموا تسليما
كتب الإله ثناءه ما يدرك	كتب اسمه قرب اسمه يتبرك
كل الكمال له به يستدرك	كنه الكمال التي لا تدر ^(٢)
كيف كفى در الثناء يتيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
لمعات نور محمد هي نخجل	للشمس والبدر المنير فتخجل
لذات ذكر محمد هي أكمل	لذوى الحوائج لا نذ متكفل
لذخذ بمجد منك تلف حكيم	صلوا عليه وسلموا تسليما
من مثله في العالمين معظم	من مثله في العالمين مكرم
من الإله لدى اللقاء يكلم	منحًا حياه منه قد يتعلم
من الإله لديه صار عجيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
نور له في آدم يتبين	نقلا إلى آبائه يتعين
نأى العوالم إذ أنى متعين	نار الجوس تخمدت تهوّن
نعاه جمت إذ تعم كريما	صلوا عليه وسلموا تسليما
وجه به كل الوجوه إليه هو	وجه الواجه ب كله يتوجهوا
ووجهه وجه المرام فوجهوا	وجه إليك نبينا فتوجهوا
وجه إلينا نظرة تكريما	صلوا عليه وسلموا تسليما
هو مصطفى عند الإله الأوجه	هاد لنا وبوجهه من أوجه

(١) أقسم الله تعالى بعمره في قوله سبحانه : (لعمرك إنهم لنفى سكرتهم يعمهون)

(٢) كنه الشيء : حقيقته

ها إنه وجهي لهذا أوجه هيه هنيئا وجهه بالأوجه
 هام الفؤاد بحبه تبيها صلوا عليه وسلموا تسليما^(١)
 لا مثل للمختار أعلى من علا لاجيه ناج قد نجا كل البلى
 لاذ الصفي به يتوب فأقبلا لاقى النبي محمد أن يقبلا
 لازم محبا للحبيب ندima صلوا عليه وسلموا تسليما
 يا كرم الخلق الذي هو ملجئى يأتى محمد العفيفى الذى
 يده يمد إليك مرجىا وفى يقن بصفوته الصفى ويكتفى
 ينال ذلك ركن بيتى تحتيما صلوا عليه وسلموا تسليما

تسديس آخر
 لابن العفيف
 الحسنى
 الصفوى
 وله أيضا رضى الله تعالى عنه قصيدة أخرى على طريقة هذه ، وقد نظمها
 بعدها نفع الله تعالى بنيتها ، وبلغه غاية قصده وأمنيته ، وهى هذه :

أحسن بطلعة أحدهى أضوا أعلن بلمعته العوالم تملأ
 أزين به لما أتى يتلألأ أبين بآيات له فتنبأ
 الله قدمه بها تقديما صلوا عليه وسلموا تسليما
 بدأ الإله بنوره فيعقب بدء الذى بالمصطفى يتقلب
 فيه لذى الحاجات إذ يتطلب بدء بذكره به يستوهب
 بل هو إلى الأرب انتفع تعميما صلوا عليه وسلموا تسليما
 تلت العلامات التى هى تثبت تبَّ العدائبا عنه تثبت
 تمت له الآيات فيك تبكت تورا موسى ناطقا هى تنعت
 توقيع حاجات صفوا تسليما صلوا عليه وسلموا تسليما
 ثبت الكمال له ومنه يورث ثبت الورى لولم تكن لاتحدث

ثبت بذكري المصطفى يتحنث	ثبت الذي يجنبه يتشبث ^(١)
ثبت بذكر قد راه قديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
جاء العوالم نوره يقبلج	جاد العوالم بحره يتموج
جاز السموات العلا يتعرج	جاب الجميع بسامه يتفرج
جار له جارى له تنعيم	صلوا عليه وسلموا تسليما
حار العقول لدحه إذ يمدح	حيا الحياء بريه يستروح
حى له فضل به يسترجح	حى له حامى حى فتروح
حى الحمى الحامى تصير سليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
خلق له كل به يتشمخ	خلق له بالنقص لا يتلطح ^(٢)
خلق به أحسن به هو أبذخ	خلق يحق له الثناء الأرسخ
خلق إلهى بذلك تمينا	صلوا عليه وسلموا تسليما
دار الحبيب أحق ما يتعمد	دارت بها كل السعادة تسعد
دانت أهاليها بما هو يرشد	دار بحسن طيبة لا تبعد
دارك سكونا بالسكون مقيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
ذكر الحبيب محمد هو ينقذ	ذكر لما ينسى رسولا ينفذ
ذكر الإله ثناؤه ويلذذ	ذكره تنفع سامعا يتلذذ
ذيل النبي خذ اعتصم تعظيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
رب الورى سبحانه هو أكبر	رب النبي محمد فيكبر
رب الرؤف حبيب فيدبر	ربى اضطفاه من الورى فأكبر
رب ارتجاء المعنى تدويما	صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) يتشبث : يتمسك ويتعلق

(٢) يتلطح : يتعاطم ويتعالى

زاد الإله عروجه فيبرز	زان العوالم إذ أتاها يبرز
زاد لأخرى حبه يتحرز	زادت معاليه عروجا ينشز
صلوا عليه وسلموا تسليما	زعم الشفاعة ذا كرية زعيما
سار السموات العلا يستأنس	ساد الجميع إذا أنى هو أنفس
سامى ذراه للمحب تؤنس	سأل الإله وزاد ما يتنافس
صلوا عليه وسلموا تسليما	سارع إلى ذاك الذرا تخيما
شرق لأشرق شرقه يتفرش	شرف لأمته به يتغابش
شوقا إليه قد إليه أجهش	شرقا وغربا فيه عقل يدهش
صلوا عليه وسلموا تسليما	شكرا على النعمى تزيد نعيما
صفقا عن الشيء الذى ينقص	صفة له ذات له هو أخلص
صفة شريعته النقائص تخلص ^(١)	صفة له حارت عقول تفحص
صلوا عليه وسلموا تسليما	صفة له وبر به لتديما
ضاع الذى عن ذكره هو يعرض	ضاع المديح لأحد يتروّض
ضاف بذكره المني يتعرض ^(٢)	ضاف حباه كفه ليفضفض
صلوا عليه وسلموا تسليما	ضاعف له الآمال صلّه مديما
طابت مدائحه فطاب المغبط	طال العوالم إذ أنى هو يقسط
طام له بحر الألى يتنشط	طابت به النعمى وطاب المنشط
صلوا عليه وسلموا تسليما	طالب مطالب كلها تتميما
ظهر لأمته ظهير ملحظ	ظهر النبي ورب [أحمد يلحظ]
ظل له ظلوا به يتحفظوا	ظهروا على الأمم افتخار ملحظ

(١) تفحص : تبحث

(٢) ضاف : سابع

ظلت الظلال إذا ذكرت نديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
عدّ المحاسن للنبي يستتبع	عدّله آياته تنفّوع
عدّاه مولاه إليه فيطلع	عدّ لذكراه غداة يشفع
عدّ باب من المؤمنين رحيمًا	صلوا عليه وسلموا تسليما
غزرت له الآيات هن نوابغ	غزر الحيا عز الورى هو سائغ
غمر الرّدا بحر الندى يترفع	غمر البلاد بذكره يتفرّغ ^(١)
غمر بذكره الفؤاد وسيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
فاض الجمل وفاض منه يوسف	فاز المحب بذكره لا يوسف
فاضت عليه فيوضه يترلف	فاش له الآيات لا يتكلف
فاد له كل بهم تقديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
قمر بدا من أفقه هو فائق	قمر يحاب بذكره ويعلق
فقام كل الأنبياء وسائق	فقام جودهم كل يرفق
قم بابه مستنبحا ومقيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
كلابه فتح الوجود ويدرك	كل الكمالات احتوى لا يشرك
كلّ اللسان عن البيان ويمسك	كلّى الذى بجنابه يتمسك
كل مرتجأ إليه ثق تكريما	صلوا عليه وسلموا تسليما
لحمد هو مصطفى ومؤمل	لحمد بن محمد ما يأمل
لحت عليه بروقه يتحمل	لمعان نور وداده يستكمل ^(٢)
لم لا أصيب من الحبيب شمima	صلوا عليه وسلموا تسليما
من مثل ذاك المصطفى يتعظم	من كل وجه للكمال ليُعظم

(١) غمر الرداء : كناية عن الجود والكرم ، وأصله في قوله الشاعر :
غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

مَنْ عَلَيْنَا مِنْ إِلَهٍ أَعْظَمَ مِنْهُ الْعُرُوضُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَعْظُمُ
 مَنْ كَانَ لِلربِّ الْعَظِيمِ كَلِيمًا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
 نُورُ الْإِلَهِ حَبِيبُهُ يَتِمَكَّنُ نَادَى الْإِلَهِ حَبِيبَهُ يَتِمَكَّنُ
 نَالُ نَوَالٍ شَرْحُهُ لَا يَمَكَّنُ نَادَى الْإِلَهِ حَبِيبَهُ يَتِمَكَّنُ
 نَادَى الْحَبِيبَ بِذِكْرِهِ تَكْلِيمًا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
 وَاللَّهُ مِثْلُ مُحَمَّدٍ لَا يَشْبَهُو وَاللَّهُ مَوْلَاهُ الْعَوَالِمُ كَيْفَ هُوَ
 وَجَدَ الْوُجُودَ بِذَاتِهِ وَبِهِ لَهُ وَجَدَ عَلَا وَبُوجْهِهِ فَتَوَجَّهُوا
 وَجَدُوا وَجَادَ مِنَ النِّجَاةِ مَقِيمًا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
 هُوَ أَكْلٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ أَوْجُهُ هُوَ ذَا الْحَبِيبِ الْقَلْبُ مِنْهُ أَوْجُهُ
 فَأَوَّلَى طَيْبِهِ وَأَوَّجَهُو هُوَ مِنَ الْأَرْضِ الْمَكْثَرِ أَوْجُهُ (١)
 هَانَا بِنَارِ الشُّوقِ صُرْتُ سَقِيمًا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
 لَا رَيْبَ لَا مِثْلَ لَهُ وَاللَّهُ لَا لَاحَتْ لَهُ الْآيَاتُ عَرْشًا قَدْ عَلَا
 لَا قِيَّ ارْتِقَاءَ رَبِّهِ فَتَوَصَّلَا لَاجَ بِهِ نَالُ الْمَنَى إِلَى الْأَلَا
 لَازِمَ لِبَابِ جَنَابِهِ تَقْسِيمًا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
 يَا أَكْرَمًا كُلِّ إِلَهٍ يَلْتَجِي يَأْتِي مُحَمَّدُكَ الْعَفِيفِيُّ الَّذِي
 يَقْنَا تَوَسَّلَ بِالصُّفَى وَيَحْتَدِي يَدُهُ إِلَيْكَ [يَمْدُ] فَقَرَّا تَرْجِي
 مِنْ افْتِتَاحٍ بِاسْمِهِ تَحْتَمِي صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

قلت : وإنما أثبت هاتين القصيدتين في جملة ما سرده ، وإن كان فيهما
 من التكلف ما لا يخفى لأوجه : أحدها : أن صاحبهما من الصالحين يسلم له ويتبرك
 بكلامه ، ومن اعترض على مثله يخشى عليه من تسديد سهام الملامه ، الثاني :

(١) كذا في ب ، خ ، وليس بشيء ، وأصلحه ناشرب بقوله :
 هو أفضل هو أجمل هو أوجه هو من يرى فوق المعالي أوجه

أنهما [في] مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعليه من الله أزكى صلاته وأتم سلامه ،
الثالث : أن المراد جمع ما وقفت عليه في البحر والروى والمعنى ، لأن بعضاً من
العلماء ذكر لي أنه لم يطلع في ذلك إلا على قصيدة ابن الجيان ، فأحييت أن
أعرض لتعريفه بهذا العدد وإعلامه ، على أن القصد الأعظم ما هو إلا التلذذ
بذكر أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، خصوصاً المقتبس فيها قوله تعالى
(صلوا عليه وسلموا تسليماً) .

وقد كنت نويت أن أولف في ذلك بالخصوص كتاباً أسميه « روضة
التعليم ، في ذكر الصلاة والتسليم ، على من خصه الله تعالى بالأسراء والمعانيه
والتكليم » والله تعالى المستول في التيسير ، فلنزد عليه يسير .

ومن ذلك هذا التسديس الذي وجدته في كتاب « درر الدرر » للشيخ
الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر
العطار الجزائري من جزائر بني مرغنة ، وهي المشهورة الآن بالجزائر :

سديس في
مدح النبي
لأبي عبد الله
ابن العطار
الجزائري

أنوار أحمد حسنهما يتلألاً	المصطفى بحلى الكمال يحلاً
الشمس تحجل وهو منها أضواً	النور منه مقسم ومحزاً
قد زان ذاك النور إبراهيماً	صلوا عليه وسلموا تسليماً
صلوا على المسك الفتيق الأطيب	صلوا على الورد المعين الأعذب
صلوا على نور ثوى في يثرب	صلوا عليه بمشرق وبمغرب
ما زال في الرسل الكرام كريماً	صلوا عليه وسلموا تسليماً
صلوا على زهر الكمال النابت	صلوا على طود البهاء الثابت (١)
صلوا على من فاق نعت الناعت	خير الورى من ناطق أوصامت

وأعزهم نفسا وأطهر خيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على طيب يفوح ويمكث	صلوا على من عهده لا ينكث
صلوا على من بالهدى يتحدث	عنه المعارف والحقائق تورث
أضحى يعلمنا الهدى تعليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نوره يتبليج	صلوا على من عرفه يتأرج
للحضرة العلياء ليلا يعرج	صلوا على من حاز مجدا يبهج
وبها على العرش المجيد مقيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير اللامح	صلوا على صبيح الرشاد الواضح
صلوا على المسك الذكي الفائح	صلوا على الهادي النبي الناصح
الرشد فهم والهدى تفهيم	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من شرعه لا ينسخ	صلوا على من عهده لا يفسخ
صلوا على من بالثناء يضمنخ	عليأوه عليا الكمال تؤرخ
نال المفاخر والكمال قديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادي لأعذب مورد	صلوا على خير الأنام الأورح
صلوا على بدر التمام الأسعد	بمحمد فزنا ، ومن كمحمد
الله عظم قدره تعظيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة ينفذ	صلوا عليه فلاسعادة يجبذ
صلوا على من حبه لا ينفذ	أبصارنا طرا بأحمد لود ^(١)
في موقف يُنسَى الحميم حيا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الزاهر	صلوا على الروض البهي الفاضر

صلوا على مُزَن العلوم الماطر	صلوا على المسك الفتيق العاطر
وتنعموا بصلالانكم تنعيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور يلوح ويبرز	صلوا على مسك يفوح ويحرز
بمحمد حلل الكمال تُطرز	ولجده درر السيادة تفرز
قد نظمت لـكـماله تنظيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الدر النفيس الأنفس	صلوا عليه فهو روض الأنفس
صلوا عليه فهو زين المجلس	ومنى الجليس وزهة المتأنس
راق النفوس شذا وطاب شميما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على المختار أفضل من مشى	صلوا على النور الذي قد أدهشا
بمحمد عَرَفُ القرنفل قد فشا	ورد لظمان إليه تعطشا
يُبْرِى الضنا أبدا ويروى الهيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالسكـال يخصص	صلوا على مَنْ نورُهُ لا ينقص
صلوا عليه على الدوام وأخلصوا	ظل ضفا بالأمن لا يتقلص ^(١)
شمل الورى طرا وطاب عميما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على صبح تبليج بالرضا	وقضى على ليل الضلالة فأنقضى
صلوا على مَنْ بالفجاة تعرضا	صبح تذهب نوره وتفضضا
وعلا وخيم ضوهه تخييما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالبهاء يخطط	صلوا على وَرْدٍ بمسك يخلط
للمصطفى سَطَا الكرامة تبسط	وله يواقيت السناء تقسط
وبنوره أضحي الزمان وسيما	صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) ضفا : زاد ، ووقع في ب « طفا » بالطاء - تحريف ، وتقلص : نقص

صلوا على من بالمهاجرة يلحظ	صلوا على من بالنبوة يلحظ
صلوا على من بالهداية يلفظ	لعضاته نار الجحيم تغيظ
ورضاه هَبَّ لنا وطاب نسima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الساطع	صلوا على الروض الأنيق اليانع
صلوا على الصبح المنير اللامع	صلوا على المسك الفتيق الذائع
ووقاه في وهج المهجير مغنima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الأعم السانع	صلوا على البدر الأتم البارغ
صلوا على المسك الذكي البالغ	صلوا على الورْدِ المَعِينِ السائع ^(١)
للواردين به غدا تميمima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالتقرب يوصف	صلوا على من بالحجة يعرف
صلوا على من بالعلإ يتشرف	صلوا عليه به الكمال يزخرف
المجد فخم ذكره تفخيمima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على مسك يطيب لناشِقِ	صلوا على الروض الأنيق الرائق
إشراقه بمغارب ومشارق	صلوا على البدر الأتم الفائق
بادِ تنسم حسنه تنسيمima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قدره لا يدرك	صلوا على من باسمه يتبرك
صلوا على من جسمه لا يترك	صلوا على من للهدى يتحرك
وبه تحلى ظاعنا ومقيمima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الأكل	صلوا على الروض البهى الأجل
صلوا على الهادى النبى الأحفل	المصطفى الأرق لأنزله محفل

فيه تقدم وحده تقديمًا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على زهر أنيق باسم	صلوا على عَرَفٍ ذكى ناسم
صلوا عليه فهو بدرٌ مواسم	من جوده نلنا بخير مقاسم
أنواره قد تمت تتميما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة زينا	صلوا على من بالسكّال تمكنا
صلوا على هاد أبان وبيننا	بمحمد فزنا بإدراك المنى
للخلق أرسل رحمة ورحيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادى النبى الأزه	بدر التمام وروضة المتزه
في فضله كل الشهادة تنتهى	أبدًا بلمن نراه فخر الأوجه
في حبه أضحى الغرام غريما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور بطيية قد ثوى	فعلاوقاض على البسيطة واحتوى
صلوا عليه فليس ينطق عن هوى	صاوا عليه فهو يُنَجى مَنْ هوى
في موقف يذر السليم سليما	صلوا عليه وسلموا تسليما ^(١)
صلوا على نور تلالاً واعتلى	صلوا على صبح مبين يحتلى
صلوا على مسك يخالط مَنَدَلًا	صلوا على در تران به الحلى
وبه المعالى خيمت تخيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على مَنْ نال مجدا عاليا	وسمّا وحاز مفاخرًا ومعاليا
صلوا على نور تبدى حاليا	وبمدحه الرحمن زين حاليا
وإذا سما المخدم زان خديما	صلوا عليه وسلموا تسليما

وقد توارد في بعض هذا التسديس مع بعض بيوت القصيدة السابقة التي أولها

(١) يذر : يدع ويترك ، والسليم الأول : بمعنى الصحيح السالم من الأدواء ،
والسليم الثانى : اللديخ ، وفي أمثالهم « السليم لا ينام ولا ينيم » أى الذى لدغته
الأفعى ، مثلا

* يا أمة الهادى المبارك أحمد *

حسبما يعرفه المتأمل ، والذي فى ظنى أن صاحب « يا أمة الهادى » متأخر عن ابن العطار فهو الذى أخذ منه ، والله سبحانه أعلم .
وتوارد أيضاً فى عدة أبيات مع تخميس الكاتب أبى العباس بن جمال الدين المتقدم ذكره وأوله :

* الله زاد محمداً تعظيماً *

وهما على منوال واحد ، غير أن ذلك تخميس وهذا تسديس ، وابن جمال الدين أقدم من ابن العطار تاريخاً ، فيحتمل أن يكون ألم بكلام ابن جمال الدين ، أو ذاك من توارد الخاطر .

ورأيت فى هذا الكتاب تسديساً آخر لم يرتبه على حروف المعجم ، وجعل روى الشطرين الأخيرين حرف اللام ، فأحببت ذكره هنا زيادة فى التبرك بمدح المصطفى عليه أجل الصلاة والسلام ، وهو :

تسديس آخر
فى مدح النبى
صلى الله عليه
وسلم

نور النبى المصطفى المختار	أربت محاسنه على الأنوار ^(١)
مرآه يُجْجَل بهجة الأقدار	نور ينجى من عذاب النار
قد زان ذاك النور إسماعيلاً	صلوا عليه وسلموا تسليماً
صلوا على البدر المنير المشرق	صلوا عليه بمغرب وبمشرق
صلوا على غصن الكمال المورق	بالمصطفى المختار برق الأبرق
يهدى غراماً للنفوس دخيلاً	صلوا عليه وسلموا تسليماً
صلوا على من قد تناهى فخره	صلوا على من قد تعاظم قدره
صلوا على من قد تأرجح نشره	صلوا على من قد تناسق دره ^(٢)

(١) أربت : زادت

(٢) تأرجح : فاح ، والنشر - بالفتح - الريح

صلوا عليه وسلموا تسليما	عقد الثناء لجده إكليلا
صلوا على البدر المعين الساسل	صلوا على خير الأنام المرسل
صلوا على نور الهدى المسترسل	صلوا على أسنى سقا المتوسل
صلوا عليه وسلموا تسليما	ظل علينا لا يزال ظليلا
صلوا على من فاق عرف العنبر	صلوا على النور الأنم الأكبر
كم زان ذكر المصطفى من منبر	صلوا عليه فهو أصدق مخبر
صلوا عليه وسلموا تسليما	وأراح من داء الضلال عليلا
صلوا على من فاق كل مبشر	صلوا على النور الأنم الأكبر
صلوا على بدر يرى في المحشر	صلوا عليه هديتم من معشر
صلوا عليه وسلموا تسليما	حاز الجلال فلا يزال جميلا
صلوا عليه بمشرق وبمغرب	صلوا على النور البهي المغرب
بالفكر يشرب ويح من لم يشرب	صلوا على الورود الشهي المشرب
صلوا عليه وسلموا تسليما ^(١)	منه ، وينفع بالورود غليلا
صلوا على من في النجاة يفكر	صلوا على من فخره لا ينكر
صلوا على من بالهداية يشكر	صلوا على من بالنبوة يذكر
صلوا عليه وسلموا تسليما	شكرا على مر الزمان حفيلا
صلوا على من في الكمال تقسما	صلوا على من بالسيادة قد سما
صلوا على طيب سرى وتنسما	صلوا على صبح بدا متبسما
صلوا عليه وسلموا تسليما	وعدا وراح معطرا وبليلا
صلوا عليه سرى وفاح وما انبرى	صلوا على مسك يخالط عنبرا

(١) الغليل : حرقه الباطن ، ونقعه - من باب فتح - أي أبرده وبالله وأذهب حرقة

صلوا عليه حوى الكمال الأ كبرا	لبس الجلال مطرزا ومحبرا
وبذا قد خص الجليل جليلا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة توجا	صلوا على صبح بدا وتبلجا
صلوا عليه لقد أضاء وأبهجا	ومحاربونق نوره ظلم الدجا
نور يعود الطرف منه كليلا	صلوا عليه وسلموا تسليما ^(١)
صلوا على نور تبليج لأخا	صلوا على نور تبليج واضحا
صلوا على مسك تارج فأخا	وبطيه ملاً الوجود روائخا
ومحبه يستوجب التبجيلا	صلوا عليه وسلموا تسليما ^(٢)
صلوا على من نوره ملاً القضا	صلوا عليه لقد أضاء وما انقضى
صلوا على من حُفَّ حقاً بالرضا	لنجاتنا خير الأنام تعرّضا
وهدى إلى نيل الرشاد سبيلا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على بدر يدوم كماله	باق على مر الزمان جماله
صلوا على من قد تعاظم حاله	ودنا إلى ورد الرضا ترّحاله
وإلى الورود به أجدّ رحىلا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا بأجمعكم على شمس الهدى	صلوا على بدر يزين المشهدا
صلوا عليه فمن رآه شهدا	صلوا عليه به الرشاد تمهدا
أرضى النزىل وبين التنزيلا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تأمل مجده	فسيما به غورُ الحجاز ونجده
ما زهره لولاه أو ما ورّده	بالمصطفى المختار يعذب ورّده
فى تر به ما أعذب التقبىلا	صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) كليلا : ضعيفا

(٢) التبجيل : التعظيم

صلوا على محبوبنا مطلوبنا صلوا عليه فهو روض قلوبنا
صنوا عليه فهو عطر جيوبنا صلوا على مطلوبنا محبوبنا
لا ترتضى من حبه تبديلا صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على خير الأنام الأطهر صلوا على النور الأتم الأبهر
صلوا على الصبح المنير الأشهر صلوا عليه باتصال الأشهر
الله فضلنا به تنضيلا صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تنهاه في العلا صلوا على من كان أكل أجلا
صلوا على در تزان به الحلى المجد ألبسه الكمال فأجزلا
والله كمل مجده تكميلا صلوا عليه وسلموا تسليما

وأظن أنى رأيت بعض هذه القصيدة في كتاب العروسي المغربي ، وهو متأخر .

قصيدة في مدح
الرسول لابن
القطار، المغربي

ومن قصائد هذا الكتاب قصيدة صرح فيها بابن المغربي ، وهي :

أهدت لنا طيبَ الروائح يثربُ فهبوبها عند التنسم يطرب
رقت فرقاً من الصباية والأسى قلب بنيران البعاد يعذب
شوقاً إلى أسنى نبي حبه كنز الفجأة فنعم هذا المطلب
المصطفى أعلى البرية منصبا قد جل في العلياء ذاك المنصب
فزناً به بين الأنام بديمة أبدا علينا بالأمانى تسكب
حاز السيادة والكمال محمد فإليه أشتات المحامد تنسب
محبوبنا ونبييننا وشفيعنا يدنى إلى روض الرضا ويقرب
بضيائه الملتاح أشرق مشرق و بنوره الوضاح أغرب مغرب^(١)
وبه وردنا الأمن عذبا صافيا وبه ترقى في المعالي يشجب^(٢)

(١) الملتاح : البادى الظاهر

(٢) يشجب : جد العرب القحطانية

صبح الهدى أنواره بتبيننا صبعا تروق الناظرين وتعجب
 إن طابت الأنفاس من زهر الربا رِيَّاه أذكى في النفوس وأطيب^(١)
 صيرت أمداح النبي المصطفى لي مذهبا يا حبيذاك المذهب
 فعلى من أمداح أحمد خلعة مَوْشِيَّة وله طراز مذهب
 وبمدح شمس الرضا طلعت على أفق تضيء ونورها لا يغرب
 أترى يبشرني البشير بقر به وأبث أشواق الفؤاد وأندب
 ويقال لي بشراك قد نلت المنى يا مغربي إلى متى تتغرب
 هذا مقرر الوحي هذا المصطفى هذا الذي أنواره لا تحجب
 رِذْوَرْدَ طيبة واشف من ألم النوى قلبا على جمر الأسى يتقلب
 كم ذا التواني عن زيارة مورد عذب المقام به ولد المشرب
 منا السلام على النبي محمد ما أسفرت شمس وأشرق كوكب

وقد سمي هذا الكتاب « بنظم الدرر، في مدح سيد البشر » و « الورد العذب للعين، في مولد سيد الخلق أجمعين » وليس هو بابن العطار المشرقى الذى كان معاصرا لابن حجة الحموى، فإن ذلك متأخر عن هذا، وهذا مغربي وذاك مشرقى، فلم يتفقا لا فى زمان ولا فى مكان، غير أنهما اشتركا فى الشهرة بابن العطار.

ووجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته : مما أنشأه الشيخ الفقيه القاضى العدل الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبى بكر بن يوسف العطار، رواية العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد ابن الأمين الأفشهرى، قرأت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرها على ناظمها القاضى المذكور قراءة ضبط وتصحيح ورواية مقابلة بأصله بموضع

(١) الريا - بفتح الراء وتشديد الياء - الريح الطيبة، وأذكى : أشد ذكاء

الحكم في مدينة الجزائر من أقصى إفريقية ، حرس ، في دول متفرقة ، وآخرها يوم الثلاثاء ليلة بقيت من ذى القعدة أو آخر عام سبع وسبعائة ، ونص ما كتب على نص قراءتي عليه : صحيح ذلك ، وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد بن العطار ، والحمد لله رب العالمين ، انتهى .

ورأيت أثر ما تقدم بخط الأقمهري ما صورته : سمع من لفظي جميع « نظم الدرر ، في نسب ^(١) سيد البشر » لجامعة القاضي المذكور أعلاه القاضي شمس الدين محمد بن المرحوم عبد المنعم الشيبى وولده أبو محمد عبد الدائم وابن أخيه أبو محمد عبد الباقي بن ناج الدين بن حفص بن أبى بكر البورى وغيرهم ، نحو سماعى قراءة منى على مؤلفه أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبى بكر العطار سنة سبع وسبعائة ، قاله راسمه الأقمهري ، انتهى .

ومن قصائد هذا الكتاب قوله :

أبدا شَوْقُكَ أو تروقك يثرب	فإلى متى يقصيك عنها المغرب
هى جنة فى النفس يعذب ذكرها	والقرب منها والتداني أعذب
المسك معترف بأن نسيمها	أسمى وأسرى فى النفوس وأطيب
والعنبر الوردى دان لطيفها	منه التعطر والتأرج يطلب
جيش الصباية شن غارات الأسى	من بعدها فالصبر منها ينهب
والشوق يئنينا إليها كلما	وقف الحمام على الأراكة يخطب
حتى النسيم إذا سرى من ربعا	يثنى من الروض الغصون ويطرب
حيا فأحيا المستهام بطيبه	فنفوسنا بهبوبة تستطيب
يا حبذا فى رُبّع طيبة وقفة	بين الركائب والمدامع تسكب
حتى يرقّ للوعتى وصبايقى	ودموع عيني كلُّ من يتغرب
شوقا لمن زان الوجود ، وحبه	يدنى إلى رتب الرضا ويقرب

(١) تقدم أن اسم الكتاب « نظم الدرر ، فى مدح سيد البشر »

ساد الأنام المصطفى بكاله
بالنور زاد حُلَى على آبائه
الشمس يغرب نورها وضياؤها
الله أرسله إلينا رحمة
بمحمد فـرـزنا بإدراك المنى
خير الورى محبوبنا ونبيـنا
روض النفوس محمد ونعيمها
شرف تقادم قبل آدم عهده
منا عليه مدى الزمان تحية

ومنها قوله رحمه الله تعالى :

طلعت ، وقارنها البهاء ، بدور
من نور أحمد يستمد ضياؤها
ويزيد ذاك النور حسنا فائقاً
محبوبنا أسمى البرية منصبا
فرزنا بنجر العالمين محمد
لاحت لنا أنواره فرماننا
بالمصطفى المختار قابلنا الرضا
الله فضله على كل الورى
القرب خصصه وعظم قدره
خير النبيين الكرام نبينا
يا صاحبي نداء صب مغرم
عوجا على بوقفة وبمطفة

أبدأ على قطب السعود تدور
وبهاؤها ، يا حيداك النور
يوم القيامة والأنام حضور
يوم النشور لواؤه منشور
وجرى بوفق مرادنا المقدور
نور ، وأنس دائم وسرور
بين الأنام فسعينا مشكور
فهو الحبيب ، وفضله مشهور
فسما بهجة نوره ناحور
بالنور في العرش اسمه مسطور
قلبي بحب المصطفى معمور
إني على ألم الفراق صبور

إن لم أزر بالجسم قبر المصطفى فالقلب من بعد المزار يزور
 نيران قلبي بالعباد توقدت ومدامعي خدّتي بها مطور
 فمن الفراق الحدم نيران لها لهب ، ومن فيض الدموع بحور
 فتى أفوز بوقفة في طيبة والقلب منى فارجح مسرور
 ويقال لي انزل بأكرم منزل وأبشر فأنت على النوى منصور
 إن جاد دهرى بالوصول لطيبة بعد المطال فذنبه مغفور
 هي جنة من حلّها نال المنى ومما وساد وصافحته الحور
 حتى النسيم إذا سرى من نحوها يصبو إليه المسك والكافور
 ومنها قوله رحمه الله تعالى :

أما النسيم فقد حيّاك عاطره وبارق المنحني أحياك ماطره
 خاطر بروحك في نيل الوصال فكم من نازح نال طيب الوصل خاطره
 زهر الربا باسم تنفدى كآئمه رق النسيم بها إذ راق ناظره
 ما حل روض المنى الغض الجنى دنف فاستضحكت فيه من عجب أزاهره
 والنهر أبرز للبدر الأتم حلّى والبدر طرز ماء النهر زاهره
 والغصن تلعب أنفاس الرياح به والطل قد ثرت منه أزاهره
 والليل قد رقت بالشهب حلتة والبرق يسم في الظلماء ساهره
 والنور محض جنى فوق الندى درر وعقدها زين الأبصار دائره
 وملبس الروض قد زانته خضرته والليل بالقمر قد زالت غدائره
 والصبح سل على جيش الظلام ظبّا وعندما سلها ولت عساكره
 للزهر سر وعرف الروض فاضحه والمسك إن فض لا تخفى سرائره
 هل زار طيبه ذاك العرف حين سرى فتربها أبداً مسك يخامر
 طابت بطيب رسول الله فهى به سمّت وفاقت بمن فاقت مفاخره

به مَعْدَ تَسَامَى للعلا ، و به
 أسنى النبيين قدراً نوره أبداً
 وأفضل الخلق من عرب ومن عجم
 إن كان للرسول عقد وهو آخرهم
 روض من الحلم غصن راق منظره
 إن جاد صَاحٍ بَلْقِيَاهُ الزمان قِلْ
 وصِفْ له حال صب مغرم دنف
 واذكر هناك بعيد الدار غربه
 أهدي السلام بلا حد ولا أمد
 ومنها قوله رحمه الله تعالى :

أمنزلنا جادت ثراك السحابُ
 ووشاك وشمى الغمام بدره
 وحيا نسيم الريح بالجزع أنسا
 فيا عهدنا بالخيف هل أنت عائد
 وهل راجع عصر الشَّبَابِ الذى اتقضى
 وهيهات أن تقضى لنا برجوعه
 وقد ساب الدهر للفرق أنسنا
 فما وهب الأنفاس إلا مغالطا
 أطالب أيام العقيق بعودة
 فياصحبي كن مُسْعِدِي في صباقتي
 إذا ما بدا برق الحجاز فأدعى
 أعاتب أيام البعاد ، وقله —

وأبخل بالصبر الجميل ، وإنه
ولما بدت أعلام طيبة قصرت
وقفنا وسلمنا وفاضت دموعنا
نزلنا وقبَلْنَا من الشوق ترها
فللعين من تلك المعاهد نزهة
حَوَتْ سيد الرسل الذي جل قدره
به غالبٌ حاز المفاخر سالفاً
بهادى الورى طرا مناصبه سمت
محمد المهادى بإشراق نوره
ترقى إلى السبع الطباق وما بدا
وخطبه في حضرة القدس ربه
نبي بدت أنواره وتلاّلات
لقد أشرقت شمس النهار بنوره
أعلل قلبي بالوصول لقبه
وإني أناديه وإن كنت نازحاً
إذا كنت لى ياسيد الرسل شافعا
بمدحك يا من جل قدرا وحظوة
فيامعشر الأحباب إن نبينا
ألا فاذكروه كل حين وسلموا
وقوموا على أقدامكم عند ذكره
ومنها قوله رحمه الله تعالى :

لينهبه من وارد البين ناهب
من الشوق ما قد طولته السباب
وحنت إلى ذاك الجناب الركائب
وطابت بذاك الترب منا الترائب
وللقلب في تلك الرسوم المآرب
له في مقام القرب تقضى المطالب
ولا شرف إلا الذي حاز غالب (١)
ورافت بخير الرسل تلك المناصب
تمزق من ليل الضلال غياهب
له في ترقيه من الحجب حاجب
وأدناه في حال الخطاب المخاطب
فنها تضيء النيرات الثواب
وبدر الدجى لمابداً والكواكب
وإن غبت ما قلبي وحقق غائب
نداء غريب غربته المغارب
فما أنا من نيل السعادة خائب
وجاها وتمسكينا تنال المواهب
إلى فوزنا داع وساع وخاطب
عليه بذاك الذكر تسمُ المراتب
فذلك في شرع المحبة واجب

(١) غالب : من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أبو لؤى

شمس الهدى وضحت بأشرف مرسل
من وجه عبد الله كأن ظهورها
خلعت على الآفاق أشرف ملبس
فالنيران المشرقان كلاهما
فالشمس لما أن بدت أنواره
والبدر قابله بحسن كامل
وليلة الإسراء أجمل منظر
فضلت على الأيام من شرف لما
وبها بدا نور النبي المصطفى
إذ جاءه الروح الأمين مسلماً
فسرى إلى أسنى محل وارتقى
رفعت له حجب الجلال بأسرها
حتى انتهى الروح الأمين لحده
ناداه لما أن ترقى وحده :
ارقا إلى الأفق السنى مشاهدا
وأسعد بزورة من تعظم ملكه
فسما فشهد حضرة القدس التي
وبدا الكمال له ونودى مقبلا :
أنت المراد لسرنا ولو حيناً
وألْبَسَ بحضرة قد سنا خلع الرضا
ولك الوسيلة يا محمد عندنا
فاحكم بما يوحى إليك من الهدى
فيه شفاء للصـدور فبروها

وزجت دُجَى ليل الضلال المسبل
للخلق طـرا في ربيع الأول
وبدت فأنى دُجْنَة لم تنجل
لمصطفى اعترفا يعجز مجل
أومت إليه بالسلام الأحفل
فانشق للبدر الأتم الأكل
بجمال إسراء الحبيب الأجمل
حازته من شرف النبي الأفضل
وبدت لنا نار الكليم المصطفى
ومبشرا بورود أعذب منهل
والجفن منه بنومه لم يكحل
فرأى جلالا لم يكن بمش
وبحيث يذهل عقل من لم يذهل
لك يا محمد ذا التقرب ليس لى
واترك حظوظك بالحضيض الأسفل
واصعد إلى عرش الحبيب الأول
سَبَحَاتِهَا تَغْشَى حِجَا المَآلِ
أهلا وسهلا بالحبيب المقبل
أقبل إلينا يا محمد تقبل
منا وجُرِّ الذيل منها وارفل
وبها نجيب وسيلة المتوسل
وانزل بأنوار الكتاب المنزل
بمفصل من غير مفصل

يا نفس هل تشفيك زورة طيبة فرسومها برء لكل مقبل
وَلَيْ زَمَانِكَ فِي التَّصَابِي وَالْمَنَى فدعى التصابي والأمانى وارحلى
يا قلبُ ، روعات الجوى هل تنقضى عني ؟ ولوعات الجوى هل تنجلي ؟
وأزور قبر الهـاشمي محمد قبل الرحيل وقبل عذل العُدلِ
إني وإن بخل الزمان بقربه فبلوعتي وبدمعتي لم أبخل
أسقى الثرى تسكبا ، فعينها يهمني ، ونار صبابتي ماتا تلي
لهفي على بعد المزارعتي أرى يقضى الزمان بقرب ذاك المنزل ؟
ومتى أبشر بالني ، ويقال لي : هذا مقر الوحي دونك فانزل ؟
وتهب تلقائي نواسم طيبة إني أجود بها إليك وحق لي
فلقد بليت بلوعة وبدمعة وهبوبك الأزكى شفاء المبتلى
خيلت قربك برء داء صبابتي ضن البعاد به فطال تخيلي
شوقا إلى خير الأنام بأسرهم سؤلى وأسنى مقصدي ومؤملي
فيه أنا متوسل في مقصدي أسنى التوسل بالرسول المرسل
وبجأه عند الأنام مآربي ووسائلي تقضى وإن لم أسال
وبه الأمانى قد حللن بساحتي وحوادث الحدثان صرن بمعزل
بشراك نفسي فالأمانى أعجلت نحوى تبشرني بخير معجل
بمدىحه أضحي الزمان مسألي تندى أسرة وجهه المتهلل
فيه إلهي قد رجوتك راغبا دون الأنام فباب جودك موثلي
وإليك ربي رغبتى وتوسلي وعليك في كل الأمور توكلتي

وثبت في آخر هذا الكتاب ما صورته : قال محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد
ابن أبي بكر بن يوسف بن العطار نفعه الله تعالى بالعلم : كان الفراغ من إكمال هذا
الفصل وإتمامه ، حسب نثره ونظامه ، ضحوة يوم الجمعة الثاني من شعبان المكرم

سنة ست وتسعين وستائة ، ما عدا أربع قصائد اشتمل عليها ، فإنها تقدمت على إنشائه ، أودعتها فيه ، والله سبحانه المستعان ، وذلك بمدينة الجزائر جزائر بنى مرغنة من أقصى إفريقية من أرض متيجة ، صانها الله تعالى ! انتهى .

وثبت في آخره بخط بعض الأكابر ما نصه : تأليف الفقيه العالم الأديب البارع أبي عبد الله محمد بن العطار الجزائري ، انتهى .

وهو كتاب نفيس جمع فيه بين حسن النظم والنثر ، فالله تعالى يجازى صاحبه أفضل الجزاء ! بمنه وكرمه .

ولا بأس أن نورد هنا من كلام أهل الأندلس بعض الأمداح النبوية زيادة على ما ذكر هنا فنقول :

قال العارف بالله تعالى ابن العريف في كتاب «مطالع الأنوار ، ومنابع الأسرار» لابن العريف في مدح الرسول

وحقك يا محمد إن قلبي
يجبك قربة نحو الإله
جرت أمواه حبك في فؤادي
فهام القلب في طيب المياه
فصرت أرى الأمور بعين حق
وكنت أرى الأمور بعين ساهي
إذا شغف الفؤاد به ودادا
فهل ينهاه عن ذكره ناهي ؟
يقيم بذكره ويحن شوقا
حنين المستهام إلى الملاهي
يخامر ارتياح منه حتى
يقول أولو الجهالة : ذاك لاهي
وما هو حق فضل قد رآه
فصار يجد في طلب الملاهي
فسوف ينال في الدنيا سرورا
وفي الدار الأخيرة كل جاه
ويعطى ما تمنى من أمان
كما قد حب محبوب الإله

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا عاذلي في طلابي
دعني من العذل دعني
سأعمل العيس شوقا
بالعزم دون الثاني

إلى ضريح رسول	مصدق حسن ظني
أشدو على كل فج	حين الحمام يغني
يا أطهر الخلق إني	بذلتني عبد قين
فأعتق اليوم رقي	وانظر بعطفك مني
فأنت أنت ملاذي	إياك إياك أعني
إن غبت عن عين جسمي	ما غبت عن عين ذهني
لولاك كنا أناسا	أمر من كل جن
فإذ بعثت رسولا	فخير فضل ومن
لله خالص شكرى	عساه يصفح عني
فإنني عبد سوء	قلبت ظهر الجن

وقال في خاتمة ذلك الكتاب :

صلى الإله على النبي الهادي	مالأزت الأرواح بالأجساد
صلى عليه الله ما أسود الدجا	فكسا محيّا الأفق برّد حِداد
صلى عليه الله ما أنبلج السني	فأبيض وجه الأرض بعد سواد
صلى عليه الله ما همع الحيا	فسقى البلاد برائح أو غادي
صلى عليه الله ما هفت الصبا	وشدا على قنن الأراكه شادي
صلى عليه الله ما ألف الكرى	جفن فخامره لذيد رقاد
صلى على المختار أحمد ربّه	ما استمسكت نار بطي زناد
صلى على خير الأنام محمد	من خصه بالنور والإرشاد
صلى الإله على رسول حاشر	حشر الأنام لديه في الميعاد
صلى الإله على رسول عاقب	في الدهر وهو بفضل كالهادي
صلى الإله على رسول خاتم	ختم النبوة بالكتاب الهادي
صلى الإله على المقفي ما اقتفى	بشر نبوته بغير عناد

صلى على ماحى الضلال إلهه	ما غردت طير على الأعواد
صلى الإله على نبي طالع	بملاحم قصمت فؤاد العادى
صلى عليه الله فهو نبيه	ناداه بالإرشاد خير مناد
صلى عليه الله فهو رسوله	أعطاه راية عزيمة ورشاد
صلى عليه الله فهو خليله	أسدى إليه منه كل سداد
صلى عليه الله فهو صفيه	صفى سريره من الأحقاد
صلى عليه الله فهو وليه	والاد فى الإصدار والإيراد
صلى عليه الله فهو المصطفى	من كل خضار العباد وبادى
صلى عليه الله فهو المجتبى	يُجْبَى إليه انخير دون نقاد
صلى عليه الله فهو المنتقى	نور الزمان وواحد الآحاد
صلى عليه من برآه مطهرا	واختاره طودا من الأطواد
صلى عليه من برآه بفضله	وأعاده حيا لغير معاد
صلى عليه من أراه جلاله	وأنا له من ذاك كل مراد
صلى عليه من أحل فؤاده	فى ظل عرش ثابت الأوتاد
صلى عليه من غذاه بنعمة	فتضاعفت كتضاعف الأعداد
صلى عليه من كساه عوارفا	واختصه منه بخير أياذ

لأبى عبد الله
ابن عمران

وقال الشيخ أبو عبد الله بن عمران مادح الرسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا على
حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب ، كما تقدم :

ألف ،	أيا خير البرية هذى	مدحى ، وما أنا فى مقامى هاذى
باء ،	بها أظهرت صدق محبتي	وبذلك الجاه الكريم ليأذى
تاء ،	تخذت وسيلة ما حكته	وجعلته يوم المعاد عيادى

ثاء ،	ثنائي ليس يحصر فضلك الزاهي ولا يحويه باستحواذ
جيم ،	جلالك جل طور فخاره عن شبه مثل أو لحاق مُحاذي
حاء ،	حُبَيْتَ بمعجزات ذكرها يولى ذوى الإيمان كل لذاذ
خاء ،	خصصت بها بفضل عناية منها لجأت إلى أَجَلٍّ ملاذ
دال ،	دحضت بحقها مستقريا إبطال زور مشعر بملاذ
ذال ،	ذراع الشاة أفصح نخبرا عما يحاذر ضره بنفاد
راء ،	رميت عصائبنا قد ألبوا فَعَمُوا ولما ينصروا بلواذ
زاي ،	زعيم بالوجاهة أنت إذ كل يباهك عاذ كُلَّ عياذ
سين ،	سبقت بكل فضل يغتدى جفنُ المعالي منه ليس بقاذ
شين ،	شأوت مفاخر كل الورى وتركتم غرقى بلجة آذى
صاد ،	صعدت ذرا لموقف زلفة ترك السعود مقطع الأفلاذ
ضاد ،	ضويت إلى جلال كافل لك بالرضا دَرَّ الجلالة غاذ
طاء ،	طلاييك لديك شفاعه فيها بذذت الجميع أى بذاذ
ظاء ،	ظماؤهم بحوضك سوغوا ريثا كأن به مذاقة ماذى
عين ،	علا ذكر افتخارك وارتقى عن غمر مغتاب وزور الباذى
غين ،	غمام قد عـلاك مظلا يمشى بمشيك دائما ويحاذى
فاء ،	فصاحتك البليغة أعجزت للقوم من قربى ومن شُدَّاذ
قاف ،	قواعد صرح كسرى زلزلت لولادة أوهت قوى ابن قباذ
كاف ،	كفلت بماتلقته (والضحى) لجماعة الجارين باستنقاذ
لام ،	لدعوتك الحجابة أسبلت ثروات هتان الحيا بهماذ
ميم ،	معين يديك إذ غلب الظما أروى الورى من توأم وفذاذ
نون ،	نجارك أصله متخير من بطن ذات علا وأظهر حاذى

هـ ، هتفتُ على ثنائى شققى بعلاك هذى ما نجلتك هذى
 واو ، ولو أنى استطعت لسابقت قلى خطا قدمى بالإغذاذ
 لا ، لا أكيّف قدر شوق باعث لعزائى مستنهض شحاذ
 ياء ، يمينا لو قدرت إذن لما أخرجت سعى مبادر حذاذ
 دامت عليك صلاة ربك ما همت ديم بوبل هاطل ورذاذ
 رجع إلى الكاتب أبى عبد الله بن الجيان الأندلسى .

قال - تقبل الله تعالى منه ! - يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

يامن تقدّس عن أن يحيط وصف بذاته
 ومن تعالى جلالاً عن مُشبهه فى صفاته
 ومن قبول ثنائى إليه أسنى هباته
 صل على من تبدى نور الهدى من سماته
 ومن علا الفخر لما نعى إلى معلواته
 محمد خير هاد بحلمه وأناته
 محمد خير داع بالصدق من كلماته
 محمد خير مُبدي لفاسننا معجزاته
 أكرم به من نبى كهمت سما مكرماته
 أعزز به من رسول سمت عُلا درجاته
 وخصه الله منه بالفضل من تكرماته
 لما حباه بأوفى صلاته فى صلاته

مدائح
 فى رسول الله
 صلى الله عليه
 وسلم من نظم
 ابن الجيان

وقال :

يا رب بلغ سلامى لأحمد ذى الشفاعة
 لخاتم الرسل أعنى إمام تلك الجماعة

لأبهر الخلق مجداً	يحكى الصباح نصاءه
لمن صفاتُ علاه	تعجز أهل البراءه
لسيد لسنّاه	يزهى السنا والبراءه
لمرشد بهداه	قد فاز عبدُ أطاعه
وناظم الحسّن نظماً	قد ضمّ منه ثعابه
وسر سرّك يا من	أرى العيون اطلاعه
ومن حبا بذكاه	خلالَه وطباعه
ومدّ في كل فضل	لصفوة الرسل باعه
فزده يارب فضلاً	وزد محبيه طاعه

وقال أيضاً [غيره] :

لقد رفع الإله عن البرايا	بيعت محمد بحنّ الصروف
أتى والناس في الآفاق هبّ	لسمر الخطأ أو بيض السيوف
فأنقذهم ، ولولاه لكانوا	لَقى بين الضلالة والحتوف
نبي لا يغفل عليه إلا	سخيف العقل ذو رأى مؤوف
كأنهمار اليهود أو النصرارى	أو الفلكى أو كالفيلسوف
فبعض للتجاهل والتعامى	وبعض للتحير والوقوف
زعانف لا يَهْلِكُ لها رِواء	فإن الجهل مائحة الظروف
إذا جارى بمختلّ ضعيف	فإن صحاحنا فوق الألوف
فبرهان النبوة مستفيض	ندل به على رغم الأثوف
شفوف الرسل متضح ولكن	لأحمد الشفوف على شفوف
حروف الخطأ أصل للمعاني	والألّف التقدّم للحروف

وما أحسن قول القائل :

لولا النبي محمد هلك الورى في سوء حاله
أعلى الورى قدراً وأكرمهم وأظهرهم دلاله
ختم الإله به النبوة والطهارة والرسالة
واختصه دون البرية بالمكانة والجلالة
بدر الرسالة والصحة به حَوْلَ ذاك البدر هالة
قذف الحصا في أعين الكفار فاعتنقوا الجدالة^(١)
وتدبروا ثوب الكآ به بعد إظهار الجذالة
فأصخ إلى أنبائه تعلم بأن المنتهى له
وإذا ابتغيت وسيلة ومدحته ومدحت آله
فاقطع بأنك آمن يوم القيامة لا محالة

وقال أبو القاسم سعد بن محمد :

أطلق لسانك بالصلاة على النبي الأبطحي الهاشمي محمد
واجعل شعارك ذاك تنجُ به غدا إن النجاة بذكر يوم للغد

لأبي اليمن ولأبي اليمن بن عساكر :
ابن عساكر

يارب صل على النبي وآله صلواتنا ما دامت الأيام
واخصص ختوم سلامنا بجنابه كالمسك يعبق فضَّ عنه ختام
واحرص شريعته وأوضح سبلها تبدو بها للسالك الأعلام
وأدم كرامته وأعْلِ مناره وأنه أعلى مالديك يرام
وارفع له الدرجات في رتب العلا فهو الذي للمرشدين إمام
وأقمه بين يديك زلفى موقف للحمد ما لسواه فيه مقام

وَأَنْزَلَ شَفَاعَتَهُ وَأُورِدَ حَوْضَهُ
وَأَتَمَّ لَهُ مَا لَا يُرَامُ حَصُولُهُ
وَلَهُ عَلَيْهِ فِي الْأَصْنَافِ وَالضُّحَى
وَبِهِ إِلَى تَقْبِيلِ مَوْطِئِ نَعْلِهِ

وَلَهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

أَلَا إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الرَّسُولِ
فَصَلِّ عَلَيْهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ صَلَّى
وَصَلَّ عَلَيْهِ قَدْ صَلَّتْ عَلَيْهِ
أَلَا إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ نُورٌ
وَتَثْقِيلٌ لِمِيزَانِ خَفِيفٍ
إِذَا صَايَتْ صَلَّى اللَّهُ عَشْرًا
وَتَحْطَى بِالشَّفَاعَةِ يَوْمَ تَجْفَى
فَأَكْثَرُ أَوْ أَقَلٌّ فَأَنْتَ تَجْزَى
فَصَلِّ عَلَيْهِ تُجْزَى جَزَاءَ ضَعْفٍ
وَأَوْلَى النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ صَلَاةً
وَأَنْجَاهُ مِنَ الْأَهْوَالِ عَبْدٌ
فَكَنْ لَهُجَا بِذِكْرِهِ حَفِيًّا
وَصَلَّ مَدَى الزَّمَانِ عَلَى رَسُولٍ
وَصَلَّ عَلَى حَبِيبٍ حَازَ فَضْلًا
وَأَتَاهُ الْوَسِيلَةَ مُسْتَجِيبًا
وَأَزَلَّهُ وَشَفَعَهُ لِيَأْوِي
وَأَطَدَّ شَرْعَهُ وَحَى حِمَاهُ
وَشَرَّفَهُ وَلَمْ يَبْرَحْ شَرِيفًا

شَفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْغَلِيلِ
عَلَيْهِ وَلَا تَكُونَنَّ بِالْبَخِيلِ
مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِجِبْرِئِيلِ
لَدَى الظُّلُمَاتِ فِي الْيَوْمِ الْمَهُولِ
وَتَحْقِيفٍ مِنَ الْوِزْرِ الثَّقِيلِ
بِوَاحِدَةٍ عَلَيْكَ عَلَى الرَّسُولِ
وَمَالِكَ مِنْ مَقِيلٍ أَوْ مَنِيلِ
بِذَلِكَ مِنْ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلِ
وَتَجْزَى مِضَاعِفَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ
عَلَيْهِ بِهِ وَأُخْرَى بِالْقَبُولِ
بِهَا لَهْجٌ بَدَلَ قَالَ وَقِيلِ
بِلَقِيَاهُ وَمَنْصَبِهِ الْجَلِيلِ
كَرِيمِ مُصْطَفَى بَرٍّ وَصُولِ
مَدَى شَأْنِ الْكَلَامِ مَعَ الْجَلِيلِ
وَبَلَغَهُ نِهَايَةَ كُلِّ سُؤْلِ
إِلَيْهِ النَّاسِ فِي ظِلِّ ظَلِيلِ
وَأَيَّدَهُ بِوَاضِحَةِ الدَّلِيلِ
فِي جَمْعِ جَمَلَةٍ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ

وزاد محبَّه شرفاً وفخراً بتفضيل وتنويل جزيل
وزاد علاه منه بطول عمر قصى من مواهبه طويل
وأوردنا عليه الخوض وفدًا لنروى بالرؤى من سلسبيل

وله رحمه الله تعالى :

أدم الصلاة على النبي المصطفى تخلص بذلك من الجحيم ونارها
وتولَّ إقبالاً عليها كلها هتف المؤذن مشعراً بشعارها
فالفخر أجمع له فتلَقَّه من نوبة الأسحار فوق منارها

فهذه عدة قصائد في مدحه صلى الله عليه وسلم ، أرجو من الله سبحانه أن تكون
مكفرة لما ارتكبته على وجه الفخر والشهرة من الهزل واللغو ، فإن ذلك والله
قول لا فعل له ، وإنما هو على نهج أهل الأدب كالحافظ شيخ الإسلام ابن حجر
 وغير واحد ممن ألف في الأدب وجمعه .

ولا بأس أن نعرزها بمقطوعات تكون للتكفير زيادة ، وحُقَّ لمن توسل
بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن لا تضعيَعَ وسائله ، وكيف وهو صاحب المقام
الحمود والشفاعة والسيادة ، فمنها قول ابن الجيان المذكور آنفاً رحمه الله تعالى :

إلى أحمد المختار نهدي تحية تفاح روض المزن بلله المزن
إذا نافحت مغناه زاد تأرجا وإن لثمت يميناه قابله اليمين
أسير أشواقى رسولا بعرفها لتسعدنا منه العوارف والمين
وأرجو إليه الفضل فهو منيله وما خاب لى فيه الرجاء ولا الظن
عليه اعتمادى حين لا لى حيلة إليه استنادى حين ينبو بى الركن
به وثقت نفسى الضعيفة بعدما أضربها من ضعف قوتها الوهن
إليه صلاتى قد بعثت ومشفعا سلاماً به الإحسان ينساق والحسن

لابن الجيان في
مدح رسول
الله صلى الله
عليه وسلم

وقوله رحمه الله تعالى :

أيذهب يوم لم أكفر ذنوبه بذكر شفيع بالذنوب مشفع
ولم أقض في حق الصلاة فريضة على ذى مقام في الحساب مرفع
أرجى لديه النفع في صدق حبه ومن يرتج المختار لاشك ينفع
وأهدى إلى مشواه منى تحية إذا قصدت باب الرضا لم تدفع

وقوله رحمه الله تعالى :

يا أرحم الخلق يوم الحشر والندم أرحم عبيدك ياذا الطول والنعم
إني توسلت بالمختار سيدنا الطاهر المجتبي من خيرة الأم
إليك من سيأتي إنها عظمت يا واحدا لم يزل قرءا ولم ينم
عليه منك صلاة كلما طلعت شمس وما خط في الأوراق بالقلم
فهو الشفيع الذى أرجو النجاة به من الجحيم إذ الكفار كالحم (١)

وقوله أيضاً رحمه الله تعالى :

بحبيب القلوب معتمد الخلق أبى القاسم النبى الشفيع
قد تشفعت من ذنوبى إلى ذى العزة الواحد العلى السميع
فاشفع اشفع يا خاتم الرسل يوم الحشر والمشهد العظيم الفظيع
لظلم لنفسه قد تنهاى فى الخطايا وكل فعل شنيع
فإذا ما تذكر الذنب فاضت مقلته واغرورت بالدموع
لا تخيب رجاءه إنه من ربه خائف كثير الخشوع
وعليك الصلاة بدأ وعودا ما أضاءت ذكاه عند الطلوع (٢)

وقوله أيضاً عفا الله تعالى عنه :

يا رب إن شفيعى من ذنوبى فى يوم القيامة خير الخلق والنسم

(١) الحم : جمع حمة - بالضم - وهى الفحم

(٢) ذكاه - بالضم - الشمس

محمد خاتم الرسل المبلغ للدين الحنيفي والإسلام للأئم
عليه منى صلاة كلما سجع السحام فوق غصون البان والسلم
وبعد ذلك أعداد الجبال ورمـل الأرض والطير والحيتان والنعم
كذلك أيضاً سلامى طيب عطر عليه ما قام عبد فى دُجى الظلم
لله وهو كثيب خائف وجل من الذنوب حزين القلب ذو ألم

وقول الشيخ الإمام أبى زيد الفازى رحمه الله تعالى :

لأبى زيد
الفازى

كملت بنعت محمد خير الورى غرر القصائد كلها وحجوها
واختص دون الأنبياء بدعوة وسع العباد عمومها وشموها
فاضت على الثقلين منه أشعة طلعت وما عقب الطلوع أفوها
فالإنس تعلم أنه مقصودها والجن توقن أنه مأموها
كم آية بالصدق كان ظهورها كم آية بالسبق كان نزوها
وكفالك هذا الوحى فهو شهادة لحمد لزم العباد قبولها
جمع الإله المكرمات لأمة هذا النبى الهاشمى رسوها

وقوله رحمه الله تعالى :

أى نور كشف الله به سُدَفَ الباطل عنا أجمعين
ختم الله به أنواره عندما أكمل سنّ الأربعين
وأنا دليل بين عجزت عنه دواعى المدعين
فهو للناس جميعا مرشد وهو بالله تعالى مستعين
تركت دعوته وهو الرضا سائر الخلق إليها مُطَّعِين
فأعِدْ أنباءه فهو مَنى أنفُسِ القائل والمستمعين
والذى يهـدى إلى شرعته فهو مزاح عن عذاب المعين^(١)

(١) كذا فى ب ، وفى خ « فهو محتاح من العذاب المهيّن » وليس واحد منهما
بمستقيم ، وأصلحه نا شرب بقوله « فمزاح عن عذاب المبذعين » .

والذى يرغب عن سنته فهو من شيعة إبليس اللعين
وقوله وهو كما قبله لُزُومى :

أصخ فلخير العالمين مناقب
أتى والورى أسرى فكان غيائهم
وعَفَى رسوم الكافرين وأهلها
تقدم كل العالمين إلى مَدَى
وخص بتشريف على الناس كلهم
ترَقَّى إلى السبع الطباق ترقيا
وبالجسم أسرى الله وهو دلالة
فسيحان من أسرى إليه بعبده
وكم عجب أوحى إلى عبده به
وقوله رحمه الله تعالى :

هاك عن هذا النبي المصطفى
سبحت صُمُ الحضا في كفه
وإذا أبدى نبى عبدة
أى نطق قد روى إعجازه
حُجَجُ الرسل التى قد سلفت
فاعتقد صحتها واعمل بها
ممكّنات العقل لا يحجدها
وقوله رحمه الله تعالى :

إذا أملت من مولاك قربا
وصل عليه أول كل قول
فإن محمدا أعلى البرايا
فجدد ذكر خير الأنبياء
وأخره بصبح والمساء
محلا فى السيادة والعلاء

لواء الحمد في يمين يديه وكل الناس من دون اللواء
 فحدث عن دلائله فقيها شفاء للنهي من كل داء
 ولست بناقل للعشر منها وهل تفنى الزواجر بالدلاء
 فقل للسامعين قفوا فهذا محال ليس يحصر بانهاء
 براهين البسيطة ليس تحصى فدونكم براهين السماء

وقوله رحمه الله تعالى :

أما يمين محمد ويساره فهما سماء
 كلتاها إن صَوَّحَ المرعى لنا طعم وماء
 وإذا أَضْرَبْنَا السقا م وغيره فهما شفاء
 فأعجب لكف في الوري فيها عن المزن اكتفاء
 فاقطع بأن محمدًا في الخلق ليس له كفاء
 فإذا أصخت لآية فالنور فيها والضياء
 هذا الصباح الهاشمي بدا فليس له خفاء
 فالأرض قد فُتِحَتْ بمبعثه وفتحت السماء

وقوله رحمه الله تعالى :

بركات رسل الله غير خفية ومحمد خير البرية أبرك
 هذا النبي الهاشمي هو الذي هُديَ الأمام به ومان المسلك
 كم آية لمحمد كم حجة عز الولي بها وذل المشرك
 دعواته مسموعة مرفوعة والحس ليس يصح فيه تشكك
 لاشيء أعجب من دليل واضح يحيا به بعض وبعض يهلك
 أمسك بحبل محمد خير الوري تظفر بقصدك أيها المستمسك
 وإذا عجبت لغاية في رفعة فحل أحمد غاية لا تدرك

وقوله رحمه الله تعالى :

قَبَّحَ الإله الملحدِين فإنهم حجدوا الضرورة
والمعجزات تواترت عن أحمد في كل صورة
والله أعلى كعبه في خلقه وأتم نوره
كثير الطعام مع الشرا ب بكفه عند الضرورة
وتكنفته عناية من ربه أعلت أموره
نادى البرية فالقلو ب إلى أجابته مُصَوِّره
وحى الشريعة بالدليل فدع معاندها وزُورَة
قل للمشكك حين ييـدِي في تشككه قصوره
بيني وبينكم الكتا ب فدونكم فأتوا بسوره

وقال رحمه الله تعالى :

إذا بهرت للهاشمي دلالة فكم حجج في طيها ودلائل
فكم مرة آتى الغنى كف سائل وكم مرة أعطى المني فكر سائل
له تحت أستار الغيوب شهادة مُعدِّلة لم تبقِ قولاً لقائل
يحدث عما كان أو هو كائن فقس آخرا من صدقه بالأوائل
إذا الصدق لم يعوزك في غدواته فلا شك في تصديقه بالأصائل
وحسبك في الأنباء بالغيب أنه ستسمعهما بالنقل من قول قائل

وقوله رحمه الله تعالى :

ياذا المعنى بهذا الذكر تسمعه في المدح تأثره في سيد الناس
هذا النبي ، وَمَنْ آيات أثره في الطيب والطول لا تجرى بمقياس
قد انقضت معجزات الغيب وافية صحيحة باستفاضات وإحساس
وهاك نوعا من الإعجاز منتزها عن نقد منتقد أو صفح قرطاس

لا تعدم النقل عن آثار سيدنا فإنما نحن فيها بين أغراض
تَنَقَّلُ الأنف في النوار ينشقه من ياسمين إلى ورد إلى آس
إن القلوب إذا اعتلت خواطرها فذكر أحمد فيها المبرىء الآسى
وقوله رحمه الله تعالى :

تأدب إذا ذكر المصطفى بصمت اللسان وغض البصر
فإن التأدب عند السماع يفهم في النطق أوفى النظر
وردد أحاديثها إنها دليل على صدق خير البشر
وصَلَّ عليه مدى ذكره فذلك أفضـل ما يدخر
ولا تسترب في براهينه فتسلك مسلك قوم آخر
فكم آية ظهرت للنبي وكم أثر عنده قد ظهر
ومن شك في نور برهانه على أن برهانه قد بهر
فكبر على عقله أربعا وقل فوق طورك هذا الخبر

وقوله رحمه الله تعالى :

اعمل بآثار النبي فإنها النور المبين
واقبل نصيحتها ففيها العز والشرف المسكين
واشدد يمينك بالشرعية إنها السبب المتين
خير البرية أحمد والحق يصحبه اليقين
ذوقوة عنده الإله مقرب منه مكين
زان النبيون الورى ومحمد لهم مزين
هاد إلى طرق النجا ة مؤيد فيها أمين
والهـج بمدح الهاشمى فإنه الحصن الحصين
ولئن فعلت فلن تفو تك بعد ذا دنيا ودين

وهذا استدس جعلته للكتاب مسك الختام :

وللناس أعمال فخير وضده وما يحسن الأعمال غير الخواتم
وإلا فالأمداح النبوية بحر لا ساحل له ، وفيها النثر والنظام ، زاده الله شرفا وحباه
أفضل الصلاة وأزكى السلام ! .

لأبي الحجاج
يوسف
ابن موسى
المنتشافي

وهذه القصيدة من نظم الفقيه الأجل أبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشافي
الأندلسي — نفعه الله تعالى بنبته ، وبلغه غاية أمنيته ! — وترتيبها على حروف
المعجم باصطلاح أهل المغرب فيما عدا الروى فإنه على حرف الميم ، وكذا آخر الشطر
لذى قبله فإنه ميم أيضاً ، وهذا نصّه بحروفه ما عدا حرف الواو (١) فإنى لم أجده
وكلته على منواله :

حل في طيبة رسول كريم	فعليه الصلاة والتسليم
صفوة الخلق خاتم الأنبياء	مرشد الناس للطريق السواء
والعباد الملاذ في اللأواء	وشفيح العصاة يوم الجزاء
يوم يبدو لديه جاه عظيم	فعليه الصلاة والتسليم
أذهب الغى نورهُ والغياب	فأضاءت مشارق ومغارب
وغدا الحق غالبا للأكاذب	وبدت منه الأنام عجائب
صدق أقواله بها معلوم	فعليه الصلاة والتسليم
نبراهين صدقه معجزات	حينما حل حلت البركات
وسمت أربع به وجهات	فيه قد تعرفت عرفات
وبه تاه زمزم والخطيم	فعليه الصلاة والتسليم
لم يزل هادياً صدوق الحديث	ووفيا بالعهد غير نكوث
ومجيباً لدعوة المستغيث	وكرماً نداء فوق الغيوث
ونداه بالجوود جود سَجُومُ	فعليه الصلاة والتسليم

(١) وليس فيها حرف الحاء المعجمة أيضاً

بهج الحق أوضح الابتهاج
 خصه الله ليلة المعراج
 وبكليمه له التكريم
 مصطفى مجتبي كريم صفوح
 فلا كرامه أجير الذبيح
 وكذلك الخليل إبراهيم
 بعثه كان رحمة للعباد
 ونفى كل باطل وعناد
 فإذا الحق واضح مستقيم
 أمه بالشكاة ظني أخيد
 وبه كانت الوحوش تلوذ
 لا تدقني فإنتي مسموم
 أشبع الجيش والطعام يسير
 وهى من يديه عذب نير
 معجزات تحار فيها الفهوم
 حجب النور في السموات جازا
 فيه في غد نعال المفازا
 أن تمنى يكون منها كليم
 إنما الحكم منه عدل وقسط
 حبه في بلوغ قصدى شرط
 ويزول العنا وتجلي الهموم
 قد حمى ديننا برعى ولحظ
 وحبانا بما لدى الرب يُحظي

سيد نوره أضاء الدياجي
 باصطفاء ورفعة ونتاج
 فعليه الصلاة والتسليم
 للنبيين جاهه ممنوح
 ونجا آدم وخلص نوح
 فعليه الصلاة والتسليم
 دلم بالهدى طريق الرشاد
 ودعا للإله دعوة هادي
 فعليه الصلاة والتسليم
 مستجيرا بجاهه يستعيز
 وله خاطب الذراع الحنيذ
 فعليه الصلاة والتسليم
 ودعا نخلة فجاءت تسير
 وله البدر شق وهو منير
 فعليه الصلاة والتسليم
 فاحتوى الفضل والعلاء وحازا
 وكفى أمة الرسول اعتزازا
 فعليه الصلاة والتسليم
 لم يجز في القضاء والحكم قط^(١)
 وبأمداحه ذنوبي تحط
 فعليه الصلاة والتسليم
 ونفى روعنا بأمن وحفظ
 هاديا راحنا لنا غير فظ

(١) في ب « إنما حكمه عدل وقسط » وفي ح « إنما حكمه بعدل وقسط »

مثل مانصه الكتاب الكريم فعلية الصلاة والتسليم
 نور برهانه جلا كل شرك وهذاه أجار من كل هلك
 أخيرُ العالمين من غير شك فلكم راسه العداة بشك
 وهو في كل حالة معصوم فعلية الصلاة والتسليم
 مانخير الأنام منهم عدل إنه مُجْتَبَى نبي رسول
 ما عسى مادح الشفيع يقول وبأمداحه أتى التنزيل
 وثناه ذـ ————— لاله مرسوم فعلية الصلاة والتسليم
 نحن لولا اتباعه لشقيننا نور برهانه أرانا يقينا
 وغدا ما نخاف منه يقينا وكؤسا بجوضه قد سقيننا
 من رحيق مزاجه محتوم فعلية الصلاة والتسليم
 أحمد عند ربه ذو اختصاص جاهه كامل بغير انتقاص
 عدة للمسيء يوم القصاص وشفيع لكل جان وعاصي
 يوم يخفو الحميم فيه الحميم فعلية الصلاة والتسليم
 بيديه حوائج الكل تقضى ويحازي الذي أجاز وأمضى
 وينادى الحبيب أنت المرضى سوف نعطيك ماتحب وترضى
 فتحكم يمضى لك التحكيم فعلية الصلاة والتسليم
 فاق بالمولد السعيد ربيع إن فيه بدا الجلال الرفيع
 من هو الذخر والعماد المنيع فلاذ المذنبين شفيع
 ورؤف بالمؤمنين رحيم فعلية الصلاة والتسليم
 أفصح الناس في حديث وأبلغ بَيَّن الوحي للأنام وبلغ
 طيب الحل قد أباح وسوغ ولكم نعمة من الله سوغ
 فلا حـ ————— لانه علينا عيم فعلية الصلاة والتسليم
 كان بالحق والهدى معروف أجود الناس بالندى موصوفا

شرف الله قدره تشريفا
 مجده في العلاء مجد صميم
 وجهه بالبا أضاء وأشرق
 مسّ في كفه قضيبا فأورق
 ثم قد عاد وهو بدر سليم
 جاءه الوحي أنت خير الناس
 وخذ العفو للأنام وواس
 فعليك البلاغ والتعليم
 كان في الله أثبت الناس جاشا
 فكف من الحصا قلّ جيشا
 فنجبا المصطفى وخاب الظلوم
 قد سما قدره بغير تناهى
 أمر بالتقى عن الشر ناهى
 وله عنــــــده النعيم المقيم
 عمدة الخلق للمفاخر حاوى
 مبلغ المعتقى الذى هو ناوى
 وعليه أثنى الكتاب الحكيم
 حسنه كالصباح بل هو أجلى
 واعتلا قدره من السبع أعلى
 فله الفخر والثناء العظيم
 خصه الله من رسول نبي
 وحبّاه منه بنور بهي
 وصراط الهدى سوى قويم
 هاديا مرشدا رسولا شريفا
 فعليه الصلاة والتسليم
 مجده في صميمه الأصل أعرق
 بأصبع قد أشار للبدر فأنشق
 فعليه الصلاة والتسليم
 بلغ الأمر لا تخف من باس
 وأحهم من مكاييد الوسواس
 فعليه الصلاة والتسليم
 ليس من غيره يخاف ويخشى
 وعيون العداة بالترب أعشى
 فعليه الصلاة والتسليم
 وعلا جاهه على كل جاه
 من يطعمه ينل ثواب الإله
 فعليه الصلاة والتسليم
 بحماه يلوذ كل وياوى
 كيف يحصى ثناء أحمد راوى
 فعليه الصلاة والتسليم
 وندى كفه من الشهد أحلى
 مدحه في الكتاب مازال يتلى
 فعليه الصلاة والتسليم
 في جميع الورى بقدر على
 فهدى الخلق للصرط السوى
 فعليه الصلاة والتسليم

قال مؤلف هذا الكتاب ، العبد الفقير أحمد بن محمد المقرئ الماسكي - وفقه الله

تعالى إلى حسن المتاب ، وحباه الدخول في زمرة من رفع عنهم بشفاعته المصطفى خاتمة الكتاب الإصر والعتاب ! - :

هذا آخر ما سمح به الخاطر السكليل ، من هذا المقصد الجليل ، الذي يكون إلى ماوراءه من الطُرف الأدبية خير دليل ، ووضعته والقلب حليف شجن وغربه ، والفكر أليف حزن وكربه ، وأنا أسأل الله تعالى الذي لا يرجى سواه ، أن يجعل بناءه ثابتا بحسن النية حيث البناء الذي فيه حظ النفس واه ، وأن يكون ماطلبته فيه من الهزل بالجد المذكور فيه مكفرا ، وأن ينفع به من وجه إليه وجهته ، فإني قد جمعت فيه ما يندر جمعه في غيره وكل الصيد في جوف الفرا .

يا من عليه اتكالي ومن إليه متابي
جدلي بعفوك عني إذا أخذت كتابي

واعلم أن هذا الكتاب معين لصاحب الشعر ، ولبن يعانى الإنشاء والنثر من البيان السحر ، وفيه من الوعظ والاعتبار ، ما لم يفكره المنصف عند الاختبار ، وكفاه أنه لم ير مثله في فنه فيما علمت ، ولا أقوله تركية له ، ويعلم الله تعالى أنى تبرأت من هذا العارض ومنه سلمت ، ولو لم يحز من الشرف إلا ختمه بهذه الأمداح النبوية الشريفة ، ذات الظلال الوريقة ، لكان كافيا شافيا ، وها أنا أجعل آخره تنبيها للبيب ، قول ابن حبيب :

يا خـير مبعوث له طلعة نور الهدى منها أقر العيون
جئت إلى ناديك أرجو القرى من غيث كغيثك المغيث الهتون
كن لي شفيعا فارتكاب الهوى أوقعني بين الشجاة والشجون
صلى عليك الله سبحانه ما هزت الريح قدود الغصون

وقال النواجي :

لقد أفرطت في حسن ابتداء ورمت تخلصي يوم الزحام
فبالختار أرجو عفو ربى ليرشدني إلى حسن الختام

وكان الفراغ منه عشية يوم الأحد المُنفَرَصِ صباحُها عن السابع والعشرين لرمضان سنة ثمان وثلاثين وألف ، بالقاهرة المحروسة ، والحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وألحقت فيه كثيراً في السنة بعدها ؛ فيكون جميعه آخر الحجة تقمة سنة تسع وثلاثين وألف ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، دائماً أبداً إلى يوم الدين ، آمين

تم بحمد الله تعالى طبع كتاب « نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب » لمؤلفه علامة المغرب الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، بتحقيق الأستاذ الكبير العلامة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، بمطبعة السعادة ، في ليلة العاشر من شهر رمضان المبارك عام ١٣٦٩ ، وهو الشهر المبارك الذي أتم المؤلف فيه تصنيفه ، والحمد لله رب العالمين ،
مدير المطبعة

على محمد اسماعيل

فهرس الجزء العاشر من كتاب

د نفع الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ،
للاشيخ أحمد بن محمد المقرئ ، المغربي ، التلمساني
وهو آخر أجزاء الكتاب

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣	فاتحة الجزء العاشر	٢٢	ترجمة ابن زمرك عن الأمير ابن الأحمر
٤	الباب السابع من القسم الثاني من الكتاب ، في ذكر تلامذة لسان الدين بن الخطيب	٣٠	قصيدة لابن زمرك في التهئة بالعيد
٤	الوزير أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن زمرك ، الصريحى ، ترجمة عن « الإحاطة »	٣٦	لابن زمرك في الشكر
٦	عناذج من قصائد ابن زمرك المطولة	٣٧	مقطوعات لابن زمرك في وصف زهر القرنفل
١١	قصيدة له يصف فيها « الزرافة » وقد وفد بها الأحابيش على أبى سالم ملك المغرب	٣٨	قصيدة له يدح فيها ابن الأحمر وبهنة
١٣	قصيدة أخرى لابن زمرك أنشدها السلطان	٤٠	قصيدة له في المولد النبوى
١٧	من شعره في غير المطولات	٤٤	قصيدة له في التهئة ، وفيها يصف الجند
١٩	تقريظ لكتاب الشفاء عندما شرحه ابن مرزوق	٤٩	قصيدة أخرى في التهئة ، وفيها يصف دار الملك
٢٠	تعليقات من كلام على بن لسان الدين على ما كتبه أبوه في ترجمة الوزير ابن زمرك	٥٦	تخميس له يهنيء فيه ابن الأحمر بعوده من سبتة
		٧٠	قصيدة لابن زمرك يهنيء فيها بالعيد
		٧٤	قصيدة له في التهئة أيضا
		٧٩	قصيدة له يصف فيها نزهة لابن الأحمر
		٨٢	مقطوعات له في الشكر
		٨٨	مقطوعات في معان مختلفة
		٩٧	مما أنشده على لحد ابن الأحمر

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٩٩	له يستعطف السلطان أبا الحجاج	١٤٢	ومنهم الأديب أبو بكر بن جزي الكلبي
١٠٠	من شعره في أبي الحجاج	١٤٢	ومنهم أبو عبد الله الشريشي
١٠١	له يراجع الكاتب أبا زكريا	١٤٣	ومن تلامذة لسان الدين بن الخطيب
	ابن أبي دلالة		القاضي الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى
١٠٢	موشحة لابن زمرك ، يتشوق فيها		ابن عبد الله بن طلحة ، المحاربي
	إلى غرناطة	١٤٧	ومنهم الكاتب أحمد بن سليمان
١٠٤	موشحة أخرى له		ابن فركون
١٠٦	موشحة كتب بها إلى الغني بالله	١٤٩	الباب الثامن من القسم الثاني من
١٠٨	موشحة أخرى عارض بها موشحة		الكتاب ، في ذكر أولاد لسان الدين
	ابن سهل	١٤٩	عدة أولاد لسان الدين
١١٠	من موشحاته في الصبوح	—	محمد بن لسان الدين
١١٨	موشحة له في مألقة	—	علي بن لسان الدين
١١٩	موشحة أخرى له في مألقة	—	عبد الله بن لسان الدين
١٢١	موشحة له في الشفاء	١٥٠	ترجمة بقلم لسان الدين لابنه عبد الله
١٢٣	موشحة له يهنئ فيها السلطان موسى	—	من شعر عبد الله بن لسان الدين
	ابن أبي عنان		قصيدة في مولد الرسول ، سنة ٧٦٤
١٢٥	موشحة له أخرى في وصف غرناطة	١٥٣	ومنه قصيدة يمدح بها السلطان
١٢٧	ترجمة أبي العباس أحمد بن جعفر ،		أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر
	السبقي ، الخزرجي ، وذكر بعض	١٥٥	وله في إعذار ابن السلطان
	أحواله	١٥٨	وله ، وأنشدها السلطان ليلة الميلاد
١٣٩	رجع إلى ترجمة ابن زمرك		في سنة ٧٦٥
١٣٩	بعض فوائده ، عن الشاطبي	١٦٠	بين لسان الدين وابنه عبد الله
١٤٠	موشحة لابن زمرك في مدح الرسول	١٦١	علي بن لسان الدين
١٤٢	من تلامذة لسان الدين الطبيب	١٦٢	تذييلات له على كتاب «الإحاطة» لأبيه
	ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا	١٦٢	في ترجمة محمد بن أحمد الهواري ،
			الشهير بابن جابر

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٦٦	من شعر ابن جابر الذي لم يذكره لسان الدين	٢٠٦	من شعر أبي جعفر ، رفيق ابن جابر
١٦٧	مقصورة عجيبة من شعر ابن جابر رتبها على حروف المعجم فيما قبل الألف المقصورة ، وأتى من كل حرف بعشرة أبيات .	٢٠٧	بين ابن عنين والملك المعظم
١٨٢	قصيدة لابن جابر تتضمن التورية بأسماء سور القرآن الكريم	٢٠٨	مقطعات من شعر ابن جابر أيضا
١٨٥	معارضة لقصيدة ابن جابر ، على وزنهما ورويها	٢١٧	قصيدة لابن جابر في فضائل الصحابة
١٨٧	قصيدة للشيخ الفلقشندي جرى فيها مجرى ابن جابر	٢٢٣	مقطوعات من شعر ابن جابر أيضا
١٨٩	معارضة أخرى لقصيدة ابن جابر	٢٢٧	من شعر أبي جعفر ، رفيق ابن جابر
١٩٢	خطبة نثرية للقاضي عياض تتضمن التورية بأسماء السور	٢٣٢	عود إلى ذكر علي بن لسان الدين
١٩٤	خطبة لسعيد بن أحمد المقرئ عم المؤلف عارض بها خطبة القاضي عياض	٢٣٣	نصيحة من إنشائه كتبها عن لسان السلطان ، وفيها عجائب مما أوصى به الولاة
١٩٦	من نظم ابن جابر	٢٤٠	وله أيضا على لسان السلطان
١٩٦	وفي معناه لشمس الدين الدمشقي	٢٤٧	وصية لسان الدين لأولاده
١٩٧	من شعر ابن جابر	٢٦١	وصية من إنشاء ابن الجيان المرسى ، كتبها عن ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه
١٩٨	رجع لأولاد لسان الدين ، من ترجمة على بن لسان الدين	٢٧٠	من شعر ابن الجيان المرسى
١٩٩	خطبة الكفعمي في التورية بسور القرآن الكريم	٢٧١	من ترجمة ابن الجيان عن « الإحاطة »
٢٠٠	قصيدة في نسق سور القرآن للكفعمي أيضا	٢٧٩	من نثر ابن الجيان رسالة كتب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠٣	ترجمة إبراهيم بن علي الكفعمي	٢٨٦	ترجمة ابن الجيان عن « عنوان الدراية »
٢٠٥	رجع إلى نظم ابن جابر	٢٨٧	من بديع نظم ابن الجيان تخميس في مديح النبي صلى الله عليه وسلم
		٢٩٢	قصيدة مخمسة لبعض أهل المغرب
		٢٩٣	قصيدة مخمسة لمؤلف هذا الكتاب
		٢٩٤	قصيدة في مديح الرسول الأكرم لابن الجيان المرسى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٩٥	قصيدة مخمسة في المديح لإدريس بن موسى القرطبي	٣٣٥	قصيدة في مدح الرسول لابن العطار
٢٩٨	تقريظ لابن الجيان على قصيدة إدريس بن موسى السابقة	٣٣٦	حديث عن كتاب لابن العطار في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٩٩	قصيدة مخمسة لابن سهل الإشبيلي	٣٣٧	من قصائد كتاب ابن العطار في المديح
٣٠١	قصيدة مخمسة لبعض الوعاظ	٣٣٨	قصيدة أخرى
٣٠٢	قصيدة مخمسة لبعض أهل المغرب	٣٣٩	قصيدة أخرى
٣٠٥	قصيدة مخمسة للملك بن المرحل المالحى السبكي	٣٤٠	قصيدة أخرى
٣٠٩	قصيدة مخمسة في مدح النبي ، لأبي العباس أحمد بن محمد المغربي	٣٤١	قصيدة أخرى
٣١٦	قصيدة مخمسة في مدح الرسول الأكرم ، لابن القصير	٣٤٤	لابن العريف ، في مدح الرسول
٣١٧	جمال الدين بن جلال الدين الجوزي في مدح المصطفى المختار	٣٤٦	لأبي عبد الله بن عمران ، في المديح
٢١٨	تسديس في مديح الرسول ، لمحمد بن العفيف ، الحسنى ، الصفوى	٣٤٨	مدائح في رسول الله صلى الله عليه وسلم مما نظمه بن الجيان المرسى
٣٢٢	تسديس آخر لابن العفيف الحسنى الصفوى	٣٥٠	لأبي القاسم سعد بن محمد
٣٢٧	تسديس آخر في مدح النبي المصطفى لأبي عبد الله بن العطار . الجزائرى	٣٥٠	لأبي اليمين بن عساكر
٣٣٢	تسديس آخر في مدح الرسول	٣٥٠	قصيدة أخرى لأبي اليمين بن عساكر
		٣٥٢	مقطوعات لابن الجيان المرسى
		٣٥٤	مقطوعات للامام أبى زيد الفازازى
		٣٥٩	تسديس في مدح الرسول من نظم أبى الحجاج يوسف بن موسى المنتشافرى الأندلسى

تمت فهرس الجزء العاشر من كتاب «نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب»
وبه تمام جميع الكتاب ، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا ، وصلاته وسلامه على
سيدنا ومولانا رسول الله ، وعلى آله وصحبه .

COLUMBIA UNIVERSITY



0026814331

893.7M32

03

v.10

AUG 4 1959

